

صُورَةُ الزَّهْنِيبِ

ومعادن الجواهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل
أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

بتحقيق

محمد بن عبد الممن

عفا الله تعالى عنه

الجزء الأول

دار المعرفة

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة لمحققيه

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً مثنائى تَشَعَّرُهُ مَعَهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَابِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضَالِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً الَّذِي قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ هُوَ وَلَا قَوْمُهُ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مَوْعِظَةً لِلنَّاسِ يَتَدَبَّرُهَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَصِفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَجُتَبَاهُ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ .

أما بعد ، فهذا كتاب جمع فيه مؤلفه من علوم الأوائل ومعارفهم عيون المسائل وأمهاتها ، ولم يفصل القول فيه تفصيلاً يطيل به على قارئه ، ولا أحاط بأطراف ما تَعَرَّضَ لَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ ، مَكْتَفِيًّا بِأَنْ يَنْتَقِي مِنْ كُلِّ عَقْدٍ دُرَّةً هِيَ أَثْمَنُ دَرَرِهِ وَأَغْلَاهَا عِنْدَهُ ، وَأَنْ يَغْتَرِفَ مِنْ كُلِّ بَحْرِ قَطْرَةً هِيَ أَهْنَأُ قَطْرَاتِهِ وَأَمْرُوها ، وَأَنْ يَقْتَطِفَ مِنْ كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ هِيَ آرَجُ أَزَاهِيرِهِ وَأَنْضَرُها ، وَقَدْ تَعَرَّضَ لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي أَكْثَرِ مَا بَحَثَ مِنْ مَسَائِلِهِ ، وَبَيْنَ أَقَاوِيلِهِمْ ، وَأَشَارَ إِلَى بَعْضِ حُجَجِهِمْ تَارِكًا تَفْصِيلَ مَا أَخَذَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى كِتَابِهِ الَّتِي صَنَفَهَا قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ ، وَقَدْ أَخَذَ عِلْمَهُ الَّذِي أَوْدَعَهُ كِتَابَهُ هَذَا وَكُتِبَ السَّابِقَةَ عَلَيْهِ مِنْ مَصْدَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا جَمَلَةٌ مِنْ كُتُبِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ بِالْتَدْوِينِ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى أَكْثَرِ هَذِهِ الْكُتُبِ فِي مَطَالَعِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَبَيْنَ مَقْدَارِ أَهْمِيَّتِهَا فِي نَظَرِهِ ، وَالْمَصْدَرِ الثَّانِي - وَهُوَ فِي الْأَكْثَرِ عِنْدَمَا يَرِيدُ أَنْ يَحْدِثَكَ عَنْ عَادَاتِ بَعْضِ الْبُلْدَانِ أَوْ حَاصِلَاتِهَا - أَحَادِيثُ النَّاسِ الَّتِي يَتَنَاقَلُونَهَا كَأَبْرَأَ عَنْ كَأَبْرٍ ؛ فَهُوَ يَقُولُ لَكَ : « وَقَدْ رَأَيْتُ صَاحِبَ هَذَا الرَّجُلِ

المقيم بالواحات بياب الإخشيد محمد بن طفج ، وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة ،
وسأله عن كثير من أخبار بلادهم ، وما احتجت أن أعلمه من خواص
أرضهم ، وكذلك كان قعلي مع غيره في سائر الأوقات ممن لم أصل إلى
بلادهم ، وأخبرني هذا الرجل عما بأرضهم من الشب وأنواع الزاج ،
وما يحمل من بلادهم ، وما بأرضهم من أنواع العيون الحامضة ، وغير ذلك
من المياه المختلفة الطعوم « ٥١ ، وانظر^(١) (ج ١ ص ٣٤١ و ٣٤٢) .

وقد أحصيت كتبه التي اختار منها لمعاً أو دَعَا في هذا الكتاب فوجدتها
كثيرة العدد ، وأنا ذاكر لك منها جملة ، ومشير لك إلى بعض مواضع التنبيه
عليها في الكتاب الذي بين يديك ، وكل هذه الكتب مفيد نافع جليل
الموضوع ، ولكن أكثرها - مع الأسف - قد أصابته يد الضياع :

(١) كتاب أخبار الزمان ، يشير إليه في نهاية كل موضوع بطرقه
تقريباً ، وكذلك الكتاب الأوسط .

(٢) كتاب المبادئ والتراكيب (انظر^(١) ج ١ ص ١١٧) .

(٣) « الرؤوس السبعة » (انظر ج ١ ص ٨٢ و ١٢١) .

(٤) « الزلف » (انظر ج ٢ ص ١١٧ و ١٢١) .

(٥) « الصفوة في الإمامة » (انظر ج ٢ ص ٥٠ و ١٧٣ ، ثم ج ٣

ص ٢٨) .

(٦) كتاب الاستبصار (انظر ج ٢ ص ٥٠ و ١٧٣ ، ثم ج ٣ ص ٢٨) .

(٧) « الزاهي » (انظر ج ٢ ص ١٧٣) .

(٨) « المقالات في أصول الديانات » (٢ : ٥٠ و ٧٣ - ٣ : ٢٥) .

(٩) « سر الحياة » (٢ : ٦٩ و ٨٨) .

(١٠) « الدعاوى » (٢ : ٦٩) .

(١١) « الاسترجاع » (٢ : ٧٩) .

(١) هذه أرقام الطبعة الأولى ، وأرقام هذه الطبعة قرية منها .

(١٢) كتاب مزاهر الأخبار ، وخرائف الآثار (٢ : ٢٦٤ و ٣٠١) .

(١٣) « الرؤيا والكمال (٢ : ٨٧) .

(١٤) « طب النفوس (٢ : ٨٧) .

(١٥) « حدائق الأذهان في أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام

(٢ : ٣٠١ - ٣ : ٢٤) .

(١٦) كتاب القضايا والتجارب (٢ : ١٠٣) .

(١٧) الواجب في الفروض اللوازم (٣ : ٢٨) .

ولست هذه كل كتبه التي أشار إليها ، وحكى أنه اقتطف منها في كتابه هذا لَمَعًا تدل عليها وتشير إليها ، بل هي أكثر مما تتسع له هذه العُجالة اليسيرة التي أكتبها على عجل ، وأحب ألا أثقل فيها على نفسي وعلى القراء بإحصاء ذخائر قد يكون في إحصائها من إيلام النفس وتعذيب الروح على فقدها وعبث المقادير بها أكبر مما في ذلك من التغني بمجد الأسلاف والإشادة بما رَقُوا إليه من معارج البحث والتحقيق .

وقد قمت لهذا الكتاب بعمل أرجو أن يكون مقبولا مرضيا عنه ، وسيعرف كل قارىء قيمة هذا العمل إذا رجع إلى هذه المطبوعة وقارنها بما طبع قبل ذلك ، وأكلُ إليه وحده تقدير هذا المجهود المُضني ، وعند الله سبحانه في ذلك الجزاء الأوفى .

وحين نفذت جميع نسخ الطبعة الأولى رجعت إلى الكتاب ، وأطلتُ النظر فيه ، وراجعته مراجعة أدق ، وحرصت أن أراجعه على نسخ لم تكن تبسرت لي في المرة السابقة ، فجاء أدق وأصح ، والله سبحانه ولي التوفيق .

كتبه

محمد عيسى الدين عيسى

مصر الجديدة { بولية سنة ١٩٤٨ م
رمضان العظم سنة ١٣٦٨ هـ

ترجمة المؤلف

(١) قال ابن شاکر فی فوات الوفيات (٢/٩٤ بتحقیقنا) ما نصه :

علی بن الحسین بن علی ، أبو الحسن^(١) ، المسعودی ، المؤرخ ، من ذریة عبد الله بن مسعود رضی الله عنه ، قال الشیخ شمس الدین : عدادهُ فی البغدادیین ، وأقام بمصر مدة ، وكان أخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر ، مات سنة ست وأربعین وثلاثمائة ، وله من التصنيفات : کتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر فی تحف الأشراف والملوك ، وکتاب ذخائر العلوم وما كان فی سالف الدهور ، وکتاب الرسائل ، والاستذکار بما مر فی سالف الأعصار ، وکتاب التاریخ فی أخبار الأمم من العرب والعجم ، وکتاب التنبيه والإشراف ، وکتاب خزائن الملوك وسر العالمین ، وکتاب المقالات فی أصول الديانات ، وکتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدیثان ، وکتاب البیان فی أسماء الأئمة ، وکتاب الخوارج ، والله أعلم . اهـ بحروفه .

(٢) وقال ابن الندیم فی الفهرست (ص ٢١٩ طبع مصر) :

المسعودی : هذا الرجل من أهل المغرب ، يعرف بأبي الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی ، من ولد عبد الله بن مسعود ، مصنف لکتاب التواریخ وأخبار الملوك ، وله من الکتب : کتاب يعرف بمروج الذهب ومعادن الجواهر فی تحف الأشراف والملوك ، وکتاب ذخائر العلوم وما كان فی سائر الدهور ، وکتاب الاستذکار لما مر فی سالف الأعمار ، کتاب التاریخ فی أخبار الأمم من العرب والعجم ، وکتاب رسائل . اهـ

(٣) وقال جورجی زیدان فی کتاب تاریخ اللغة العربية (ج ٢ ص ٣١٣)

(١) وقع فی أصل الفوات «أبي الحسین» والمحفوظ «أبو الحسن» كما نهنا

عليه هناك . وانظر — مع ما ذكرناه — شذرات الذهب لابن العماد ٣٧١/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٣١٥ وكشف الظنون ١/٤٩ بولاق .

هو علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، ولذلك قيل له المسعودي ، نشأ في بغداد وجاء مصر ، ورحل في طلب العلم إلى أقصى البلاد ، فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في إصطخر ، وفي السنة التالية قصد الهند إلى ملتان والمنصورة ، ثم عطف إلى كنباية فصيمور فسرنديب «سيلان» من هناك ركب البحر إلى بلاد الصين ، وطاف البحر الهندي إلى مداغسكار وعاد إلى عمان ، ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ إلى ماوراء أذربيجان وجرجان ثم إلى الشام وفلسطين ، وفي سنة ٣٣٢ جاء أنطاكية والثغور الشامية إلى دمشق واستقر أخيراً بمصر ، ونزل القسطنطينية سنة ٣٤٥ ، وتوفي في السنة التالية ، ولم يفتقر في أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضعها ؛ فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليه أحد ، وألف كثيراً من الكتب المفيدة في مواضع شتى ، وأهمها في التاريخ ، وهاك أشهر مؤلفاته :

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو أشهر من أن يعرف لشيوعه ، وقد طبع مراراً في جزئين ، ووصف في الأول منهما الخليفة وقصص الأنبياء مختصراً ، ثم وصف البحار والأرضين وما فيها من العجائب ، ويدخل في ذلك تواريخ الأمم القديمة من الفرس والسريريان واليونان والرومان والإفرنج والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها ، ثم عطف على تاريخ الرسالة الإسلامية من ظهور النبي إلى مقتل عثمان ، وذكر في المجلد الثاني تاريخ الإسلام من خلافة علي إلى أيام المطيع لله العباسي «توفي سنة ٣٦٣» (١) .

ويظهر مما جاء في مقدمته أنه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في أيامه لم يسانا منها إلا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري ، وأما الباقي فقد ضاع ، وفيه عشرات من

(١) أي أن وفاة المطيع كانت بعد وفاة المؤلف بسبعة عشر عاماً تقريباً .

كتب التاريخ والسياسة والاجتماع ، وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها في سواه ، ولذلك فقد عنيَ المستشرق بار بيه دي مينار بنقله إلى اللغة الفرنسية ، وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في تسع مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراكشي في مجلة الضياء « سنة ٢ » ونقله إلى الإنجليزية الأستاذ سيرنجر ، وطبع الجزء الأول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١ .

(ب) كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الغابرة والممالك الدائرة ، وهو كبير طويل مثل اسمه ، يدخل في ٣٠ مجلداً ، وقد أكثر المسعودي من الإشارة إليه في مروج الذهب إذا اختصر الكلام في باب قال : « وقد فصنا ذلك في كتابنا أخبار الزمان » - لكن هذا الكتاب ضائع الآن ، وليس منه إلا الجزء الأول في مكتبة فينا .

(ج) الكتاب الأوسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين ، وقد ضاع أيضاً ، ولكن في مكتبة أكسفورد نسخة يظنون أنها هو ، ويظن بعض الباحثين أنه وقفَ على شيء منه في بعض مكاتب دمشق .

(د) كتاب التنبيه والإشراف : أودعه لعا من ذكر الأفلاك وهيئتها ، والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها ، وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والأرض وشكلها ومساحتها ، والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان ، وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصائب الأنهار ، وذكر الأمم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ، ثم ملوك الفرس على طبقاتهم ، والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والأنبياء ، ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبي وظهور الإسلام ، وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم إلى سنة ٣٤٥ ، وفيه أشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ ، وقد طبع في لندن سنة ١٨٩٤ في مجلة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة^(١) . اهـ بحروفه .

(١) وطبع بعد ذلك في مصر مرتين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل الحمد ، ومُستوجب الثناء والمجد ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وسلم تسليماً إلى يوم الدين .

باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب

أما بعد ، فإننا صَنَفْنَا كتابنا في أخبار الزمان ، وَقَدَّمْنَا القول فيه في هيئة الأرض ، ومدُنْها ، ومجائِبها ، وبحارها ، وأغوارها ، وجبالها ، وأنهارها ، وبدائع معادنها ، وأصناف مناهما ، وأخبار غيَاضِها ، وجزائر البحار ، والبَحَيْرَاتِ الصغار ، وأخبار الأبنية المُمَظَّمة ، والمسكن المشرَّفة ، وذكر شأن المبدأ ، وأصل النسل ، وتباين الأوطان ، وما كان نهراً فصار بحراً ، وما كان بحراً فصار برّاً ، وما كان برّاً فصار بحراً ، على مرور الأيام ، وكُرُور الدهور ، وعلة ذلك ، وسببه الفلكي والطبيعي ، وانقسام الأقاليم بخواص الكواكب ، ومعاطف الأوتاد ، ومقادير النواحي والآفاق ، وتباين الناس في التاريخ القديم ، واختلافهم في بدئهِ وأوليته ، من الهند وأصناف الملحدِّين ، وماورد في ذلك عن الشرعيين ، وما نطق به الكتب وورد على الديَّانين .

ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة ، والأمم الدَّائِرَة ، وَالْقُرُون الخالية ، والطوائف البائدة^(١) [على مرّ سيرهم ، في تغير أوقاتهم وتضيف أعصارهم ، من الملوك والفراعنة العادية والأكاسرة واليونانية ، وما ظهر من حكمهم]

(١) في ابدل ما بين المعرفين ما نصه « على اختلاف أجناسهم ، وتغاير أنواعهم ، واختلاف أديانهم ، وما مضى في أكناف الزمان من حكمهم — إلخ »

ومقائل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم ، وأخبار العناصر ، إلى ما في تَضَاعِيفِ
ذلك من أخبار الأنبياء والرسل والأتقياء ، إلى أن أفضى الله بكرامته
وشرف برسالته محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا مولده ، ومنشأه ،
وبعثه ، وهجرته ، ومغازيه ، وسراياه ، إلى أوان وفاته ، واتصال الخلافة ،
وأنساق المملكة بزمن زمن ، ومقائل من ظهر من الطالبين ، إلى الوقت
الذي شرعنا فيه في تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله أمير المؤمنين ،
وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ وما اندرج في السنين
الماضية ، من لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم
وما تلاه من الكتاب الأوسط .

ورأينا إيجاز ما بسطناه ، واختصار ما وسطناه ، في كتاب لطيف نودعه
لعم ما في ذينك الكتابين مما ضمناهما ، وغير ذلك من أنواع العلوم ،
وأخبار الأمم الماضية ، والأعصار الخالية ، مما لم يتقدم ذكره فيهما .

على أنا نعتذر من تقصير إن كان ، وَتَنْصَلُ مِنْ إِغْفَالٍ إِنْ عَرَضَ ؛
لما قد شابَ جَوَاطِرَنَا ، وَغَمَرَ قُلُوبَنَا ، مِنْ تَقَاذُفِ الْأَسْفَارِ ، وَقَطْعِ الْقِفَارِ ،
تارة على متن البحر ، وتارة على ظهر البر ، مُسْتَعْلِمِينَ بِدَائِعِ الْأُمَمِ بِالْمَشَاهِدَةِ ،
عارفين خواص الأقاليم بالمعانية ، كَقَطْعِنَا بِلَادَ السُّنْدِ وَالزَّبْجِ وَالصَّنْفِ
وَالصِّينِ وَالزَّابِجِ ، وَتَقَحُّمِنَا الشَّرْقِ وَالغَرْبِ ، فَتَارَةً بِأَقْصَى خُرَّاسَانَ ،
وتارة بوسائط إرمينية وأذربيجان والران والبيلقان ، وطوراً بالعراق ،
وطوراً بالشام ؛ فَسِيرِي فِي الْأَفَاقِ ، سُرَى الشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ ،
كما قال بعضهم :

تَيَمَّمَ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ؛ فَتَارَةً
لَدَى شَرْقِيهَا الْأَقْصَى وَطَوْرًا إِلَى الْغَرْبِ

سُرَى الشَّمْسِ ، لَا يَنْفَكُ تَقْدِفُهُ النَّوَى

إِلَى أَفْقٍ نَاءٍ يُقَصِّرُ بِالرَّكْبِ

قال المصنف : ثم مفاوضتنا أصنافَ الملوكِ على تباير أخلاقهم ، وتباين همهم ، وتباعد ديارهم ، وأخذنا بمسلك مسلك من مواقفهم^(۱) ، على أن العلم قد بادت آثاره ، وطمس مناره ، وكثر فيه العناء ، وقلّ الفهماء ؛ فلاتُعَيْن إلا مُمَوَّها جاهلا ، ومتعاطيا ناقصا ، قد قنع بالظنون ، وعمى عن اليقين ، لم نرَ الاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ لهذا الفن من الآداب ، حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات ، وأنواع الديانات ، ككتاب « الإبانة عن أصول الديانة » وكتاب « المقالات في أصول الديانات » وكتاب « سر الحياة » وكتاب « نظم الأدلة » ، في أصول المملة « وما اشتمل عليه من أصول الفتوى وقوانين الأحكام : كتيقن القياس ، والاجتهاد في الأحكام ، ووقع الرأي والاستحسان ، ومعرفة الناسخ من المنسوخ ، وكيفية الإجماع وماهيته ، ومعرفة الخاص والعام ، والأوامر والنواهي ، والخطر والإباحة ، وما أتت به الأخبار من الاستفاضة والآحاد ، وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ، وما ألحق بذلك من أصول الفتوى ، ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه ، وموافقهم في شيء منه ، وكتاب « الاستبصار » في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والاختيار ، وحجاج كل فريق منهم ، وكتاب « الصفوة في الإمامة » وما احتواه ذلك ، مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والجلي والخفي والدائر والوافر ، وإيقاظنا على ما يرتقبه المرتقبون ، ويتوقَّعه المحدثون ، وما ذكره من نور يلعب في الأرض وينبسط في الجذب والخصب ، وما في عقب الملاحم الكائنة ، الظاهر أنباؤها المتجلى أوائها ، إلى سائر كتبنا في السياسة ، كالسياسة

(۱) في « من مواقفهم »

المدنية وأجزاء المدينة ، ومثلها الطبيعية^(١) ، وانقسام أجزاء الملة ، والإبانة عن المواد^(٢) ، وكيفية تركيب العوالم ، والأجسام السماوية ، وما هو محسوس وغير محسوس ، من الكثيف واللطيف ، وما قال أهل النحلة في ذلك .

الباعث له على
التأليف

وكان مادعاني إلى تأليف كتابي هذا في التاريخ ، وأخبار العالم ، وما مضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء ، وقفاها الحكماء ، وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً ، وعلماً منظوماً عتيداً ؛ فإننا وجدنا مُصنِّفِي الكتب في ذلك مُجيداً ومُقَصِّراً ، ومُسَهِّباً ومختصراً ، ووجدنا الأخبار زائدة مع زيادة الأيام ، حادثة مع حدوث الأزمان ، وربما غاب البارِع منها على الفطن الذكي ، ولكل واحد قِسْطٌ يَحْصُهُ بِمَقْدَارِ عُنَايَتِهِ ، ولكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهلها ، وليس من لَزِمَ جِهَةَ وطنه^(٣) وقنع بما نُئِمِّي إليه من الأخبار عن إقامته من قسَم عمره على قَطْع الأقطار ، ووَزَعَ أيامه بين تقاذف الأسفار ، واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكنفه .

وقد أَلَّفَ النَّاسُ كُتُباً فِي التَّارِيخِ وَالْأَخْبَارِ مِمَّنْ سَافَرَ وَخَافَ ، فَأَصَابَ الْبَعْضُ وَأَخْطَأَ الْبَعْضُ ، وَكُلٌّ قَدْ اجْتَهَدَ بِغَايَةِ إِمْكَانِهِ ، وَأَظْهَرَ مَكْنُونَ جَوْهَرِ فِطْنَتِهِ : كَوْهَبُ بْنُ مَنبِهِ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى الْعَامِرِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَالْوَاقِدِيُّ ، وَابْنُ الْكَلْبِيِّ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْثَرِيِّ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْهَمْدَانِيُّ^(٤) ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ الطَّائِي ، وَالشَّرْقِيُّ بْنُ الْقُطَّامِيِّ ، وَحَمَّادُ الرَّائِي ، وَالْأَصْمَعِيُّ ، وَسَهْلُ بْنُ هَرُونَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْقَفَّعِ ،

(١) هنا في ب زيادة نصها « وانقسام أجزاء تكور المدينة ومثلها الطبيعية

(٢) في ١ « عن المبادئ »

منه « ولا يستقيم لها معنى .

(٤) في ١ « وابن عياش »

(٣) في ١ « لزوم جمرات وطنه »

واليزيدي ، ومحمد بن عبد الله العُتبي ، والأموي^(١) ، وأبي زيد سعيد بن
أوس الأنصاري ، والنضر بن شميل ، وعبد الله بن عائشة^(٢) ، وأبي عبيد
القاسم بن سلام ، وعلي بن محمد المدائني ، ودماذ بن رفيع بن سلمة^(٣) ، ومحمد
ابن سلام الجُمحي ، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبي زيد عمر بن
شبة النميري ، والزرق الأنصاري ، وأبي السائب المخزومي ، وعلي بن محمد
ابن سليمان النوفلي ، والزبير بن بكار ، والإنجيلي ، والرياشي ، وابن عابد^(٤) ،
وعمارة بن وسيمة المصري ، وعيسى بن لهيعة المصري ، وعبد الرحمن بن عبد
الله بن عبد الحكم المصري ، وأبي حسان الزياتي ، ومحمد بن موسى^(٥)
الحوارزمي ، وأبي جعفر محمد بن أبي السري ، ومحمد بن الهيثم بن شبابة
الخراساني صاحب كتاب الدولة ، وإسحاق بن إبراهيم الموصللي صاحب
كتاب الأغاني وغيره من الكتب ، والخليل بن الهيثم الحرثمي^(٦) صاحب
كتاب الحيل والمكاييد في الحروب وغيره ، ومحمد بن يزيد المبرد الأزدي ،
ومحمد بن سليمان المنقري الجوهري ، ومحمد بن زكريا الغلابي [المصري]
المصنف للكتاب المترجم بكتاب الأجواد وغيره ، وابن أبي الدنيا^(٧) مؤدب
المكتفي بالله ، وأحمد بن محمد الخزازي المعروف بالحاقاني الأنطاكي ، وعبد الله
ابن محمد بن محفوظ البلوي الأنصاري صاحب أبي يزيد عمارة بن زيد
المديني^(٨) ، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان ، وأحمد
ابن أبي طاهر صاحب الكتاب المعروف بأخبار بغداد وغيره ، وابن الوشاء ،
وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين وغيره ، ومحمد بن
صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ، ويوسف بن إبراهيم

(١) في ب « والآمدى » (٢) في ب « وعبيد الله بن عائشة »

(٣) في ب « ابن ربيع بن سلمة » (٤) في ب « وابن عائدة »

(٥) في ب « ومحمد بن عيسى الخوارزمي » (٦) في ب « الحرثمي »

(٧) في ب « وابن أبي الزبي » (٨) في ب « الهيني »

صاحب أخبار إبراهيم بن المهدي وغيرها ، ومحمد بن الحارث الثعلبي^(١) صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره ، وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب ، وعبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة ؛ فإنه كان إماماً في التأليف متبرعاً في ملاحاة التصنيف ، أتبعه من يُعتمد ، وأخذ منه ، ووطىء على عقبه ، وفقاً أثره . وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير في التاريخ فإنه أجمع هذه الكتب جداً ، وأبرعها نظاماً ، وأكثرها علماً ، وأخوياً لأخبار الأمم وملوكهم وسيرها من الأعاجم وغيرها ، ومن كتبه النفيسة كتابه في المسالك والممالك وغير ذلك مما إذا طلبته وجدته ، وإذا تفقدته حمدته ، وكتاب التاريخ من المولد إلى الوفاة ، ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك إلى خلافة المعتضد بالله ، وما كان من الأحداث والكوائن في أيامهم وأخبارهم ، تأليف محمد بن علي الحسيني العلوي الدينوري ، وكتاب التاريخ لأحمد بن يحيى البلاذري ، وكتاباه أيضاً في البلدان وفتوحها صلحاً وعتوةً من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما فتح في أيامه وعلى يد الخلفاء بعده ، وما كان من الأخبار في ذلك ، ووصف البلدان في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ولا تعلم في فتوح البلدان أحسن منه ، وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم ، وهو جد الوزير علي ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الأخبار والكوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده ، تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسين^(٢) ابن سوار المعروف بابن أخت عيسى بن فرخان شاه ، بلغ في تصنيفه إلى سنة عشرين وثلاثمائة ، وتاريخ أبي عيسى بن المنجم على ما أنبأت به التوراة وغير ذلك من أخبار الأنبياء والملوك وكتاب التاريخ ، وأخبار الأمويين ومناقبهم ، وذكر

(٢) في ب « محمد بن الحسن »

(١) في ا « الثعلبي »

فضائلهم ، وما أتوا^(١) به عن غيرهم ، وما أحدثوه من السير في أيامهم ، تأليف أبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي ، وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ ، والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف ابن وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الأخبار ، وكتاب السير والأخبار لمحمد بن خالد الهاشمي ، وكتاب التاريخ والسير لأبي إسحاق بن سليمان الهاشمي ، وكتاب سير الخلفاء لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره ، فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ، ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته ، وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات ، والزائد على الكتب [المصنفات] ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثرت فائدته ، وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون كذلك؟! ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحملة السنن^(٢) والآثار ، وكذلك تاريخ أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فحشو من ملاحه كتب الخاصة ، مملوء من فوائد السادة ، وكان أحسن أهل عصره تأليفاً ، وأملحهم تصنيفاً ، وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الأوراق في أخبار الخلفاء من بني العباس [وبني أمية]^(٣) ، وشعرائهم ، ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرّد بها لأنه شاهدها بنفسه ، وكان محظوظاً من العلم ، ممدوداً من المعرفة^(٤) مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف ، وكذلك كتاب الوزراء وأخبارهم لأبي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة ؛ فإنه بلغ في

(١) في ب « وما بانوا به » (٢) في ا « وحملة السير والآثار »

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ا (٤) في ا « مجدودا من المعرفة »

ثناؤه على قدامة تصنيفه إلى آخر أيام الراضي بالله ، وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر ابن جعفر الكاتب ؛ فإنه كان حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزاً للألفاظ ، مقرباً للمعاني ، وإذا أردت علم ذلك فانظر في كتابه في الأخبار المعروف بكتاب زهر الربيع ، وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج ؛ فإنك تشاهد بهما حقيقة ما قد ذكرنا ، وصدق ما وصفنا ، وما صنفه أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه في كتابه في الأخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة للمبرد ولقبه بالباهر ، وكتاب إبراهيم بن ماهويه الفارسي الذى عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل ، وكتاب إبراهيم بن موسى الواسطى الكاتب في أخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود ابن الجراح فى الوزراء ، وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله ، وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى ، وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرازق المعروف بالجوزجاني السعدى^(١) ، وكتاب التاريخ وأخبار الموصل تأليف أبى ذكرة الموصلى ، وكتاب التاريخ تأليف أحمد بن يعقوب المصرى فى أخبار العباسيين وغيرهم ، وكتاب التاريخ فى أخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبد الله ابن الحسين بن سعد الكاتب ، وكتاب محمد [بن مزيد] بن أبى الأزهر فى التاريخ وغيره ، وكتاب المترجم بكتاب المهرج والأحداث .

تقد المؤلف
لثابت بن قرة
ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحراني^(٢) - حين انتحل ما ليس من
صناعته ، واستنهج ما ليس من طريقته - قد ألف كتاباً جعله رسالة إلى بعض
إخوانه من الكتاب ، واستفتحته بجوامع من الكلام فى أخلاق النفس وأقسامها
من الناطقة والفضبية والشهوانية ، وذكر لعمراً من السياسات المدنية مما ذكره
أفلاطون فى كتابه فى السياسة المدنية ، وهو عشر مقالات ، ولعمراً مما يجب على
الملوك والوزراء ، ثم خرج إلى أخبار يزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ،
(١) فى « المعروف بالجرجاني السعدى » (٢) فى ب « الجرجاني »

ووصل ذلك بأخبار المعتضد بالله ، وذكر صحبته إياه ، وأيامه السالفة [معه] ثم ترقى إلى خايفة خليفة في التصنيف ، مضادة لرسم الأخبار [والتواريخ] وخروجاً عن جملة أهل التأليف ، وهو وإن أحسن فيه ، ولم يخرج عن معانيه ، فإنما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته ، وتكلف ما ليس من مهنته ، ولو أقبل على عامه الذي انفرد به من علم إقائيدس والمقطعات^(١) والمجسطي والمدورات ، ولو استفتح آراء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، فأخبر عن الأشياء الفلكية ، والآثار العلوية ، والمزاجات الطبيعية ، والنسب والتأليفات ، والنتائج والمقدمات ، والصنائع المركبات ، ومعرفة الطبيعيات : من الإلهيات ، والجواهر والهيآت ، ومقادير الأشكال ، وغير ذلك من أنواع الفلسفة — لكان قد سلم مما تكلفه ، وأتى بما هو أليق بصنعتة ، ولكن العارف بقدره معوز ، والعالم بمواضع الخلة مفقود ، وقد قال عبد الله بن المقفع : مَنْ وَضِعَ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَهْدَفَ ، فَإِنْ أَجَادَ فَقَدْ اسْتَشْرَفَ ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ اسْتَقْذَفَ^(٢)

قال أبو الحسن [علي بن الحسين بن علي] المسعودي : ولم تذكر من كتب التواريخ والأخبار والسير والآثار إلا ما اشتهر مصنفوها ، وعرف مؤلفوها ولم تتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم ؛ إذ كان ذلك [كله] أكثر من أن تأتي علي ذكره في هذا الكتاب ، إذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الأعصار من جملة الآثار ، وقلة السير والأخبار ، وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ، ثم من تلامهم من التابعين ، وأهل كل عصر على اختلاف أنواعهم ، وتنازعهم في آرائهم : من فقهاء الأمصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، في كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان ، وفي الكتاب الأوسط .

(١) في ب « والعظمت » .

(٢) في ا « قد استترف » ولعلها « قد استهدف » .

وقد سمت كتابي^(١) هذا بكتاب «مروج الذهب ، ومعادى الجواهر» ؛
لنفاسة ما حواه ، وعظم خطر ما استولى عليه : من طوابع بوارع ما تضمنته^(٢)
كتبنا السالفة في معناه ، وغرر مؤلفاتنا في مغزاه ، وجعلته تحفة للأشراف
من الملوك وأهل الدرايات ؛ لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة إليه ،
وتنازع النفوس إلى علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان ، وجعلته منبهاً
على أغراض ما سلف من كتبنا ، ومشتغلاً على جوامع يحسن بالأديب العاقل
معرفة ، ولا يُعذر في التغافل عنها ، ولم نترك نوعاً من العلوم ، ولا فناً من
الأخبار ، ولا طريقة من الآثار ، إلا وأوردناه في هذا الكتاب مفصلاً ، أو ذكرناه
مجملاً ، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات ، أو لو حنا إليه بفحوى من العبارات.
فمن حرّف شيئاً من معناه ، أو أزال ركناً من مبناه ، أو طمس واضحة
من معالمه ، أو لبسَ شاهدة^(٣) من تراجمه ، أو غيره ، أو بدّله ، أو أشانه^(٤) ،
أو اختصره ، أو نسه إلى غيرنا ، أو أنسفه إلى سوانا ، فوافاه من غضب
الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يمجزُ عنه صبره ، ويحار له فكره ،
وجعله الله مُثَلَّةً للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبة الله
ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه : من قوةٍ ونعمةٍ مُبدعُ
السموات والأرض ، من أي الملل كان والآراء ، إنه على كل شيء قدير .
وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي هذا وآخره ، ليكون رادعاً لمن
ميله هوى ، أو غلبه شقاء ، فليراقب الله ربه ، وليحاذر مُنقلبه ، فالمدّة
يسيرة ، والمسافة قصيرة ، وإلى الله المصير .
وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الأبواب ،
وما حوى كل باب منها من أنواع الأخبار ، وبالله التوفيق .

المؤلف يذكر
أنه أودع كتابه
أجزل الفوائد

المؤلف ينهى
عن التصرف
في الكتاب
ويخوف من
ذلك

(١) في ١ « وقد سمت كتابي » (٢) في ١ « من طوابع ما ضمنته تواريج »
(٣) في ١ « شاهرة » . (٤) في ١ « أو استخبه » وأشانه : أفسده .

الباب الثاني

ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب

مباحث
الكتاب

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لأغراضه ، فانذكر الآن
جُملاً من كمية أبوابه على حسب مراتبها فيه ، واستحقاقها منه ، لكي يقرب
تناولها على مریدها .

فأول ذلك ذكر المبدأ، وشأن الخليفة، وذراء البرية من آدم إلى إبراهيم
عليهما الصلاة والسلام .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ومن تلاً عصره من الأنبياء والملوك من
بنى إسرائيل .

ذكر ملك أرخبعم بن سليمان بن داود ، ومن تلاً عصره من ملوك بنى
إسرائيل ، وجمل من أخبار الأنبياء [والملوك من بنى إسرائيل] .

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم .
ذكر جمل من أخبار الهند وأربابها ، ومدد ممالكها ، وسيرها وآرائها
في عبادتها^(١) .

ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ، والأقاليم السبعة
وما والاها من الكواكب وغير ذلك .

ذكر جمل من الأخبار عن انتقال البحار ، وجمل من أخبار الأنهار الكبار .
ذكر الأخبار عن البحر الحبشى ، وما قيل في مقداره وتشعبه وخُلجانه .

ذكر تنازع الناس في المدّ والجزر ، وجوامع ما قيل في ذلك .

ذكر البحر الرومى ، ووصف ما قيل في طوله وعرضه وابتدائه وانتهائه .

ذكر بحر نيطنس ، وبحر ما يطنس ، وخليج القسطنطينية .

(١) في « أخبار الهند وآرائها وبدء ممالكها وسيرها وآدابها في عبادتها »

ذكر بحر الباب والأبواب والخرزير وجرجان ، وجملة من الأخبار عن ترتيب جميع البحار .

ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عامور ، وأخبار الصين وملوكهم ، وجوامع من سيرهم وسياقاتهم [وغير ذلك] .

ذكر جل من الأخبار عن البحار ، وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ، ومراتب الملوك ، وغير ذلك .

ذكر جبل القبيج^(١) ، وأخبار الأمم من اللان والسرير [والخرزير] ، وأنواع من الترك والبلغر ، وأخبار الباب والأبواب ، ومن حولهم من الملوك والأمم .

ذكر ملوك السريانيين .

ذكر ملوك الموصل ونينوى ، وهم الصوريون^(٢) .

ذكر ملوك بابل^(٣) من النبط وغيرهم ، وهم الكلدانيون .

ذكر ملوك الفرس الأولى وسيرها ، وجوامع من أخبارها .

ذكر ملوك الطوائف الأشعانيين^(٤) ، وهم بين الفرس الأولى والثانية .

ذكر أنساب فارس ، وما قاله الناس في ذلك .

ذكر ملوك الساسانية ، وهم الفرس الثانية ، وسيرهم ، وجوامع من أخبارهم

ذكر ملوك اليونانيين وأخبارهم ، وما قال الناس في بدء أنسابهم .

ذكر جوامع من أخبار حرب الإسكندر بأرض الهند^(٥) .

ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر .

ذكر الروم وما للناس في بدء أنسابهم ، وعدد ملوكهم ، وتاريخ سنيهم ،

وجوامع من سيرهم .

(١) في ا « جبل القبيج » وفي ب « جبل الفتح » .

(٢) في ا « الأثوريون » . (٣) في ب « ملوك قبائل من النبط » .

(٤) في ا « والأشغان » . (٥) في ا « من أخبار جرت للأسكندر » .

ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وهم ملوك القسطنطينية ، ولمع مما كان في أعصارهم .
 ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ، إلى أرمنيوس ، وهو الملك في
 سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

ذكر مصر ، ونيابها ، وأخبارها ، وبنائها ، ومعجائبها ، وأخبار ملوكها .
 ذكر أخبار الإسكندرية ، وبنائها ، وملوكها [ومعجائبها ، وما لحق بهذا
 الباب] .

ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم وأنواعهم ، وتباينهم
 في ديارهم ، وأخبار ملوكهم .

ذكر الصقالية ، ومساكنهم ، وأخبار ملوكهم ، وتفرق أجناسهم .
 ذكر الإفرنجية والجلالقة وملوكهما ، وجوامع من أخبارهما [وسيرهما]
 وحروبهما مع أهل الأندلس .

ذكر النوكبرد وملوكها ، والأخبار عن مساكنها^(١) .
 ذكر عاد وملوكها ، ولتمع من أخبارها ، وما قيل في طول أعمارهم .
 ذكر ثمود وملوكها ، وصالح نبيها عليه السلام ، ولمع من أخبارها .
 ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ، ومن تداوله من جرهم وغيرهم ،
 وما لحق بهذا الباب .

ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان ، وحنين النفوس
 إلى الأوطان .

ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمناً ، والشام شاماً ،
 والعراق ، والحجاز .

ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله الناس في ذلك .
 ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها ، وسيرها ، ومقادير سنيها .

(١) في « مسالكها » .

ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم، وأخبارهم .

ذكر ملوك الشام من اليمن [من غسان] وغيرهم ، و [ما كان من] أخبارهم .
 ذكر البوادي من العرب ، وغيرهم من الأمم ، وعلة سكناها البدو ،
 وأكراد الجبال ، وأنسابهم ، وجمل من أخبارهم ، وغير ذلك مما اتصل
 بهذا الباب .

ذكر ديانات العرب ، وآرائها في الجاهلية ، وتفرقتها في البلاد ، وأخبار
 أصحاب القيل ، وأمر الأحابيش ، وغيرهم ، وعبد المطاب ، وغير ذلك مما
 يلحق بهذا الباب .

ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهائم والصفر ، وأخبارها في ذلك
 ذكر أقاويل العرب في التغول والغيلان ، وما قاله غيرهم من الناس
 في ذلك ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني .

ذكر أقاويل الناس في الهواتف والجان ، من العرب وغيرهم ممن أثبت
 ذلك ونفاه .

ذكر ما ذهب إليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والساح والبارح ،
 وغير ذلك .

ذكر الكهانة ووصفتها ، وما قاله الناس في ذلك من أخبارها ، وحد
 الناطقة وغيرها من النفوس ، وما قيل فيما يراه النائم ، وما اتصل بهذا الباب .
 ذكر جمل من أخبار الكهان ، وسيل العرم بأرض سبأ ومأرب ،
 وتفرق الأزدي في البلدان وسكنام في البلاد .

ذكر سني العرب والمعجم ، وشهورها ، وما اتفق منها وما اختلف .
 ذكر شهور القبط والسريانيين ، والخلاف في أسمائها ، وجمل من
 التاريخ ، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى .

ذكر شهور السريانيين ، ووصف موافقتها لشهور الروم ، وعدد أيام
 السنة ، ومعرفة الأنواء .

ذكر شهور الفرس ، وما اتصل بذلك .
 ذكر أيام الفرس ، وما اتصل بذلك .
 ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها .
 ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية ، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى .
 ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم ، وجمل مما قيل في ذلك مما
 اتصل بهذا الباب .
 ذكر أرباع العالم^(١) [والطبائع والأهوية] ، وما خص به كل جزء منه ،
 من الشرق والغربي واليمنى والجنوبى ، وغير ذلك من سلطان الكواكب .
 ذكر البيوت المعظمة ، والهياكل المشرفة ، وبيوت النيران والأصنام ،
 وعبادات الهند ، وذكر الكواكب ، وغير ذلك من عجائب العالم .
 ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين ، ووصفها .
 ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة ، ووصفها .
 ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم ، ووصفها .
 ذكر بيوت معظمة وهياكل مشرفة للصابئة من الحرثانيين ، وغيرها ،
 وما فيها من العجائب والأخبار وغيرها^(٢) .
 ذكر الأخبار عن بيوت النيران ، وكيفية بنائها ، وأخبار الجوس فيها ،
 وما لحق ببنائها .
 ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وما اتصل بهذا الباب [من العلوم] .
 ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب .
 ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام ، وما كان في ذلك إلى هجرته صلى الله
 عليه وسلم .

(١) في ب « ذكر أنواع العالم » وما بين الحاصرتين ساقط من ب .

(٢) في ا « والأخبار عنها » .

ذكر هجرته ، وجوامع مما كان في أيامه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .
 ذكر الأخبار عن أمورٍ وأحوالٍ كانت من مولده إلى حين وفاته
 صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما بدىء به عليه الصلاة والسلام من الكلام ، مما لم يحفظ قبله
 عن أحد من الأنام .

ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونسبه ، ولع من أخباره وسيره .
 ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونسبه ، ولع من أخباره وسيره .
 ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ونسبه ، ولع من أخباره وسيره .
 ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونسبه ، ولع من أخباره وسيره .
 ونسب إخوته وأخواته .

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه ، وما كان فيه من الحروب ، وغير ذلك .
 ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفتين .
 ذكر الحكيم ، وبدء التحكيم .

ذكر حروبه رضي الله عنه مع أهل النهروان ، وهم الشراة ، وما لحق
 بهذا الباب .

ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر لع من كلامه ، وزهده ، وما لحق بهذا المعنى من أخباره .

ذكر خلافة الحسن بن [علي بن] أبي طالب رضي الله عنه ، ولع من
 أخباره وسيره .

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان ، ولع من أخباره وسيره ، ونوادير من
 بعض أخباره .

ذكر جعل من أخلاق معاوية وسياسته ، وطرف من عيون أخباره .

ذكر الصحابة ومدحهم ، وعلي بن أبي طالب والعباس رضي الله عنهم ، وفضلهم .

ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ومن قتل من أهل بيته وشيعته .

ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر لمع من أخبار يزيد بن معاوية وسيره ، ونوادير من بعض أفعاله ، وما كان منه في الحرّة وغيرها .

ذكر أيام معاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، والمختار بن أبي عبيد ، وعبد الله بن الزبير ، ولمع من أخبارهم وسيرهم ، وبعض ما كان في أيامهم .
ذكر أيام عبد الملك بن مروان ، ولمع من أخباره وسيره ، والحجاج بن يوسف ، وأفعاله ، ونوادير من أخباره .

ذكر لمع من أخبار الحجاج بن يوسف وخطبه ، وما كان منه في بعض أفعاله .

ذكر أيام الوليد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره [وما كان من الحجاج في أيامه] .

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضي الله عنه .
ولمع من أخباره وسيره وزُهدِهِ .

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر أيام هشام بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر أيام الوليد بن يزيد عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .

ذكر أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ولمع من أخبارهما .

ذكر السبب في العصبية بين اليمانية والنزارية ، وما وُلد ذلك على بني أمية من الفتنة .

ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وحروبه ، ومقتله .

ذكر مقدار المدة من الزمان ، وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام .
 ذكر الدولة العباسية ، ولع من أخبار مروان ، ومقتله ، وجوامع من
 حروبه وسيره .

ذكر خلافة السفّاح ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة أبي جعفر المنصور ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المهدي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الهادي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الرشيد ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر البرامكة وأخبارهم ، وما كان منهم في أيامهم .
 ذكر خلافة الأمين ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المأمون ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتصم ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الواثق ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المتوكل ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المنتصر ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المستعين ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتز ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المهدي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتمد ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتضد ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المكتفي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة القادر ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الرضا ، وجمل من أخباره وسيره ، ولع مما كان في أيامه .

ذكر خلافة المتقي لله ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المستكفي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المطيع ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان قد جرى في أيامه .
 ذكر جامع التاريخ الثاني : من الهجرة إلى هذا الوقت ، وهو جمادى
 الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقد انتهينا فيه إلى الفراغ من هذا
 الكتاب .

ذكر من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ،
 وهو آخر الكتاب .

[ذكر جمل ألقابهم وما ورد عن ذوى الدراية في أعدادهم]^(١) .

قال المسعودي : فهذه جوامع^(٢) ما حوى هذا الكتاب من الأبواب ،
 على أنه [قد] يأتي في كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الأخبار
 والآثار ما لم تأت عليه تراجم الأبواب ، وهو مرتب على حسب ما قدمناه
 من أبوابه على تفصيل منا لتاريخ الخلفاء ومقادير أعمارهم^(٣) بأبوابٍ نُفِردَها
 عن سيرهم وأخبارهم ، ثم نعقب بعد ذلك بالفرار من أخبارهم ، والعيون
 من سيرهم ، والجوامع مما كان في أعصارهم ، وأخبار وزراءهم ، وما جرى
 من أنواع العلوم في مجالسهم ، مُلَوِّحِينَ [بذلك] إلى ما سلف من تصنيفنا ،
 وتقدم من تأليفنا ، في هذه المعاني والفنون .

وعدد [ما اجتمع من جميع] ما اشتمل [عليه] هذا الكتاب من الأبواب
 عدة أبواب
 الكتاب
 مائة [باب] واثنا وثلاثون باباً ، أولها ذكر جميع أغراض هذا الكتاب ،
 والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب ، وآخرها ذكر
 من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة [و ذكر
 جمل ألقابهم]^(١) .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ا . (٢) في ا « فهذا جوامع » .

(٣) في ا « ومقدار أعمارهم » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقى إلا بالله

الباب الثالث

ذكر المبدأ، وشأن الخليقة

وَذَرَاءَ التَّبْرِيَةِ

اتفق أهل العلم^(١) جميعاً من أهل الإسلام أن الله عز وجل خلق الأشياء على غير مثالٍ، وابتدعها من غير أصل، ثم روى عن ابن عباس وغيره « أن أول ما خلق الله عز وجل الماء، وكان عرشه عليه، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَانًا، فارتفع [الدخان] فوق الماء فسماه سماء، ثم أَيْبَسَ الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فَتَقَّهَا فجعلها سَبْعَ أَرْضِينَ، في يومين الأحد والاثنين، وخلق الأرض على حوت^(٢)، والحوت هو الذى ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) والحوت في الماء، والماء على الصفا، والصفا على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح، وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه: (يا بُنَيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير) فاضطرب الحوت فتزلزات الأرض، فأرست الله عليها الجبال فقربت الأرض، وذلك قوله تعالى: (وألقى فى الأرض رَواسي أن تميذبكم) وخلق الجبال فيها، وخلق أقوات أهاها، وسخرها^(٣) وما ينبى لها، فى يومين [فى] يوم الثلاثاء

(١) فى ١ « أهل الملة » .

(٢) ليس فى ذلك سنة صحيحة ولا دليل من العقل الواعى .

(٣) فى ١ « وشجرها وما ينبى لها » .

والأربعاء ، وذلك قوله تعالى: (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين) فكان ذلك الدخان من نفسِ الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبعة في يومين في يوم الخميس والجمعة ، وإنما سمي الجمعة لأن الله جمع فيه خلق السموات والأرض، ثم قال: (وأوحى في كل سماء أمرها) يقول: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد ، وأن سماء الدنيا من زمردة خضراء ، والسماء الثانية من فضة بيضاء ، والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء ، والسماء الرابعة من درة بيضاء، والسماء الخامسة من ذهب أحمر ، والسماء السادسة من ياقوتة صفراء، والسماء السابعة من نور ، قد طبقها الله بملائكة قيام على رجلٍ واحدة تعظيماً لله لقربهم منه، قد خرقت أرجلهم الأرض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت الأرض السابعة ، وروءوسهم تحت العرش من غير أن تبلغ العرش، وهم يقولون: لا إله إلا الله ذو العرش المجيد ، فهم على ذلك منذ خلقوا إلى أن تقوم الساعة، وتحت العرش بحر تنزل منه أرزاق الحيوان ، يوحى الله تعالى إليه فيمطر ما شاء الله من سماء إلى سماء ، حتى ينتهي إلى موضع يقال له الأبرم، فيوحى الله إلى الريح فتحمله إلى السحاب فتغربه ، وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يطفح فيه من الدواب مثل ما في بحور الأرض مستمسك بالقدرة ، وأن الله تعالى أسكن ظهر الأرض - لما فرغ من خلقها - الجن ، قبل آدم ، فجعلهم من مارج من نار ، وإبليس فيهم ، فنهاهم الله أن يسفكوا دم البهائم ، وأن يظهر والمعصية بينهم، فسفكوا وعدا بعضهم على بعض، فلما رام إبليس لا يقبلون عن ذلك سأل الله تعالى أن يرفعه إلى السماء ؛ فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة، وأرسل الله إلى الجن - وهم حزب إبليس - قبيلة من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحار

وَقَتَلُوا مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَجَعَلَ اللَّهُ إِبْلِيسَ عَلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا خَازِنًا ، فَوَقَعَ فِي صَدْرِهِ كِبْرًا^(۱) .

ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخَاقَ آدَمَ فَقَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) فَقَالُوا : رَبَّنَا وَمَا يَكُونُ^(۲) ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ ؟ قَالَ : تَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَتَحَاسَدُونَ ، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالُوا : رَبَّنَا (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟) قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيْلَ إِلَى الْأَرْضِ لِيَأْتِيَهُ بَطِينٌ مِنْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ : إِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ أَنْ تَنْقُصَنِي ! ! فَرَجَعَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا [وَقَالَ : يَا رَبِّ ، إِنْهَا عَادَتْ بِكَ] ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مِيكَائِيلَ فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا ، فَبَعَثَ اللَّهُ مَلِكَ الْمَوْتِ فَعَادَتْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، فَقَالَ : وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَنْفِذِ الْأَمْرَ ، فَأَخَذَ مِنْ تَرَبَّةِ سُودَاءٍ وَحُمْرَاءٍ وَبَيْضَاءٍ ؛ فَلِذَلِكَ خَرَجَ بَنُو آدَمَ مُخْتَلِفِينَ فِي الْأَلْوَانِ ، وَسُمِّيَ آدَمُ ، لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . وَوَكَّلَ اللَّهُ مَلِكَ الْمَوْتِ بِالْمَوْتِ ، وَجَبَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، [وَتَرَكَه] حَتَّى صَارَ طِينًا لَازِبًا يَلْزِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ تَرَكَه حَتَّى أَتَتْهُ وَتَغَيَّرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ) أَي : مُتَغَيَّرٍ مَمْتَنٍ ، ثُمَّ صَوَّرَهُ وَتَرَكَهُ بِالرُّوحِ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَمُرُّ بِهِ فَيَفْزَعُونَ مِنْهُ ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ فِزَعًا إِبْلِيسَ ، كَانَ يَمْرِبُهُ فَيَضْرِبُهُ بِرِجْلِهِ ، فَيُظْهِرُ لَهُ صَوْتَهُ كَظُهُورِهِ مِنَ الْفَخَّارِ وَتَكُونُ لَهُ صَلْصَلَةٌ ، وَذَلِكَ

(۱) فِي ۱ « فَوَقَعَ فِي صَدْرِهِ الْكِبْرَ » .

(۲) فِي ۱ « وَمَنْ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ » .

قوله تعالى : (من صلصال كالفخار) وقد قيل : إن الصلصال غير ما ذكرناه، وكان إبليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ، و يقول : لأمر ما خلقت ، فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس (أبى واستكبر) وقال : يا رب (أنا خير منه ، خلقتني من نار و خلقتهم من طين) والنار أشرف من الطين ، وأنا الذي كنت مستخلفاً في الأرض ، وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور ، والمتوج بالكرامة ، وأنا الذي عبدتك في سمائك وأرضك ، فقال الله تعالى : (فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) فسأل الله المهلة إلى يوم يُبعثون ، فأنظره الله إلى يوم الوقت المعلوم ، وذهب على إبليس المعنى الذي له ومن أجله أمر آدم بالسجود : فمن الناس من رأى أن آدم كان محراباً للمأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل ، وموافقة الأمر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والحنة الواقعة بالكافرين ، ومنهم من رأى غير ذلك ، ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه ؛ فكان كلما دخل في بعضه الروح ^(١) يذهب ليجلس فقال الله تعالى : (وكان الإنسان عجولاً) ولما تابع ^(٢) فيه الروح عطس ، فقال الله له : قل الحمد لله ، يرحمك الله يا آدم .

قال المسعودي : وما ذكرناه من الأخبار في مبدأ الخليفة هو ما جاءت به الشريعة ^(٣) ، ونقله الخلف عن السلف ، والباقي عن الماضي ، فعبرنا عنهم على حسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم ، مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضحها بكونه ، ولم نتعرض لوصف قول من وافق ذلك وانقاد إليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ، ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم ؛ لذا ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وقد ذكرنا في مواضع كثيرة

(١) في ١ « فكان كلما حلت في بعضه الروح ذهب ليجلس » .

(٢) في ١ « فلما تباع فيه الروح عطس » .

(٣) أغلب هذا التفصيل إسرائيلي ولا يثبت وكل ما ليس في القرآن نصاً لا يوثق به .

من كتابنا هذا جُملاً من علوم النظر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحل [وذلك] على طريق الخبر .

وَرَوَى عَنْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : إن الله حين شاء تقدير الخليفة وذُرء البرية وَإِبْدَاع المَبْدَعَاتِ نَصَبَ الخلق في صور كالهَبَاءِ قبل دَحْو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح^(١) نوراً من نوره فلمع، و[نزع] قِبَساً من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقال الله عز من قائل : أنت المختار المُنْتَخَبُ ، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطحُ البطحاء، وأمْرُجُ الماء ، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيقٌ ولا يُعيبهم خفي^(٢) ، وأجعلهم حجتي على برّيتي، والمنبئين على قدرتي ووحدانيتي، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص وبالوحدانية فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب بصفات الخلق انتخب محمد وآله^(٣) ، وأراهم أن الهداية معه والنور له والإمامة في آله ؛ تقدماً لسنة العدل ، وليكون الإغذارُ متقدماً ، ثم أخفى الله الخليفة في غيبه ، وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوامل وبسط الزمان ، ومَرَجَ الماء، وأثار الزبد ، وأهاج الدخان ، فطفا عرشه على الماء ، فسطح الأرض على ظهر الماء [وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء] ثم استجلبها إلى الطاعة فأذعننا بالاستجابة ، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها ، وأرواح اخترعها ، وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

(١) في ا « فأساح » .

(٢) في ا « ما لا يخفي عليهم دقيق ، ولا يغيب عنهم خفي » .

(٣) في ب « قبل أخذ ما أخذ جل شأنه بصفات الخلق انتخب محمد وآله »

فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض ، فلما خلق آدم أبان فضله للملائكة ، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء ؛ فجعل الله آدم محر ابوا كعبة و بابا و قبلة أسجد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار ، ثم نبه آدم على مستودعه ، وكشف له [عن] خطر ما ائتمنه عليه ، بعد ما سماه إماما عند الملائكة ، فكان حظ آدم من الخير ما أراه^(١) من مستودع نورنا ، ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان إلى أن فضل محمداً صلى الله عليه وسلم في ظاهر الفترات ، فدعا الناس ظاهراً وباطناً ، وندبهم سرّاً وإعلاناً ، واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّ قبل النسل ؛ فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدى إلى سره ، واستبان واضح أمره ، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط ، ثم انتقل النور إلى غرائزنا ، وابع في أممتنا ؛ فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض ، فبنا النجاة ، ومنا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأمور ، وبمهدينا تنقطع الحجج ، خاتمة الأئمة ، ومنقذ الأمة ، وغاية النور ، ومصدر الأمور ، فنحن أفضل المخلوقين ، وأشرف الموحدين ، وحجج رب العالمين ؛ فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا ، وقبض على عرّوتنا ، فهذا ما روى عن أبي عبد الله جعفر ابن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولم تتعرض لكثير من أسانيد هذه الأخبار وطرقها ؛ لأننا قد أتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل بمن ذكرناها عنه وعزّوناها إليه فيما سلف من كتبنا خوف الإكثار والتطويل في هذا الكتاب .

وأما ما وجد في التوراة فهو أن الله تعالى ابتداء الخلق في يوم الاثنين ، وكان انتهاء الفراغ يوم السبت ، فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيداً ، وزعم

(١) في « ثناؤه بمستودع » .

أهل الإنجيل أن المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الأحد؛ فآخذوا ذلك اليوم عيداً. أما ما ذهب إليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو أن الابتداء كان يوم الأحد والفراغ يوم الجمعة، وفيه نُفِخَ في آدم الروح، وهو اليوم السادس من نيسان، ثم خلقت حواء من آدم، وأسكننا الجنة ثلاث ساعات مضت منه، فكثرت ثلاث ساعات، وهو ربيع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا، وأهبط الله آدم بسرنديب، وحواء بمجدة، وإبليس بيسان، والحية بأصبهان، فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب، على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة، فببس، فذرتهُ الرياح، فانتثر في بلاد الهند، فيقال والله أعلم: إن علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب، وكذلك الجبل، لمعت عليه اليواقيت، وكان من المساس، وفي جزائر بحره السبازج، وفي قعره مغائص اللؤلؤ، وإن آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها ومعه صرة من الخنطة وثلاثون قضيباً من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار: منها عشرة مما له قشر، وهي: الجوز، واللوز، والجلوز، وهو البندق، والفسق، والخشخاش، والشاهبلوط، والرائج، والرثمان، والموز، والبلوط، ومنها عشرة ذات نوى، وهي: الخوخ، والمشمش، والإجاص، والرطب، والغيراء، والنبق، والزعرور، والعناب، والمقل، والشاهلوج^(١) [وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الإجاص] ومنها عشرة مما لا قشر لها ولا حجاب دون مطعمها^(٢) ولانوى داخلها، وهي: التفاح، والسفرجل، والعنب، والكمثرى، والتين، والتوت، والأترج، والقثاء، والخيار، والخروب^(٣)، ويقال: إن آدم لما أهبط من الجنة هو وحواء هبطاً

(١) في ١ « والقراصيا » وسقط منها ما بين الحاصرتين .

(٢) نقل ذلك ابن جرير أيضاً (ج ١ ص ٦٤) ولكنه قال : « وأما التي

لافسور لها ولا نوى » .

(٣) في ١ « والبطيخ » بدل « والخروب » وليس البطيخ مما لا حجاب دون مطعمه

متفارقين ؛ فتعارفا بالموضع الذي يسمى عَرَفةً ، وتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية ، وقيل غير ذلك ، وإن آدم عليه السلام تآقَ إلى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وأنتى ؛ فسمى الذكر قايِن والأنتى لويذاً^(١) ، ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضاً على ذكر وأنتى ؛ فسمى الذكر هايبيل والأنتى أقليمياء ، وقد تنوزع في اسم الولد الأول منهما : فذهب الأكثر من أهل الكتاب وغيرهم أن اسمه قايِن على ما ذكرنا ، ومنهم من رأى أن اسمه قايبل وهو قول فريق من الناس ، والأغلب ما قدّمناه^(٢) ، وقد ذكر علي بن الجهم في قصيدته في بدء الخلق والذّرء ذلك ، فقال :

واقْتنِيا الابنَ فسمى قايِنا وعائِنا مِن نَشْتِهِ ما عايِنا
فشبَّ هايبيلُ وشبَّ قايِنُ ولم يكن بينهما تبايُنُ

وذكر أهل الكتاب أن آدم زوّج أخت هايبيل لقايِن ، وأخت قايِن لهايبيل ، وفرق في النكاح بين البطنين ، وهذه [كانت] سُنَّةَ آدم عليه السلام احتياطاً لأقصى ما يمكنه في ذوى المحارم لموضع الاضطراب وعجز النسل عن التباين والاعتراب . وقد زعمت الجوس أن آدم لم يخالف في النكاح بين البطون ولم يتحرَّ المخالفة ، ولهم في هذا المعنى سر يدعون فيه الفضل في صلاح الحال بتزويج الأخ من أخته والأم من ابنها ، وقد أتينا به في الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم بـ « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، من الأمم الماضية ، والأجيال الخالية ، والممالك الدائرة » وإن هايبيل وقايِن قريباً قرباناً فتحرَّى هايبيل أجود غنمه وأجود طعامه فقربه ، وتحرى قايِن شرماله وقربه ، فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز

(١) في « ليذاء » .

(٢) هذا الذي لم يرق صاحب الكتاب قدحكاه كثير من المؤرخين منهم شيخهم ابن جرير الطبري . والاختلاف في هذه الأسماء على كل حال مما لا طائل تحته ، ولا يصح فيه شيء .

من قتل قاین هاییل ، ويقال : إنه اغتاله في بركة قاع ، ويقال : إن ذلك كان : زاد دمشق من أرض الشام ، وكان قتله شذخاً بحجر ، فيقال : إن الوحوش هنالك استوحشت من الإنسان ، وذلك أنه بدأ [فبلغ الغرض] بالبشر والقتل ، فلما قتله تحير في توريته ، وحمله يطوف به الأرض ، فبعث الله غراباً إلى غراب فقتله ودفنه ، فأسف قاین ثم قال ما حكاه القرآن عنه : (يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) فدفنه عند ذلك ، فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع رهلع .

قال المسعودی : وقد استفاض في الناس شعر يعزونه إلى آدم ، أنه قال حين حزن على ولده وأسف على فقده ، وهو :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحٌ
تَغْيِرُ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الصَّبِيحُ^(۱)
وَبَدَّلَ أَهْلَهَا سَخَطًا وَأَثَلًا بَجْنَاتٍ مِنَ الْفَرْدَوْسِ فَيَحُ
وَجَاوَرْنَا عَدُوًّا لَيْسَ يَنْسَى لَعِينٌ لَا يَمُوتُ قَنْسَرِيحٌ
وَقَتَلَ قَايِنٌ هَايِيلَ ظَلَمًا فَوَا أَسْفَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
فَمَا لِي لَا أَجُودُ بِسَكْبٍ دَمَعٌ وَهَابِيلُ تَضَمَّنَهُ الضَّرِيحُ
أَرَى طَوِيلَ الْحَيَاةِ عَلَى غَمَا وَمَا أَنَا مِنْ حَيَاتِي مُسْتَرِيحٌ

ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والأنساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه إبليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه ، وهو يقول :

(۱) من الناس من يروي هذا البيت بنصب بشاشة من غير تنوين ورفع الوجه الصبيح على أنه فاعل قل ، وذلك ليسم الشعر من الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي . ومنهم من يرفع بشاشة على الفاعلية ويضيفها إلى ما بعدها فيكون في البيت إقواء ، والخطب يسير ، فإن هذا الشعر مصنوع قد تكلف صانعه فيه هذا ليدل فيما ظن على أنه متقدم العهد حتى ليرقى إلى آدم أبي البشر . وهو مالا نكاد نصدقه أصلاً .

تَنَحَّ عَنِ الْبِلَادِ وَسَاكِنِيهَا فَقَدْنِي الْأَرْضِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
 وَكُنْتَ زَوْجَكَ الْحَوَاءَ فِيهَا أَدَمُ مِنْ أَدَى الدُّنْيَا مَرِيحُ
 فَمَا زَالَتْ مَكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ قَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّبِيحُ
 فَلَوْلَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ أَضَحَّتْ بِكَفِّكَ مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ رِيحُ^(١)

وجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتاً ولا يرى شخصاً وهو يقول
 بيتاً آخر مفرداً دون ما ذكرنا من هذا الشعر ، وهو هذا البيت :

أبا هابيلَ قد قتلَ جميعاً وصارَ الحىُّ بالميتِ الذَّبيحِ

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزناً وجزعاً على الماضي والباقي ، وعلم أن
 القاتل مقتول ؛ فأوحى الله إليه إني مخرج منك نوري الذي به السلوك في
 القنوات الطاهرة والأرومات الشريفة ، وأباهي به الأنوار ، وأجعله خاتم
 الأنبياء ، وأجعل آله خيار الأئمة الخلفاء ، وأختم الزمان بمدتهم ، وأغص
 الأرض بدعوتهم ، وأنشرها بشيعتهم^(٢) ، فشمّر وتطهر ، وقدس ، وسبح ،
 وانغش زوجتك على طهارة منها ، فإن ودبعتي تنتقل منكما إلى الولد الكائن
 منكما ، فواقع آدم حواء ، فحملت لوقتها ، وأشرق جبينها ، وتلاألأ النور في
 مخايلها ، ولع من محاجرها ، حتى إذا انتهى حملها وضعت نسمة كاسر
 ما يكون من الذُّكران ، وأتمهم وقاراً ، وأحسنهم صورة ، وأكملهم
 هيئة ، وأعد لهم خلقاً ، مجللاً بالنور والهيبة ، موشحاً بالجلالة والأبهة ، فانتقل
 النور من حواء إليه حتى لمع في أسارير جبهته ، وبسق في غرّة طلعتة ، فسماه
 آدم شيئاً ، وقيل شيث هبة الله ، حتى إذا ترعرع وأبفع وكل واستبصر
 أوغز إليه آدم وصيته ، وعرفه محل ما استودعه ، وأعلمه أنه حجة الله

(١) في « فلولا رحمة الجبار » .

(٢) في « وأنيرها بشيعتهم » .

بعده ، وخليفته في الأرض ، والمؤدّي حق الله إلى أوصيائه ، وأنه ثانی انتقال الذرّة الطاهرة ، والجُرثومة الزاهرة .

وصية آدم
لشيث ثم وفاته
ثم إن آدم حين أدى الوصية إلى شيث احتَقَبَهَا ، واحتفظ بمكنونها ، وأتت وفاة آدم عليه السلام ، وقرب انتقاله ، فتوفى يوم الجمعة لست خلون من نيسان ، في الساعة التي كان فيها خلقه ، وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان قد وصى ابنه شيثاً عليه السلام على ولده ، ويقال: إن آدم مات عن أربعين ألفاً من ولده وولد ولده .

وتنازع الناس في قبره ؛ فمنهم من زعم أن قبره بمي في مسجد الخيف ، ومنهم من رأى أنه في كهف في جبل أبي قبيس ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بحقيقة الحال .

حكم شيث
ابن آدم
وإن شيثاً حكم في الناس ، واستشرع صحف أبيه وما أنزل عليه في خاصته من الأسفار والأشراع ، وإن شيثاً واقع امرأته فحملت بأنوش ، فانتقل النور إليها ، حتى إذا وضعت لآح النور عليه ، فلما بلغ الوصاة أوعز إليه سيث في شأن الوديعة [وعرفه شأنها] وأنها شرفهم [وكرمهم] وأوعز إليه أن ينبّه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله ، وأن ينهبوا أولادهم عليه ، ويجعل ذلك [فيهم] وصية منتقلة ما دام النسل .

فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن إلى قرن ، إلى أن أدّى الله النور إلى عبدالمطلب وولده عبدالله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا موضع تنازع بين الناس من أهل الملة ، ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار، والقائلون بالنص هم [الإباضية] أهل الإمامة من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والظاهرين من ولده الذين زعموا أن الله لم يُخلِ عصراً من الأعصار من قائم بحق الله: إما أنبياء، وإما أوصياء منصوص على أسمائهم وأعيانهم من الله ورسوله، وأصحاب الاختيار هم فقهاء الأمصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير

من أصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية ؛ فزعم هؤلاء أن الله ورسوله فوّض إلى الأمة أن تختار رجلاً منها فتنصبه لها إماماً ، وأن بعض الأعصار قد يخلو من حجة الله ، وهو الإمام المعصوم عند الشيعة ، وسند ذكر فيما يرد من هذا الكتاب لُمعاً من إيضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتباين المختلفين .

وإن أنوش قد لبث في الأرض يعمرها ، وقد قيل - والله أعلم - إن أنوش بن شيث شيئاً أصل النسل من آدم دون سائر ولده ، وقيل غير ذلك ، [وكانت وفاة شيث وقد مضت له تسعمائة سنة واثنان عشرة سنة] وفي زمن أنوش قُتل قايْنُ ابنُ آدم قاتلُ أخيه هايبيل ، ولقته خبر عجيب قد أوردناه في « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الأول ، فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة ، وكان قد ولد له قينان ، ولاحَ النور في جبينه ، وأخذ عليه العهد ، فعمر البلاد حتى مات ، فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة ، وقد قيل : إن موته كان في تموز بعد ما ولد له مهلائيل ، فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة ، وقد ولد له لود ، والنور متوارث ، والعهد مأخوذ ، والحق قائم ، ويقال : إن كثيراً من الملامى أحدثت في أيامه ، أحدثها ولد قايْن قاتل أخيه ، ولولد قايْن مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قايْن ، [فنوع من الهند ممن يقر بآدم ينتسبون إلى هذا الشعب من ولد قايْن] وأكثر هذا النوع بأرض قمار من أرض الهند ، وإلى بلدهم أضيف العود القماري ؛ فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنين وثلاثين^(١) سنة ، وكانت وفاته في آذار .

وقام بعده ولده أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ، والصابئة تزعم أنه هو هرمس ، ومعنى هرمس عطار ، وهو الذي أخبر الله

(١) في « تسعمائة واثنين وستين سنة » .

عز وجل في كتابه أنه رفعه مكاناً علياً [وكانت حياته في الأرض ثلاثاً
سنة ، وقيل أكثر من ذلك] ، وهو أول من درز الدروز ، وخاط
بالإبرة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وكان قد نزل قبل ذلك على آدم
إحدى وعشرون صحيفة ، وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها
تهليل وتسبيح .

متوشح وقام بعده متوشح بن أخنوخ ، فعمر البلاد والنور في جبينه ، وولده
أولاد ، وقد تكلم الناس في كثير من ولده ، وإن البلغر والروس والصقالبة
من ولده ، وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ، ومات في أيلول .

ملك وقام بعده ملك ، وكان في أيامه كواهن واختلاط في النسل ، وتوفي ،
وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة^(١) .

نوح وقام بعده نوح بن ملك عليه السلام ، وقد كثر الفساد في الأرض ؛
فاشتدَّت دِيَا جِي الظلم ، فقام في الأرض داعياً إلى الله ، فأبوا إلا طغياناً
وكفراً ، فدعا الله عليهم ، فأوحى الله إليه أن اصنع الفلك ، فلما فرغ من
السفينة أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رمته ، وكان ركوبهم في
السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار ، فأقام نوح ومن معه
في السفينة على ظهر الماء - وقد غرق جميع الأرض - خمسة أشهر ، ثم أمر
الله تعالى الأرض أن تبتلع الماء والسماء أن تُقْلِع ، واستوت السفينة
على الجودي ، والجودي : جبل ببلاد بلسوري ، وجزيرة ابن عمر ببلاد
الموصل ، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ ، وموضع جُذُوح السفينة على
رأس هذا الجبل إلى هذه الغاية .

وذكر أن بعض الأرض لم يُسرع إلى بلع الماء ، ومنها ما أسرع
إلى بلعها عندما أمرت ، فما أطاع كان مأوّه عذباً إذا احتفر ، وما تأخر عن
القبول أعقبها الله بماء مِلْح [إذا احتفر ، وسبخ] وملاحات ، ورمال ،

(١) في « تسعمائة وتسعا وتسعين سنة » .

وما تخلف من الماء الذي امتنعت الأرض من بلعه انحدر إلى قعور مواضع من الأرض ، فمن ذلك البحار ، وهي بقية الماء الذي عصت أرضه أهلك به أم ، وسنذكر بعد هذا الموضوع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها .
ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة ، وهم : سام ، وحام ، أولاد نوح ويافت ، وكَنَانُهُ^(١) الثلاث أزواج أولاده ، وأربعون رجلا ، وأربعون امرأة ، وصاروا إلى سفح الجبل ؛ فابتنوا هنالك مدينة وسموها ثمانين ، وهو اسمها إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ودثر عقب هؤلاء الثمانين نفساً ، وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك بقوله : (وجعلنا ذريته هم الباقين) والله أعلم بهذا التأويل .

والتخلف عنه من ولده الذي قال له : (يا بني اركب معنا) هو يام .
وقسم نوح الأرض بين أولاده أقساما ، وخص كل واحد بموضع ، ودعا على ولده حام لأمر كان منه مع أبيه قداشتهر ، فقال : ماعون حام ، عبد [عنيد] يكون لإخوته ، ثم قال : مبارك سام ، ويكثر الله يافت ، ويحل يافت في مسكن سام .
ووجدت في التوراة أن نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين سنة ؛ فجميع عمر نوح تسعمائة وخمسون سنة [وقد قيل غير ذلك] .

فانطلق حام وأتبعه ولده ، فنزلوا مساكنهم في البر والبحر على حسب مساكن ما نذكره بعد هذا الموضوع من هذا الكتاب ، وسنذكر تفرق النسل في حام بن نوح الأرض ومساكنهم فيها من ولد يافت وسام وحام .
فأما سام فسكن وسط الأرض من بلاد الحرم إلى حضرموت إلى عمان مساكن سام إلى عالج ، فمن ولده إرم بن سام ، وإرنفشذ بن سام [بن نوح] .
ومن ولد إرم بن سام عاد بن عوص بن إرم [بن سام] وكانوا ينزلون الأحقاف من الرمل ، فأرسل إليهم هود .

(١) الكنات : جمع كنة — بفتح الكاف وتشديد النون — وتجمع أيضا على كنان، على غير قياس، وقد ورد في بعض الأصول « كنانة » والكنة : امرأة الابن

ثمود من ولد سام و ثمود بن عابر^(١) بن إرم بن سام ، وكانوا ينزلون الحِجْرَ بين الشام والحجاز ، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحاً ، وكان من أمرهم مع صالح ما قد اتضح أمره ، واشتهر خبره ، وسند ذكر بعد هذا الوضع من هذا الكتاب لعا من أخباره وأخبار غيره من الأنبياء عليهم السلام .

طسم وجديس وعمليق وأخوهما عمليق بن لاوذ بن إرم ، وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين ، ومنهم العماليق ، تفرقوا في البلاد ، وأخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس ، وسند ذكر في باب تنازع الناس في أنساب الفرس من هذا الكتاب من ألق كيومرت بأميم ، وقيل : إن أميا نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الأخباريون من العرب .

ونزل بنو عبيل بن عوص أخى عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام . وولد سام بن نوح ماش بن إرم بن سام ، ونزل بابل [على شاطيء الفرات] فولد نمرود بن ماش ، وهو الذى بنى الصَّرْحَ ببابل ، وجسَّرَ جِسْرًا ببابل على شاطيء الفرات ، وملك خمسمائة سنة ، وهو ملك النَّبِطِ ، وفى زمانه فرق الله الألسن : فجعل فى ولد سام تسعة عشر لساناً ، وفى ولد حام سبعة عشر لساناً ، وفى ولد يافث ستة وثلاثين لساناً ، واتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرقت الألسن ، وسند ذكر هذا فى موضعه الذى يوجد فى كتابنا هذا ، وتفرق الناس فى البلاد ، وما قالوا فى ذلك من الأشعار عند تفرقهم فى البلاد بأرض بابل ، ويقال : إن فالغ هو الذى قسم الأرض بين الأمم ، ولذلك سمي فالغ ، وهو فالغ : أى قاسم .

فالع بن صالح وأولاده وولد إرنخشذ بن سام بن نوح صالح ، فولد صالح فالغ بن صالح الذى قسم الأرض وهو جد إبراهيم عليه السلام ، وعابر بن صالح ، وابنه قحطان بن عابر ، وابنه يعرُب بن قحطان ، وهو أول من حيَّاه ولده تحية الملك « أنعم

(١) فى الطبرى « جابر بن إرم بن سام » (ج ١ ص ١١٥)

صَبَاحًا» و «أَبَيْتَ اللَّعْنَ» وقيل : إن غيره حَيَّ بهذه التحية من ملوك الحيرة ، وقحطان أبو اليمين كلها على حسب ما نذكر إن شاء الله تعالى في باب تنازع الناس في أنساب اليمين من هذا الكتاب ، وهو أول من تكلم بالعربية لإعرابه عن المعاني وإبانته عنها ، ويقطن بن عابر بن شالخ هو أبو جرهم وجرهم بنوعم يعرب ، وكانت جُرْهُمُ ممن سكن اليمين وتكلموا بالعربية ، ثم نزلوا بمكة فكانوا بها ، على حسب ما نوردته من أخبارهم ، وقطورا بنوعم لهم ، ثم أسكنها الله إسماعيل عليه السلام ، ونكح في جرهم ؛ فهم أخوال ولده .

وذكر أهل الكتاب أن ملك بن سام بن نوح حي ؛ لأن الله عز وجل أوحى إلى سام : إن الذي وكلته بجسد آدم أبقيته إلى آخر الأبد ، وذلك أن سام ابن نوح دَفَنَ تابوت آدم في وسط الأرض ، وكَلَّ لَمَكًا بقبره ، وكانت وفاة سام يوم الجمعة ؛ وذلك في أيلول ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل ستائة سنة .

وكان القيم بعد سام في الأرض ولده إرنخشد ، وكان عمره إلى أن قبضه إرنخشد بن سام الله عز وجل أربعائة سنة وخمسا وستين سنة ، وكانت وفاته في نيسان .

ولما قبض الله إرنخشد قام بعده ولده شالخ بن إرنخشد ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل أربعائة سنة وثلاثين سنة .

ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده عابر ؛ فعمر البلاد ، وكانت في أيامه كوائن وتنازع في مواضع من الأرض ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل إليه ثلثائة سنة وأربعين سنة .

ولما قبض الله عابر قام بعده ولده فالغ على نهج من سلف من آباءه ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل مائتي سنة وثلاثين سنة^(١) ، وقد قدمنا ذكره في هذا الكتاب فيما سلف ، وما كان بأرض بابل عند تبدل الألسن .

ولما قبض الله فالغ قام بعده ولده رعو^(٢) بن فالغ ، وقيل : إن في زمنه كان مولد رعو بن فالغ

(١) في ١ « مائتي سنة وتسعا وثلاثين سنة » .

(٢) في ١ « رعو بن فالغ » .

نمرود الجبار ، وكان عمره إلى أن قبضه الله مائتي سنة ، وكانت وفاته في نيسان .
 ساروغ بن رعو ولما قبض الله رعو قام بعده ساروغ بن رعو ، وقيل : إنه في أيامه
 ظهرت عبادة الأصنام والصُّور ، لضروب من العلل أحدثت في الأرض
 [وشبه ذلك] ، وكان عمره إلى أن قبضه الله إليه مائتي سنة وثلاثين سنة .
 ناحور
 بن ساروغ ولما قبض الله ساروغ قام بعده ناحور بن ساروغ^(١) مقتدياً بمن سلف من
 آباءه ، وحدث في أيامه رجفٌ وزلازل لم تعهد فيما سلف من الأيام قبله ، وأحدثت في أيامه
 ضروب من المهن والآلات ، وكانت في أيامه حروب وتجزيب الأحزاب من
 الهند وغيرها ، وكان عمره إلى أن قبضه الله إليه مائة سنة وستاً وأربعين سنة .
 تارح بن ناحور ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده تارح^(٢) ، وهو آزر أبو إبراهيم
 الخليل ، وفي عصره كان نمرود بن كنعان ، وفي أيام نمرود حدثت في الأرض
 عبادة النيران والأنوار ، وجعل لها مراتب في العبادات ، وكان في الأرض
 هرج عظيم من حروب وإحداث كور وممالك بالشرق والغرب ، وغير
 ذلك ، وظهر القول بأحكام نجوم وصورت الأفلاك^(٣) ، وعملت لها الآلات ،
 وقُرِّبَ فهم ذلك إلى قلوب الناس ، فنظر أصحاب النجوم إلى طالع السنة
 التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام وماذا يوجب ، فأخبروا النمرود أن مولوداً
 يولد يُسَفِّه أحلامهم ، ويزيل عبادتهم ، فأمر النمرود بقتل الولدان ، وأخفى
 إبراهيم عليه السلام [في مغارة] ، ومات آزر ، وهو تارح ، وكان عمره
 إلى أن قبضه الله عز وجل مائتين وسبعين سنة ، والله الموفق للصواب .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ومن تلا عصره

من الأنبياء والملوك ، من بني إسرائيل وغيرهم
 ولما نشأ إبراهيم عليه السلام ، وخرج من المغارة التي كان بها ، وتأمل آفاق
 [الأرض و] العالم ، وما فيه من دلائل الحدوث والتأثير ، نظر إلى الزهرة وإشراقها

(٢) في ١ « تاريخ » .

(١) في ١ « ناحور بن ساروغ »

(٣) في ١ « وكورت الأفلاك » .

فقال : هذا ربي ، فلما رأى القمر أنور منها قال : هذا ربي ، فلما رأى الشمس أبهر مما رأى قال : هذا ربي هذا أكبر ، وقد تنازع الناس في قول إبراهيم « هذا ربي » ، فمنهم من رأى أن ذلك كان منه على طريق الاستدلال والاستخبار ، ومنهم من رأى أن ذلك كان قبل البلوغ وحال التكليف ، ومنهم من رأى غير ذلك ، فأناه جبريل فعلمه دينه ، واصطفاه الله نبياً وخليلاً . وكان قد أوتى رُشدَه من قبل ، ومن أوتى رشدَه فقد عصم من الخطأ والزلل وعبادة غير الواحد الصمد ، فعاب إبراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم الجوفات^(١) آلهة لهم ، فلما كثر عليهم ذم إبراهيم لأهلهم ، واستفاض ذلك فيهم اتخذ النمرود النار وألقاه فيها ، فجعلها الله برداً وسلاماً ، وخذت النار في سائر بقاع الأرض في ذلك اليوم .

مولد إسماعيل
ابن إبراهيم

وولد لإبراهيم إسماعيلُ عليهما السلام ، وذلك بعد أن مضى من عمره ست وثمانون سنة [أو سبع وثمانون سنة] وقيل : تسعون سنة^(٢) من هاجرَ جارية كانت لسارة ، وكانت سارة أول من آمن بإبراهيم عليه السلام ، وهي ابنة بتوايل بن ناحور ، وهي ابنة عم إبراهيم ، وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع ، وآمنَ به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور ، وهو ابن أخى إبراهيم عليه السلام .

وأرسل الله لوطاً إلى المدائن الخمس ، وهي : سدوم ، وعمورا ، وأدموتا ، أصحاب المؤتفكة وصاعورا ، وصابورا ، وإن قوم لوط هم أصحاب المؤتفكة ، وهذا الاسم مشتق من الإفك ، وهو الكذب على رأى من ذهب إلى الاشتقاق ، وقد ذكرهم الله في كتابه بقوله : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلي الأردن وبلاد فلسطين ، إلا أن ذلك في حيز الشام ، وهي مبقاة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خراباً

(١) في « النعوتات » . (٢) في ب « وقيل سبعون » .

لا أحد بها^(١)، والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس الشفار سوداء برآفة، فأقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم إلى الله فلم يؤمنوا، فأخذهم العذاب على حسب ما أخبر الله من شأنهم.

ولما ولد إسماعيل لإبراهيم من هاجر غارت سارة فحمل إبراهيم إسماعيل وهاجر إلى مكة فأسكنها بها، وذلك قوله عز وجل يخبر عن إبراهيم (رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) فأجاب الله دعوته، وآنس وحشتهم، بجرهم^(٢) والعماليق، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم.

وأهلك الله قوم لوط في عهد إبراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم. ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، فبادر إلى طاعة ربه، وتلّه للجبين؛ فقدها الله بذبح عظيم، ورفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل. ثم ولد لإبراهيم من سارة إسحاق عليه السلام، وذلك بعد مضي

مولد إسحاق

عشرين ومائة سنة من عمره.

وقد تنازع الناس في الذبيح، فمنهم من ذهب إلى أنه إسحاق، ومنهم من رأى أنه إسماعيل، فإن كان الأمر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح إسماعيل، لأن إسحاق لم يدخل الحجاز، وإن كان الأمر بالذبح وقع بالشام فالذبيح إسحاق، لأن إسماعيل لم يدخل الشام بعد أن حمل منه.

الذبيح من
ولد إبراهيم

وتوفيت سارة وتزوج إبراهيم بعد ذلك بقنطوراء^(٣)، فولد منها ستة ذكور، وهم: مرق^(٤)، ونفس، ومدن، ومدين، وسانان، وسرح، وتوفى إبراهيم بالشام، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا

أولاد إسحاق
ابن إبراهيم
الخليل

وتسعين^(٤) سنة، وأنزل الله عليه عشراً من الصحف.

وتزوج إسحاق بعد إبراهيم برفقا ابنة بتوايل؛ فولدت له العيص ويعقوب

(٢) في ١ « بقنطوراه » .

(١) في ١ « لا أنيس بها » .

(٣) في ١ « وهم مرن، ويقس، ومدان، ومدين، وسانان، وسوح » والخلط

في هذه الأسماء كثير . (٤) في ١ « مائة سنة وخمسا وسبعين سنة » .

في بطن واحد ، وكان البادىء منهما إلى الفصل عيص ، ثم يعقوب ، وكان لإسحاق في وقت مولدهما ستون سنة ، وذهب بصر إسحاق ؛ فدعا ليعقوب بالرياسة على إخوته والنبوة في ولده ، ودعا لعيص بالملك في ولده ، وكان عمر إسحاق إلى أن قبضه الله مائة وخمسة وثمانين سنة ، ودفن مع أبيه الخليل ، ومواضع قبورهم مشهورة ، وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم ومراعيه .

وقد كان إسحاق أمر ولده يعقوب بالمسير إلى أرض الشام وبشّره بالنبوة ونبوة أولاده الاثني عشر ، وهم : لاوى ، ويهوذا ، ويساخر^(١) ، وزبولون ، ويوسف ، وبنيامين ، ودان ، ونفتالى^(٢) ، وكان ، وإشار ، وشمعون ، وروبييل ، هؤلاء الأسباط الاثنا عشر ، والنبوة والملك في عقب أربعة منهم : لاوى ، ويهوذا ، ويوسف ، وبنيامين ، وكثر جَزَعُ يعقوب من أخيه العيص ، فأمنه الله من ذلك ، وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم ؛ فأعطى يعقوب لأخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفاً من سَطْوَتِهِ ، من بعد أن آمنه الله عز وجل من خوفه ، وأن لا سبيل له عليه ، فعاقبه الله في ولده لمخالفته لوعده ، فأوحى الله تعالى إليه : ألم تطمئن إلى قولى ؟ فلا تجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاماً ، وكانت المدة منذ أُخْرِبَتِ الروم بيت المقدس ، واستعبدت بنى إسرائيل إلى أن فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس .

وكان أحب ولد يعقوب إليه يوسف ؛ فحده إخوته على ذلك ، وكان من أمره مع إخوته ما قصَّ الله عز وجل في كتابه ، وأخبر به على لسان نبيه ، واشتهر ذلك في أمته .

وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر ، وهو ابن مائة وأربعين سنة ، وفاه يعقوب فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين ، عند تربة إبراهيم وإسحاق ، وقبض الله

(١) في « ويشعر » . (٢) في « وزان ونفتال وقاز وأشروما » .

وفاه يعقوب
ويوسف

يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة^(٣) ، وجعل في تابوت من الرخام ،
وسد بالرصاص ، وطلّى بالأظلية الدافعة للهواء والماء ، وطرح في نيل مصر
نحو مدينة مَنْفَ ، وهناك مسجده ، وقيل : إن يوسف أوصى أن يحمل
فيدفن عند قبر أبيه يعقوب في مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكان
في عصره أيوب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أيوب بن موص بن زراح
ابن رعوايل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وذلك في بلاد
الشام من أرض حوران والبثنية من بلاد [الأردن من بين] دمشق والجابية ،
وكان كثير المال والولد ، فابتلاه الله في نفسه وماله وولده ، فصَبَرَ ، ورد الله عليه
ذلك ، وأقاله عثرته ، واقتص ما اقتص من أخباره في كتابه على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم ، ومسجده والعين التي اغتسل منها في وقتنا هذا ، وهو
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين
دمشق وطبرية من بلاد الأردن ، وهذا المسجد والعين على ثلاثة أميال من
مدينة نوى ، أو نحو ذلك ، والحجر الذي كان يأوى إليه في حال بَلَاءِهِ
هو وزوجته — واسمها رحمة — في ذلك المسجد إلى هذا الوقت .

أيوب النبي

وذكر أهل التوراة والكتب الأولى أن موسى بن ميثاء بن يوسف بن
يعقوب نبي قبل موسى بن عمران ، وأنه هو الذي طلب الخضر بن ملكان
ابن فالغ بن عابور بن شالح بن إرنخشد بن سام بن نوح ، وذكر بعض أهل
الكتاب أن الخضر هو خضرون بن عمياثيل بن النفر بن العيص بن إسحاق
ابن إبراهيم ، وأنه أرسل إلى قومه فاستجابوا له .

فكان موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر في زمن
فرعون الجبار ، وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نعيم بن أبي الهلواس
ابن ليث بن هران بن عمرو بن عملاق ، وهو الرابع من فراعنة مصر ،
وقد كان طال عمره وعظم جسمه ، وكان بنو إسرائيل قد استرقوا بعد مضي
يوسف ، واشتد عليهم البلاء ، وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون

موسى بن
عمران

(١) في ١ « وله مائة وعشر سنين » .

أن مولوداً سيولد ويُرَبَّل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً عظيمة ، فجزع لذلك فرعون ، وأمر بذبح الأطفال ، وكان من أمر موسى ما أوحى الله عز وجل إلى أمِّه في أمره : أن اقدفيه في اليم ، فقذفته ، إلى آخر ما اقتصر من خبره ، وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان في ذلك الزمان شعيب^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو شعيب بن نويت^(١) بن رعوائل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم ، وكان لسانه عربياً ، وكان مبعوثاً إلى أهل مَدْيَنَ ، ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من فرعون مرّ بشعيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من أمره معه وترويح ابنته ما قد ذكره الله عز وجل .

وكلم الله موسى تكليماً ، وشدَّ عَضُدَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وبعثهما إلى فرعون ، فخالفهما ، فأغرق الله عز وجل فرعون ، وأمره الله عز وجل بالخروج بيني إسرائيل إلى التَّيِّهِ ، وكان عددهم ستائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ ، وكانت الألواح التي أنزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابة بالذهب ، فلما نزل من الجبل رأى قوماً من بني إسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم ، فارتعد ، فسقطت الألواح من يده ، فتكسرت ، فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله في الهيكل ، وكان هارون كاهناً ؛ وهو قِيمُ الْهَيْكَلِ^(٢) وأتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التَّيِّهِ ، وقبض الله هارون في التَّيِّهِ فدفن في جبل ومَوَاتٍ^(٣) من نحو جبل الشراة مما يلي الطور ، وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دوىً عظيم يجزع منه كل ذي روح ، وقيل : إنه غير مدفون ، بل هو موضوع في تلك

(١) في « ابن نويل » .

(٢) في « وكان هارون كاهن الهيكل ، وهو قِيمُ الزمان » .

(٣) في ب « في جبل مران من نحو جبل الشراء » .

المغارة ، ولهذا الموضع خبر عجيب [قد ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان عن
الأم ناضية والممالك الدائرة »] ومن وصل إلى هذا الموضع علم ما وصفنا ،
وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر ، وقبض الله هرون وهو [ابن
مائة وثلاث وعشرين سنة ، وقيل : إنه قبض وهو] ابن مائة وعشرين ،
وقيل : إن موسى قبض بعد وفاة هارون بثلاث سنين ، وإنه خرج إلى
الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر إلى العماليق
والقربانيين والمدنيين وغيرهم [ممن كانوا بالشام وغيرهم من الطوائف] على
حسب ما في التوراة ، وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف ، فاستم
مائة صحيفة ، ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية وفيها الأمر والنهي والتحريم
والتحليل والسنن والأحكام ، وذلك في خمسة أسفار ، والسفر يريدون به
الصحيفة ، وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب
من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا ، فصار^(١) الكاهن بعد
هارون يوشع بن نون من سبط يوسف ، وقبض الله موسى وهو ابن
عشرين ومائة سنة ، ولم يحدث لموسى ولا لهارون شيء من الشيب ،
ولا حالا عن صفة الشباب .

يوشع بن نون
الكاهن

ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون بيني
إسرائيل إلى بلاد الشام ، وقد كان غلب عليها الجبابة من ملوك العماليق
وغيرهم من ملوك الشام ، فأسرى إليهم يوشع بن نون سرايا ، وكانت له
معهم وقائع ، فافتتح بلاد أريحاء [وزغرا] من أرض الفور ، وهي أرض
البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقى ، ولا يتكون فيها ذو روح من سمك
ولا غيره ، وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم
وتأخر من عصره ، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية ، وهو الأردن ، وبدء
ماء بحيرة طبرية من بحيرة كفرلي والقرعون^(٢) من أرض دمشق ، فإذا

(١) في « نصار الكافل » . (٢) في ب « كقولى وفرعون » .

اتهى مصبُ نهر الأردن إلى البحيرة المنتنة خرقها واتهى إلى وسطها متميزاً عن مائها فيغوص في وسطها ، وهو نهر عظيم ، فلا يدري أين غاص من غير أن يزيد في البحيرة ولا ينقص منها ، ولهذا البحيرة — أعنى المنتنة — أخبار عجيبة وأقاصيص طويلة ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان عن الأمم الماضية والملوك الدائرة » وذكرنا أخبار الأحجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ، ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودي ، وذكرته الفلاسفة ، واستعمله أهل الطب لمن به وجع الحصى في المثانة ، وهو نوعان : ذكر ، وأنثى ؛ فالذكر للرجال ، والأنثى للنساء ، ومن هذه البحيرة يخرج الغبار^(١) المعروف بالحمة ، وليس في الدنيا والله أعلم بحيرة لا يتكون فيها ذوروح من سمك وغيره إلا هذه البحيرة ، وبحيرة ركبتهها ببلاد أذربيجان بين مدينة إرمينية والمراغة^(٢) ، وهي المعروفة هنا بكبودان^(٣) ، وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان في البحيرة المنتنة ، ولم يتعرضوا لبحيرة كبودان^(٣) ، وينبغي على قياس قولهم أن تكون عاتهما واحدة .

وسار ملك الشام — وهو السמידع بن هوبر بن مالك — إلى يوشع ابن نون ؛ فكانت بينهم حروب إلى أن قتله يوشع ، واحتوى على جميع ملكه ، وألحق به غيره من الجبابرة والعماليق ، وشن الغارات بأرض الشام ، وكانت مدة يوشع بن نون في بني إسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة ، وهو يوشع بن نون بن إفرايم بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وقيل : إن يوشع بن نون كان بدء محاربتة الملك العماليق — وهو السמידع — ببلاد أبلنة نحو مدين ؛ ففي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي :

(١) في « يخرج العكار » . (٢) في ب « بين أرمينية ومنازة » .

(٣) في ب « كبودان » .

ألم تر أن العَمَلَقِيَّ ابن هوبرٍ بأبيلةَ أمسى لَحْمُهُ قد تَمَزَّعا^(١)
 تَدَاعَتْ عَليه من يهود حَجَّافِلٍ ثمانين ألفا حاسرين ودُرَّعا
 فأمست عداداً للعالميق بعده على الأرض مشيا مصعدين وفُرَّعا
 كأن لم يكونوا بين أجيال مكة ولم يرَ راء قبل ذاك السَّيِّدعا

بلعم بن باعوراء وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن

باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط^(٢) بن هاران ، وكان مستجاب
 الدعوة ، فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون ، فلم يتأت له ذلك ،
 وعجز عنه ، فأشار على بعض ملوك العماليق أن يبرزوا الحدان من النساء نحو
 عسكر يوشع بن نون ففعلوا ، ففسر عوا إلى النساء فوق فيهم الطاعون ،
 فهلك منهم سبعون ألفا^(٣) ، وقيل أكثر من ذلك [وبلعم هو الذي أخبر
 الله عنه أنه آتاه الآيات فانسلخ منها]^(٤) وقيل : إن يوشع بن نون قبض
 وهو ابن مائة وعشرين سنة^(٥) .

كالب بن يوقنا وقام في بني إسرائيل بعد يوشع بن نون كالب بن يوقنا^(٦) بن بارض
 ابن يهوذا ، ويوشع وكالب الرجلان اللذان أنعم الله عليهما .

قال المسعودي : ووجدت في نسخة أن القائم في بني إسرائيل بعد وفاة
 يوشع بن نون كوشان الكفري^(٧) ، وأنه أقام فيهم ثمانين سنة^(٨) ،
 وهلك ، وملك عميائيل بن قاييل^(٩) من سبط يهوذا أربعين سنة ، وقيل :
 كوش جبار كان في آب^(١٠) من أرض البلقاء ، وإن بني إسرائيل كفرت

(١) في ب « العلقمي » .

(٢) في ا « بلعم بن باعوراء بن سموم بن فرستم بن ماب بن لوط بن هاران »

(٣) في ا « فهلك منهم تسعون ألفاً » (٤) ما بين الحاصرتين ساقط من ب

(٥) في ا « ابن مائة وعشرين سنين » . (٦) عن ا « كالب بن يوقنا » .

(٧) في ب « وشان الكفري » (٨) في ا « ثمانين سنين » .

(٩) في ب « عميائيل بن قائم » .

(١٠) في ا « وقتل كوش جبارا وكان بأرض البلقاء بماب » .

بعد ذلك فلما كان الله عليهم كنعان عشرين سنة ، وهلك ، فكان على بنى إسرائيل عمالال الأخباري^(١) أربعين سنة ، ثم قام شمويل^(٢) إلى أن وليهم طالوت ، وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين .

قال المسعودي : فأما على الرواية الأولى التي قدمنا ذكرها أن القيم بعد يوشع في بنى إسرائيل كالب بن يوقنا وأن القائم بعده في بنى إسرائيل والمدبر لهم فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران ثلاثين سنة ، وكان عمداً إلى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها في خابية نحاس ورصص رأسها ، وأتى بها صخرة بيت المقدس ، وذلك قبل بنائه ، فانفجرت ، فإذا مفارة فيها صخرة ثانية ، فوضع الخابية فيها ، وانضمت الصخرة على ذلك ككونها أولاً .

ولما هلك فنحاص بن العازر دبّر أمرهم كوشان الأثيم^(٣) ملك الجزيرة ، فتعبد بنى إسرائيل ، وأخذهم البلاء ثمان سنين ، ثم دبرهم عنيايل بن يوقنا أخو كالب من سبط يهوذا أربعين سنة ، ثم دبرهم أعلون ملك مواب بجهد شديد ثمان عشرة سنة ، ثم دبرهم أهوذ من ولد إفرايم خمساً وخمسين سنة ، وخمس وثلاثين سنة خلت من أيامه تم للعالم أربعة آلاف سنة ، وقيل غير ذلك من التاريخ ، ثم دبرهم شاعان بن أهوذ خمساً وعشرين سنة ، ثم دبرهم يابن الكنعاني^(٤) ملك الشام عشرين سنة ، ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا ، وقيل : إنها ابنته ، وضمت إليها رجلاً من سبط نفتالي يقال له باراق أربعين سنة ، ثم تداولتهم رؤوس من بنى مدين وهم عريب وريب ورسونا ودارع وصلنا تسع سنين^(٥) وثلاثة أشهر ، ثم دبرهم كدعون من آل منشا أربعين سنة ، وقتل ملوك مدين ، ثم ابنه أيبالح ثلاث سنين

(١) في ب « إعلان الأخباري » (٢) في ب « سمويه » .

(٣) في ب « كوشان بن لاسم » . (٤) في ب « فيلش الكنعاني » .

(٥) في ب « وهم عريب وريب ورسونا ودارع وصلنا سبع سنين وثلاثة أشهر » .

وثلاثة أشهر ، ثم دبرهم تولع من آل إفران ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم يامين
من آل منشا اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملوك عمان ثمانى عشرة سنة [وثلاثة
أشهر] ، ثم نحشون من بيت لحم سبع سنين ، [ثم شنشون عشرين سنة ،
ثم أمليج عشر سنين ، ثم عجران ثمانى سنين] ، ثم قهرهم ملوك فلسطين
أربعين سنة ، ثم عيلان الكاهن بعد ذلك أربعين سنة ، وفي زمانه ظفر
البابليون بني إسرائيل وغنموا التابوت ، وكان بنو إسرائيل يستفتحون
به ، فحملوه إلى بابل ، وأخرجوهم من ديارهم وأبناءهم ، وكان ما كان من
أمر قوم حزقييل ، وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم أوف حذر الموت ،
فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وكان قد أصابهم الطاعون ، فبقى منهم ثلاثة
أسباط ، فلحقت فرقة بالرمل ، وفرقة بشواحق الجبال ، وفرقة بجزيرة من
جزائر البحر ، وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا إلى ديارهم ، فقالوا
لحزقييل : هل رأيت قوماً أصابهم ما أصابنا ؟ قال : لا ، ولا سمعت بقوم
فروا من الله فراركم ، فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام ، فماتوا عن
آخرهم ، ودبر بنى إسرائيل بعد عيلان الكاهن شمویل بن بروحان
ابن ناحورا ، ونبيء فكث فيهم عشرين سنة ، ووضع الله عز وجل
عنهم القتال ، وصالح أمرهم ، فخلطوا بعد ذلك ، فقالوا لشمویل : ابعث لنا
ملكاً يقاتل معنا في سبيل الله ، فأمر بتملك طالوت ، وهو ساود^(١) بن
بشر بن إينال بن طرون بن بحرون بن أفيح بن سميداح بن فالخ
ابن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، فلكه الله
عليهم ، ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت ، وكان بين خروج موسى عليه
السلام ببني إسرائيل من مصر إلى أن ملك على بنى إسرائيل طالوت خمسمائة
سنة واثنان وسبعون سنة وثلاثة أشهر ، وكان طالوت دَبَّأًغا يعمل الأدم

طالوت
وجالوت

(١) في ا « وهو شاول بن قيس بن أنيال بن صارون بن نحورب بن أفيح

ابن بنيامين . »

فأخبرهم نبيهم شمويل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ، فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه : (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم) وأخبرهم نبيهم أن (آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكين من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة) وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين ، فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت ، واشتد سلطان جالوت ، وكثرت عساكره وقواده ، وبلغه انقياد بني إسرائيل إلى طالوت ، فسار جالوت من فلسطين بأجناس من البربر - وهو جالوت^(١) بن بايول بن ريال بن حطان بن فارس - فنزل بساحة بني إسرائيل ، فأمر شمويل طالوت بالمسير ببني إسرائيل إلى حرب جالوت ، فابتلاه الله عز وجل بنهر بين الأردن وفلسطين ، وساط الله عليهم العطش ، وقد قص الله ذلك في كتابه ، وأمروا كيف يشربون من النهر ، فولغه أهل الرية ولوغ الكلاب ، فقتلهم طالوت عن آخرهم ، ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم إخوة داود عليه السلام ، ولحق داود بإخوته ، فتوافق الجيشان جميعاً ، وكانت الحروب بينهما سجّالاً ، وندب طالوت الناس ، وجعل لمن يخرج إلى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته ، فبرز داود فقتله بحجر كان في مَخْلَاتِهِ ، رماه بمقلاع نخر جالوت ميتاً ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله : (وقتل داود جالوت) وقد ذكر أن الحجر الذي كان في مَخْلَاة داود كان ثلاثة أحجار ، فاجتمعت وصارت حجراً واحداً ، ولها أخبار قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وهي التي قتل بها جالوت ، وإن القوم الذين ولغوا في الماء وخالفوا ما أمروا به كان القاتل لهم طالوت . وقد أتينا على خبر الدرع التي كان أخبرهم نبيهم أنه لا يقتل جالوت إلا من صلحت عليه تلك الدرع إذا لبسها ، وأنها صلحت على داود ، وما كان من

(١) في ١ « وهو جالوت بن مالود بن دبال بن حطان بن فارس » .

هذه الحروب ، وخبر النهر الذى نشأ على رأسه ، وخبر تملك طالوت ، وأخبار البربر وبدء شأنهم ؛ فى كتابنا فى أخبار الزمان ، وسنورد بعد هذا جُملاً من أخبار البربر وتمرقهم فى البلاد فى الموضع اللائق بها من هذا الكتاب .

ورفع الله ذكر داود ، وأخّل ذكر طالوت ، وأبى طالوت أن يفي لداود بما تقدم من شرطه ، فلما رأى ميل الناس إليه زوّجه ابنته ، وسلم إليه ثلث الجبابة ، وثلث الحكم ، وثلث الناس . ثم حسده بعد ذلك وأراد اغتياله ، فمنعه الله عز وجل من ذلك ، فأبى داود أن ينافسه فى ملكه ، ونما أمر داود ، فبات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كمدأ ، وانقادت بنو إسرائيل إلى داود عليه السلام ، وكانت مدة ملك طالوت عشرين سنة ، وذكر أن الموضع الذى قتل فيه جالوت كان بيسان من أرض الغور من بلاد الأردن ، وألآن الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع ، وسخر له الجبال والطير يُسبّحنَ معه ، وحارب داود أهل مواب من أرض الباقاء ، وأنزل الله عز وجل عليه الزبورَ بالعبرانية خمسين ومائة سورة ، وجعله ثلاثة أثلاث : فثلث ما يلقون من بُخْتِ نَصْرٍ وما يكون من أمره فى المستقبل ، وثلث ما ياتون من أهل أثور ، وثلث موعظة وترغيب وتمجيد وترهيب ، وليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم ، واستقامت الأمور لداود ، ولحقت الخوارج من الكفار^(١) بأطراف الأرض لهيبة داود ، وبنى داود بيتاً للعبادة بأورشليم ، وهو بيت المقدس ، وهو البيت الباقى لوقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ويدعى بمحراب داود عليه السلام ، وليس فى بيت المقدس بناء هو أعلى منه فى هذا الوقت ، وقد يرى فى أعلاه البحيرة المنتنة ونهر الأردن المقدم ذكره ، وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل فى كتابه من خبره ، وقوله لأحدهما قبل استماعه من الآخر : (لَقَدْ ظَلَمَكَ) الآية ، وقد تنازع الناس

(١) فى ب « من الأكراد » .

في خطيئة داود : فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الأنبياء المعاصي وتعهد
الفسق وأنهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا ، وذلك قوله عز وجل :
(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق) ومنهم من
رأى أن ذلك كان من قصة أروياء بن حيان^(١) ومقتله على ما ذكرنا في
كتاب المبتدأ وغيره ، وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوماً كان
فيها صاعماً باكياً ، وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة .

نشأة سليمان
ابن داود

ونشأ سليمان بن داود عليه السلام ، وبرع ، ودأخل أباه في قضائه ،
فأتاه الله فصل الخطاب والحكم ، على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله
(وكلا آتينا حكماً وعلماً) .

ولما حضرت داود الوفاة أوصى إلى ولده سليمان ، وقبض ، فكان
ملكه أربعين سنة على فلسطين والأردن ، وكان عسكره ستين ألفاً أصحاب
سيوف جرداً مرزدا أصحاب بأس ونجدة .

وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام ثقيمان الحكيم ، لقمان الحكيم
وهو لقمان بن عنقاء بن مرشد بن صاوون^(٢) ، وكان نوبيا مولى للقين بن
جسر ، ولد على عشر سنين من ملك دواد عليه السلام ، وكان عبداً صالحاً ؛
فمنَّ الله عز وجل عليه بالحكمة ، ولم يزل باقياً في الأرض مظهرًا للحكمة
والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بن متى حين أرسل إلى أرض نينوى
من بلاد الموصل .

ولما قبض الله دواد عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم ، ملك سليمان
وغمر عدله رعيته ، واستقامت له الأمور ، وانتقادت له الجيوش ، وابتدأ
سليمان بينان بيت المقدس ، وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عز وجل
حواله ، فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتاً ، وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا

(١) في « أوريا بن حيان » .

(٢) في « وهو لقمان بن عنقاء بن مزيد بن صارون » .

هذا كنيسة القيامة ، وهي الكنيسة العظمى بيت المقدس عند النصارى ، ولهم كنائس غيرها معظمة بيت المقدس ، منها كنيسة صهيون ، وقد ذكرها داود عليه السلام ، والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويؤمنون أن فيها قبر داود عليه السلام ، وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يُعْطِه لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَسَخَّرَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ وَالرِّيحَ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ، وَكَانَ مَلِكُ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقَبِيضَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

ذكر ملك أرخبعم^(١) بن سليمان بن داود عليهما السلام

ومن تلاه من ملوك بني إسرائيل ، وجل من أخبار الأنبياء

وهلك على بني إسرائيل بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام أرخبعم ابن سليمان ، واجتمعت عليه الأسباط ، ثم افترقوا عنه ، إلى اسبط يهوذا وسبط بنيامين ، وكان ملكه إلى أن هلك سبع عشرة سنة ، وملك على العشرة الأسباط بوريعم^(٢) ، وكانت له كواثن وحروب ، واتخذ له عجلاً من الذهب والجوهر ، واعتكف على عبادته ؛ فأهلكه الله عز وجل ، فكان ملكه عشرين سنة ، [وملك بعده أيبان أرخبعم بن سليمان ثلاث سنين ، ثم ملك بعده أحاب أربعين سنة] وملك بعده يورام^(٣) ، فأظهر عبادة الأصنام والتماثيل [والصور] ، وكان ملكه سنة ، ثم ملكت بعده امرأة يقال لها عيلان ؛ فوضعت السيف في ولد داود عليه السلام ، فلم ينج منهم إلا غلام ، فأنكرت بنو إسرائيل ذلك من فعلها ، فقتلوا ، وكان ملكها سبع سنين ، وقيل غير ذلك ، وملكوا

ملوك

بني إسرائيل
بعد وفاة سليمان

(١) في ب « ملك بن رجبعم بن سليمان » . (٢) في ب « يورم » .

(٣) ١٠ بين الحاصرتين ساقط من ب ، وفيها « وملك بعده لودم » .

عليهم الغلام الذي بقي من نسل داود ، فملك وله سبع سنين ، فأقام ملكاً أربعين سنة ، وقيل دون ذلك ، وملك بعده ملبصاً^(١) ، وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة ، وكان في عصره شعيب النبي^(٢) ، ولشعيب معه أخبار ، وكانت له حروب قد أتينا على ذكرها في كتاب « أخبار الزمان » وملك بعده نوقا بن عدل^(٣) عشر سنين ، وقيل : ست عشرة سنة ، وملك بعده أجام^(٤) ، فأظهر عبادة الأصنام ، وطفى وأظهر البغي ، فصار إليه بعض ملوك بابل ، وكان يقال له فلعيص^(٥) ، وكان من عظماء ملوك بابل ، وكان للأسرائيليّ معه حروب إلى أن أسره البابلي ، وخرّب مدن الأسباط ومساكنهم ، وكان في أيامه تنازع بين اليهود في الديانة ، فشدّ منهم الأسامرة ، وأنكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الأنبياء ، وأبوا أن يكون بعد موسى نبي ، وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران ، والأسامرة في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — ببلاد فلسطين والأردن ، وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعازا ، وهي بين الزمّة وطبرية ، وغيرها من القرى إلى مدينة نابلس ، وأكثرهم في هذه المدينة — أعني نابلس — ولهم جبل يقال له طوريك^(٦) ، وللأسامرة عليه صلوات في أوقاتها ، ولهم بوقات من فضة يُنْفَخ فيها عند أوقات الصلاة ، وهم الذين يقولون « لاميساس » ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس ، وهي مدينة يعقوب النبي عليه السلام ، وهناك مرعاه ، وهما صنفان متباينان كتبانيهم لسائر اليهود ، وأحد الصنفين يقال له الكوسان ، والآخر الدروسان^(٧) ، أحد

(١) في ا « أهضيا » .

(٢) في ا « أشعيا النبي »

(٣) في ا « يوقام بن عزيا » .

(٤) في ا « أجار »

(٥) في ا « فلعيص » .

(٦) في ا « طور بريد » .

(٧) في ا « الدوستان » .

الصنفين يقول العالم ومعانٍ غير ذلك أعرضنا عن ذكرها مخافةً التظويل ،
وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحوه .

وكان ملك أجام^(١) إلى أن أسره الملك البابلي سبع عشرة سنة ، ولما أسر
الملك أجام^(١) ملك ولد له يقال له حزقييل [بن] أجام^(١) ، فأظهر عبادة الرحمن ،
وأمر بتكسير التماثيل والأصنام ، وفي ملكه سار سنجارب^(٢) ملك بابل
إلى بيت المقدس ، وكانت له حروب كثيرة مع بني إسرائيل ، وقتل من
أصحابه خلق كثير ، وسبى من الأسباط عدداً كثيراً ، وكان ملك
حزقييل إلى أن هلك سبعاً وعشرين سنة^(٣) .

ثم ملك بعد حزقييل ولد له يقال له ميشا ؛ فغمر شره سائر مملكته ،
وهو الذي قتل شعيبا النبي ، فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار إليه في
الجيوش فهزم جيشه وأسرته فأقام في أرض الروم عشرين سنة ، وأقلع عما
كان عليه ، وعاد إلى ملكه ؛ فكان ملكه إلى أن هلك خمسا وعشرين
سنة ، وقيل : ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده ولد له يقال له أمور بن ميشا^(٤) ، فأظهر الطغيان ، وكفر
بالرحمن ، وعبد التماثيل والأصنام ، ولما اشتد بغيه سار إليه فرعون الأعرج
من بلاد مصر في الجيوش ، فأمعن في القتل ، وأسرته ومضى به إلى مصر ،
فمات هناك ، وكان ملكه خمس سنين ، وقيل غير ذلك .

وملك بعده أخ له يقال له [له] نوفين^(٥) ، وهو أبو دانيال النبي عليه
السلام ، وفي عصر هذا الملك سار البخت نصر ، وهو مرزبان العراق
والعرب من قبل ملك فارس ، وكان يومئذ ببيلخ ، وكانت قصبة الملك ،
فأمعن البخت نصر في القتل لبني إسرائيل والأسر ، وجملهم إلى أرض

(٢) في ب « سيجارك » .

(١) في ا « أجار » .

(٣) في ا « تسع وعشرين سنة » . (٤) في ب « أمون بن ميشا » .

(٥) في ا « يوفيم » .

العراق ، وأخذ التوراة وما كان في هيكل بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر ، وعهد إلى تابوت السكينة فأودعه بعض المواضع من الأرض فيقال : إنه كان عدّة من سبي من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً .

وفي هذا العصر كان أرميا^(١) النبي عليه السلام ، وسار بخت نصر إلى مصر ؛ فقتل فرعون الأعرج ، وكان يومئذ ملك مصر ، وسار نحو المغرب فقتل بها ملوكا ، وافتتح مدائن .

وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني إسرائيل ، فأولدها ولداً ، فردّ بني إسرائيل إلى ديارهم ، وكان ذلك بعد سنين .

ولما رجعت بنو إسرائيل إلى بلادهم ملكت عليها زربابل بن سلسان^(٢) ، فابتنى مدينة بيت المقدس ، وعمر ما كان خرب ، وأخرجت بنو إسرائيل التوراة من البئر ، واستقامت لهم الأمور ، فأقام هذا الملك على عمارة أرضهم ستاً وأربعين سنة ، وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تلف منهم في حال السبي ، والأسامرة تزعم أن التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أوردتها موسى بن عمران عليه السلام ، وأن تلك حرفت وبدلت وغيرت ، وأن المحدث لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور ؛ لأنه جمعها ممن كان يحفظها من بني إسرائيل ، وأن التوراة الصحيحة هي التي في أيدي الأسامرة دون غيرهم ، وكان ملك هذا الملك ستاً وأربعين سنة ، ووجدت في نسخة أخرى أن المتزوج في بني إسرائيل هو بخت نصر نفسه ، وهو الذي ردّهم ، ومنّ عليهم [وفيه نظر] .

ودبرّ إسماعيل بن إبراهيم أمر البيت بعد إبراهيم عليه السلام ، وكتباه
إسماعيل
ابن إبراهيم
وأولاده

(١) في ب « أقدمنا » .

(٢) في ا « زربابل بن سلسان » .

الله عز وجل ، وأرسله إلى العماليق وقبائل اليمن ، فنهام عن عبادة الأوثان ،
فآمن طائفة منهم وكفر أكثرهم ، وولد لإسماعيل اثنا عشر ذكراً . وهم :
فائث ، وقيدار ، وأربيل ، وميم ، ومسمع ، ودوما ، ودوام ، وميشا ،
وحداد ، وحيم ، وقطورا ، وماس^(١) ، وكانت وصية إبراهيم إلى ابنه
إسماعيل عليه السلام ، ووصى إسماعيل إلى أخيه إسحاق عليهما السلام ،
وقد قيل : إلى ولده قيدار بن إسماعيل ، وكان عمر إسماعيل إلى أن قبضه
الله مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي
كان فيه الحجر الأسود .

ودبر أمر البيت بعده فائث^(٢) بن إسماعيل عليه السلام ، على منهج
إسماعيل وملة ، وقيل أيضاً : إنه كان وصياً أبيه إسماعيل عليه السلام .

وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهما السلام أنبياء وعباد
وصالحون منهم : أرمينيا^(٣) ، ودانيال ، وعزير ، وقد تنازع الناس في
نبوته ، وأيوب ، وأشعيا ، وحزقييل ، والياس ، واليسع ، ويونس ، وذو
الكفل ، والخضر ، وروى عن ابن إسحاق أنه أرمينيا^(٣) ، وقيل : بل كان
عبداً صالحاً ، وزكريا [وهو زكريا بن أدق] وهو من ولد داود من سبط
يهوذا ، وكان تزوج أشباع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح
عليهما السلام ، وهو عمران بن ماثان بن يعاقم^(٤) ، من ولد داود أيضاً ،
واسم أم أشباع ومريم حنة ، وولدت لزكريا يحيى ، وكان يحيى ابن خالة
المسيح عليهم السلام ، وكان زكريا نجاراً ، فأشاعت اليهود أنه ركب من

أنبياء
بين سليمان
والمسيح

- (١) في « وهم : نابت ، وقيدار ، وأربيل ، وميسم ، ومسمع ، ودوما ،
ومسا ، وحداد ، وأسيا ، ويطور ، وناقش ، وبقادما » .
(٢) في « نابت بن إسماعيل » .
(٣) في « أرميا » .
(٤) في « هو عمران بن ماران بن يعاقم » .

مريم الفاحشة فقتلوه ، وكان لما أحس بهم جأ إلى شجرة فدخل في جوفها فدلّهم عليه إبليس لعنه الله عز وجل ، فنشروا الشجرة وهو فيها ، فقطعوه وقطعوها ، ولما ولدت أشباعُ ابنةُ عمران أختُ مريمَ أمَّ المسيحِ يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض الملوك إلى مصر ، فلما صار رجلاً بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل ، فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه ، وكثرت الأحداث في بني إسرائيل ، فبعث الله عليهم ملكاً من ناحية المشرق يقال له خردوس^(١) ، فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا ألوفاً من الناس [وهو يفور] إلى أن هداً الدم بعد خطب طويل .

ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل إليها جبريل ، فنفخ فيها الروح ، فحملت بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وولدت بقرية يقال لها « بيت لحم » على أميال من بيت المقدس ، ولدته في يوم الأربعاء لأربع وعشرين ليلة خلت من كانون الأول ، وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل في كتابه ، واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعمت النصارى أن أشيوع الناصري^(٢) أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الأردن في كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة ، وقيل : تسعاً وعشرين سنة ، وأنه في بعض الأيام كان يقرأ في سفر أشعياء إذ نظر في السفر إلى كتاب من نور فيه « أنت نبي ، وخالصتي ، اصطفتك لنفسي » فأطبق السفر ودفعه إلى خادم الكنيسة ، وخرج وهو يقول : الآن تمت المشيئة لله في ابن البشر ، وقد قيل : إن المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها « ناصرة » من بلاد اللجون من أعمال الأردن ، وبذلك سميت النصرانية ، ورأيت في

(١) في « خردوش » .

(٢) في « أشيوع الناصري أي المسيح » .

هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى وفيها توايت من حجارة فيها عظام
الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرُبّ تبرك به النصارى ؛ وأن المسيح مر
ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين [وهم بنو زبدا ، واثناعشر من
القصارين ، فدعاهم إلى الله وقال : اتبعوني تصيدوا البشر ، فاتبعه ثلاثة من
الصيادين ، وهم بنو زبدا واثناعشر من [القصارين ، وقد ذكر أن
ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا^(١) هم الحواريون الأربعة الذين تلقوا^(٢)
الإنجيل ، فألقوا خبر عيسى عليه السلام ، وما كان من أمره ، وخبر
مولده ، وكيف عمّده يحيى بن زكريا ، وهو يحيى المعمدانى ، فى بحيرة
طبرية ، وقيل : فى بحر الأردن الذى يخرج من بحيرة طبرية ويجرى إلى
البحيرة المنتنة ، وما فعل من الأعاجيب وأتى من المعجزات ، وما قالت
اليهود إلى أن رفعه الله عز وجل إليه ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .
وفى الإنجيل خطب طويل فى أمر المسيح ومريم عليهما السلام ويوسف
النجار ، أعرضنا عن ذلك ، لأن الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك فى
كتابه ، ولا أخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم .

(١) فى ١ « أن متى ويوحنا ومرقس ولوقا » .

(٢) فى ١ « تلقوا الإنجيل ، وألقوا فيه خبر المسيح » .

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد

صلى الله عليهما وسلم

وقد كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من أهل التوحيد ، ممن يُقَرُّ بالبعث ، وقد اختلف [الناس] فيهم : فمن الناس من رأى أنهم أنبياء ، ومنهم من رأى غير ذلك .

حنظلة بن صفوان

فمن ذكر أنه نبي حنظلة بن صفوان ، وكان من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، صلى الله عليهما وسلم ، وأرسل إلى أصحاب الرّس ، وكانوا من ولد إسماعيل بن إبراهيم - وهم قبيلتان يقال لإحدهما أدمان^(١) ، والآخرى يامن ، وقيل : رعويل - وذلك باليمن ، فقام فيهم حنظلة بأمر الله عز وجل فقتلوه ، فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل من سبط يهوذا أن يأمر بخت نصر [بأن] يسير إليهم ، فسار إليهم ، فأتى عليهم ، فذلك قوله عز وجل : (فلا تحسوا بأسنا) إلى قوله (حصيداً حامدين) وقيل : إن القوم كانوا من حمير ، وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثية له ، فقال :

بَكَتْ عَيْنِي لِأَهْلِ الرَّسِّ رَعْوِيلٌ وَقَدَمَانُ
وَأَسْلَمَ مِنْ أَبِي زَرْعٍ نَكَالُ الْحَيِّ قَحْطَانُ

وقد حكى عن وهب بن منبه أن ذا القرنين - وهو الإسكندر - كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة ، وأنه كان حلم حلاماً رأى فيه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه ، فسموه بذى القرنين ، وللناس في ذى القرنين تنازع كبير [و] قد أتينا على ذلك في كتاب « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وسنذكر أبعث خبره عند ذكر نالملك اليونانيين الروم^(٢) .

وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الأعصار كانوا ؛ فمنهم من أهل الكهف زعم أنهم كانوا في زمن الفترة ، ومنهم من رأى غير ذلك ، وسنأتي بلمع من خبرهم

(١) في « قنمان » وهو المذكور في الشعر (٢) في « اليونانيين والروم »

(٥ - مروج الذهب ١)

في ذكر [نا] ملوك الروم في هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على ذلك في الكتاب لأوسط ، وفيما ساف قبله من كتاب « أخبار الزمان » .

جرجيس
ومن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام : جرجيس ، وقد أدرك بعض الحواريين ، فأرسلها إلى بعض ملوك الموصل ، فدعاه إلى الله عز وجل ، فقتله ، فأحياه الله وبعثه إليه ثانية ، فقتله ، فأحياه الله ، فأمر بنشره ^(١) ثالثة وإحراقه وإذرائه في دجلة ، فأهلك الله عز وجل [ذلك] الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه ، على حسب ما وردت به الأخبار عن أهل الكتاب ممن آمن ، وذلك موجود في كتاب المبتدأ والسير لوهب بن منبّه وغيره .

حبیب النجار
ومن كان في الفترة : حبیب النجار ، وكان يسكن أنطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصوّر ، فسار إليه اثنان من تلامذة المسيح ، فدعواه إلى الله عز وجل ، فخبسهما وضربهما ، فعززهما الله بثالث ، وقد تنوزع فيه ؛ فذهب كثير من الناس إلى أنه بطرس ، وهذا اسمه بالرومية ، واسمه بالعربية سمعان ، وبالسريانية شمعون [وهو شمعون] الصفاء ، وذكر كثير من الناس - وإليه ذهب سائر فرق النصرانية - أن الثالث المعزّز به هو بولس ، وأن الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما و بطرس ، فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الإعجاز [والأعاجيب] والبراهين : من إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الميت ، وحيلة بولس عليه بما دخلته إياه وتلطفه له ، واستنقاذ صاحبيه من الحبس ، فجاء حبیب النجار فصدقهم ، لما رأى من آيات الله عز وجل ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله : (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) إلى قوله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وقتل بولس و بطرس بمدينة رومية ، وصلبا منكسين ، وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ، ومع سيبا ^(٢) الساحر ، ثم جملا بعد ذلك في خزانة من البلور ، وذلك بعد ظهور دين النصرانية ، وحرمة ^(٣)

(١) في ا « بنشره في الثالثة » (٢) في ب « سليمان الساحر »

(٣) في ا « وخزنتهما في كنيسة - إلخ »

في كنيسة هتاك قد ذكرناها في الكتاب الأوسط عند ذكرنا لعجائب رومية،
وأخبار تلاميذ المسيح عليه السلام، وتفرقهم في البلاد، وسنورد في هذا
الكتاب لمعاً من أخبارهم، إن شاء الله تعالى.

أصحاب
الأخدود

فأما أصحاب الأخدود فإنهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن، في ملك ذي
نُوَّاس، وهو القاتل لذي شنَّاتر^(١)، وكان على دين اليهودية، فباع ذانُوَّاس
أن قوماً بنجران على دين المسيح عليه السلام؛ فسار إليهم بنفسه، واحترمهم
أخاديد في الأرض، وملاًها جحراً، وأضرَمها ناراً، ثم عرضهم على اليهودية؛
فمن تبعه تركه، ومن أبي قَدَفَه في النار، فأتى بامرأة معها طفاها ابن سبعة أشهر،
فأبت أن تتخلى عن دينها، فأدْنيت من النار، فجزعت، فأنطق الله عز وجل
الطفل فقال: يا أمه امض على دينك فلا نار بعده، فألقاها في النار، وكانوا^(٢)
مؤمنين موحدين، لا على رأى النصرانية في هذا الوقت، فمضى رجل منهم
يقال له ذو ثعلبان^(٣) إلى قيصر ملك الروم يستنجده، فكتب له إلى النجاشي
لأنه كان أقرب إليهم داراً، فكان من أمر الحبشة وعبورهم إلى أرض اليمن وتغابهم
عليها إلى أن كان من أمر سيف ذي يزن واستنجاده الملوك إلى أن أنجده أنوشروان
ما قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان، وفي الكتاب الأوسط، وسنذكر
لمعاً من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الأذواء وملوك اليمن،
وقد ذكر الله عز وجل في كتابه قصة أصحاب الأخدود بقوله عز وجل: (قتل
أصحاب الأخدود) إلى قوله (وما نَقَمُوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد).

ومن كان في الفترة: خالد بن سنان العبسي، وهو خالد بن سنان بن غيث^(٤)
ابن عبس، وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذلك نبي أضاعه قومه»
وذلك أن ناراً ظهرت في العرب، فافتتنوا بها، وكانت تنتقل، وكادت العرب

(٢) في « قاتلها في النار وكانا »

(١) في ب « لذي سار »

(٤) في ب « بن عتب »

(٣) في ب « دمعليان »

تتجسس وتغلب عليها المجوسية ، فأخذ خالد بن سنان هراوة وشدّ عليها وهو يقول : بدا بدا ، كلُّ هدي ، مؤدّ إلى الله الأعلى ، لأدخلنها وهي تظني ، ولأخرُ جنّ منها وثيابي تتندّي ، فأطفأها ، فإما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لإخوته : إذا أنا دفنت فإنه ستجى ، عانة من حمير يقدهمها غير أبتير ، فيضرب قبري بحافره ؛ فإذا رأيتم ذلك فاندشوا عني فإني سأخرج إليكم فأخبركم بجميع ما هو كائن ، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال ، فأرادوا أن يخرجوه ، ففكره ذلك بعضهم وقالوا : نخاف أن تنسبنا العرب إلى نشنا عن ميت ننا^(١) ، وأنت ابنته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقرأ : (قل هو الله أحد ، الله الصمد) فقالت : كان أبي يقول هذا ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعاً من أخباره مما تدعو الحاجة إلى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

قال المسعودي : وممن كان في الفترة : رثاب الشني ، وكان من عبد القيس ، ثم من شن ، وكان على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، [فسمعوا منادياً ينادي من السماء قبل مبعث النبي : خير أهل الأرض ثلاثة : رثاب الشني ، وبجير الراهب ، ورجل آخر لم يأت بعد ، يعني النبي عليه السلام] وكان لا يموت أحد من ولد رثاب فيدفن إلا رأوا واسطاعلى قبره .

رثاب الشني
أحد بني
عبد القيس

ومنهم أسعد أبو كرب الحميري ، وكان مؤمناً ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعائة سنة ، وقال :

شهدتُ على أحمد أنه
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مَدَّ عُمُرِي إِلَى عَمْرِهِ
لَكُنْتُ وَزيراً لَهُ وَابْنَ عَمِّ
[وَأَلْزِمُ طَاعَتَهُ كُلَّ مَنْ
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ أَوْ عَجَمٍ]

أسعد أبو كرب
الحميري

(١) في « نخاف أن تنسبنا العرب بأننا نبشأ من ننا »

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود ؛ فلذلك يقول بعض خير :
وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ مُلَاءَ مُقَصَّابًا وَبُرُودًا

قس بن ساعدة
الإيادي

ومنههم : قس بن ساعدة الإيادي من إياد بن أد بن معد ، وكان حكيم
العرب ، وكان مقراً بالبعث ، وهو الذي يقول : من عاش مات ، ومن
مات فات ، وكل ما هو آت آت ، وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الأمثال ،
قال الأعشى :

وَأَحْكَمُ مِنْ قُسٍّ ، وَأَجْرًا مِنَ الَّذِي

بَدَى الْفِيلِ مِنْ خَفَّانٍ أَصْبَحَ خَادِرًا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من إياد ، فسألهم عنه ، فقالوا :
هلك ، فقال : رحمه الله ؛ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسَوْقِ عُكَازٍ عَلَى جَمَلٍ لَهُ
أَحْمَرٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا وَعُورُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ،
وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا ، وَإِنْ
فِي الْأَرْضِ لِعَبْرًا ، نَجْمٌ تَمُورٌ ، وَبِحَارٍ تَغُورُ^(١) ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَمِهَادٌ
مَوْضُوعٌ ، أَقْسَمُ قَسٍ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا حَانًا فِيهِ وَلَا آثَمًا ، إِنْ لَدَيْنَا هُوَ أَرْضِي
مِنْ دِينِ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ ، مَالِي أَرَاهِمُ^(٢) يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا
أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا ؟ سَبِيلٌ مُؤْتَفٌ ، وَعَمَلٌ مُخْتَلَفٌ . وَقَالَ آيَاتًا لَا أَحْفَظُهَا ،
فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَنَا أَحْفَظُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : هَاتِهَا ، فَقَالَ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ

وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَاهَا تَمْضِي الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ^(٣)

لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ

(١) في « بحور تمور ، ونجوم تغور » . (٢) في « ما بال الناس »

(٣) في « يمضي الأصغر والأكبر »

أَبَقَنْتُ أَنِي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللَّهُ قَسَا ، إِنْ لَأَرْجُو أَنْ
يَبْعَثَهُ اللَّهُ أُمَّةً وَحْدَهُ » .

قال المسعودي : ولقس أشعار كثيرة وحكم ، وأخبار تبصر^(١) في الطب
والزجر والفأل وأنواع الحكم ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب « أخبار الزمان »
وفي الكتاب الأوسط .

زيد بن عمرو
ابن نفيل
ومن كان في الفترة : زيد بن عمرو بن نفيل ، أبو سعيد بن زيد أحد
العشرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب [لَحًا] ، وكان زيد يرغب عن
عبادة الأصنام ، وعابها فأولع به عمه الخطاب سُفْهَاءَ مَكَّةَ ، وسلطهم عليه ،
فأذوه ، فسكن كهفًا بجراء ، وكان يدخل مكة سرًا ، وسار إلى الشام
يبحث عن الدين ، فسمته [النصارى ، ومات بالشام ، وله خبر طويل
مع الملك والترجمان ، ومع [بعض ملوك غسان بدمشق ، وقد أتينا عليه
فيما سلف من كتبنا .

أمية بن أبي
الصلت الثقفي
ومنهم : أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وكان شاعرًا عاقلًا ، وكان يتجر
إلى الشام ، فتلقيه أهل الكنائس من اليهود والنصارى ، وقرأ الكتب ،
وكان قد علم أن نبيًا يبعث من العرب ، وكان يقول أشعارًا على آراء
أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة ،
وذكر الأنبياء والبعث [والنشور] والجنة والنار ، ويعظم الله عز وجل
ويوحده ، من ذلك قوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ مِنْ لَمَ يَقْلِبْهَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا

ووصف أهل الجنة [في بعض كلماته] فقال :

فَلَا لَمَوٌّ وَلَا تَأْتِيمٌ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمٌ^(٢)

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاض [لذلك] وتأسف ،

(١) في ب « وأخبار مع قيصر » (٢) في كتب الشواهد « أبدامقيم » .

وجاء المدينة ليسم فردّه الحسد ، فرجع إلى الطائف ، فبينما هو ذات يوم في فتية يشرب إذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار ، فقال أمية : أتدرون ما قال ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه يقول لكم : إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت ، فقال القوم : لتكذبنّ قوله ، ثم قال : احسّوا كأسكم ، فحسّوها ، فلما انتهت النوبة^(١) إليه أغمى عليه ، فسكت طويلاً ، ثم أفاق وهو يقول :

لَبَيْكُمَا . لَبَيْكُمَا . هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

أنا من حفت به النعمة ، والحمد والشكر^(٢) .

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرِ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا

أو قال : أنا من حفت به النعمة [والحمد] ولم يجهد في الشكر ، ثم أنشأ يقول :

إِنَّ يَوْمَ الْحَسَابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ شَابَ فِيهِ الصَّغِيرُ يَوْمًا طَوِيلًا^(٣)
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَأَ لِي فِي رُهُوسِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوُعُولَا
كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ حِينًا فَقَصَّارَى أَيَّامِهِ أَنْ يَزُولَا^(٤)

ثم شهق شهقة ؛ فكانت فيها نفسه .

قال المسعودي : وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس ، وأخبار من سلف - كابن دأب ، والهيثم بن عدى ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي - أن السبب في كتابة قريش ، واستفتاحها في أوائل كتبها « باسمك اللهم » هو أن أمية بن أبي الصّات الثقفى خرج إلى الشام في نفر من ثقيف وقريش في غير لهم ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ، واجتمعوا لمشايمهم ؛ إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم ، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها ، فرجعت ، فشذّوا [سفرتهم ثم قاموا

(١) في ا « فلما انتهت الكأس الثالثة إلى أمية »

(٢) في ا « ولم يحمد الشكر » وهي أوفق لما بعده (٣) في ا « شيئاً طويلاً »

(٤) في ا « صائر مدة إلى أن يزولا »

فَشَدُّوا] على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رحيمة ، الجارية اليتيمة ، التي جاءتكم عشية ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قالت : أم العوام ، أو تمت^(١) منذ أعوام ، أما ورب العباد ، لتفترقن في البلاد ، ثم ضربت بعصاها الأرض ، فأثارت بها الرمل ، وقالت : أطلبي إياهم ، وأنفري ركابهم ، فوثبت الإبل فكأن على ذريرة كل بعير منها شيطاناً ، ما نملك منها شيئاً ، حتى افتقرت في البوادي ، فبعناها من آخر النهار إلى غد ، ولم نكد ، فلما أنحنها [لترحلها طلعت علينا العجوز فعادت بالعصا كفعالها أولاً ، و] عادت إلى مقاتلتها الأولى : ما منعكم أن تطعموا رحيمة ، الجارية اليتيمة ؟ أطلبي إياهم وأنفري ركابهم ، فخرجت الإبل ما نملك منها شيئاً ، فبعناها من [آخر النهار إلى] غد ، ولم نكد ، فلما أنحنها [لترحلها طلعت علينا العجوز ، ف] فعلت مثل فعلتها الأولى والثانية ، ففترقت الإبل وأمسينا في ليلة مُمِرَّة ، وقد يتسنا من ظهورنا ، فقلنا لأمية بن أبي الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فتوجهت إلى ذلك الكثيب الذي كانت تأتي منه العجوز ، حتى هبطت من ناحية أخرى ، ثم صعد كثيباً آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنيصة فيها قناديل ، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية ، قال أمية : فلما وقفت عليه رفع رأسه إلى وقال : إنك لتبوع^(٢) ، قلت : أجل ، قال : فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذني اليسرى ، قال : فبأي الثياب يأمرك ؟ قلت : بالسواد ، قال : هذا خطب الجن ، كدت ولم تفعل ، ولكن صاحب هذا الأمر بكلمه في أذنه اليمنى ، وأحبَّ الثياب إليه البياض ، فما جاء بك ؟ وما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز ، قال : صدقت ، وليست بصادقة ،

(١) ربما كان الأصل « إمت منذ أعوام » أو « أو يمت منذ أعوام » وتقول:

أمت المرأة تنيم - مثل باعت تبيع - إذا صارت أيماء .

(٢) يريد أن له رثياً يحدته .

هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت ، قال أمية : فما الحيلة ؟ قال : اجمعوا ظهوركم فإذا جاءكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها : سبعاً من فوق ، وسبعاً من أسفل ، باسمك اللهم ، فإنها لا تضركم ، فرجع أمية إلى أصحابه ، فأخبرهم بما قيل له ، فجاءتهم ، ففعلت كما كانت تفعل ، فقالوا : سبعاً من فوق ، وسبعاً من أسفل ، باسمك اللهم ، فلم تضرهم ، فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت : عرفت صاحبكم ، كَيَبِيضَنَّ أَعْلَاهُ ، وَيَسْوَدُّنَّ أَسْفَلَهُ ، وَسِرُّنَا ، فلما أدركنا الصبح نظرنا إلى أمية قد برّصَ في عذاريه ورقبته وصدره ، واسودَّ أسفله ، فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث .

وكان أمية أول من كتب « باسمك اللهم » إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام فرفع ذلك وكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها في « أخبار الزمان » وغيره مما سلف من كتبنا .

ومنهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم ورقة بن نوفل خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم لَحًا ، وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ، ورغب عن عبادة الأصنام ، وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي هذه الأمة ، وأنه سَبُّوْذَى وَيَكْذَبُ ، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن أخي ، اثبت على ما أنت عليه ، فوالذي نفس ورقة بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ، ولئن أدركت يومك لأنصرن الله نصرًا يعلمه ، وقد اختلف فيه : فمنهم من زعم أنه مات نصرانيا ، ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتيسر له أمره ، ومنهم من رأى أنه مات مسلمًا وأنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يَعْفُو وَيَصْفَحُ لَا يَجْزَى بِسَيِّئَةٍ وَيَكْظُمُ الْغَيْظَ عِنْدَ الشَّمِّ وَالْفَضْبِ

عداس مولى عتبة بن ربيعة : عداس^(١) مولى عتبة بن ربيعة ، وكان من أهل نينوى ، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم إلى الله عز وجل ، وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديقة ، وقتل يوم بدر على النصرانية ، وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم .

أبو قيس صرمة ابن أبي أنس : أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار من بني النجار ، وكان ترهب ، ولبس المسوح ، وهجر الأوثان ، ودخل بيتاً ، وأخذ مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم وحسن إسلامه ، وفيه نزلت آية السحور : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ثَوَى فِي قُرْبَشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حَبَّةً بِمَكَّةَ لَا يَلْقَى صَدِيقًا مُؤَاتِيًا^(٢)

أبو عامر الأوسى : أبو عامر الأوسى [واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ، من بني عمرو بن عوف ، من الأوس] وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة ، وكان سيداً قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب طويل ، فخرج في خمسين غلاماً ، فمات على النصرانية بالشام .

عبد الله ابن جحش الأسدي : عبد الله بن جحش الأسدي ، من بني أسد بن خزيمية ، وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد قرأها بالكتب فقال إلى النصرانية ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى أرض الحبشة فممن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، ثم إنه ارتد عن الإسلام هنالك وتنصر ، ومات

(١) في « عداسة » ومثل ما هنا عن ب ثابت في سيرة ابن هشام

(٢) في « لويلقى صديقا مواسيا » .

بأرض الحبشة ، وكان يقول للمسلمين : إنا فققحنا وصأصأتم ، يريد أبصرنا وأتم تلمسون البصر ، وهذا مثل ضرب به لهم ، وذلك أنه يقال للكلب إذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو جرو : قد فققح ، وإذا كان يريد أن يفتحهما ولم يفتحهما بعد قيل : صأصأ ، ولما مات عبد الله بن جحش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ، زوجه إياه النجاشي ، وأمرها عنه أربع مائة دينار .

ومنهم : بحيرا الراهب ، وكان مؤمناً على دين المسيح عيسى بن مريم عليه بحيرا الراهب السلام ، واسم بحيرا في النصارى سرجس^(١) ، وكان من عبد القيس ، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهما أبوبكر وبلال مرثوا ببحيرا وهو في صومعته ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه ونظر إلى الغمام تظله حيث ما جلس ، فأنزلهم بحيرا ، وأكرمهم ، واصطنع لهم طعاما ، ونزل من صومعته حتى نظر إلى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع يده على موضعه ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعلم أبابكر وبلالا بقصته ، وما يكون من أمره ، وسأل أبا طالب أن يرجع به من وجهه ذلك ، وحذّره عليه من أهل الكتاب ، وأخبر عمه أبا طالب بذلك ، فرجع به ، فلما رجع من سفره ذلك ، كان بدء قصته مع خديجة وما أظهر الله لها من دلائل نبوته ، وما أخبرت به مما كان منه في طريقه .

قال السعدي : فهذه جهل مبدأ الخليقة إلى حيث اتهمنا [من هذا الموضع] ولم نشبه بشيء غير ما جاءت به الشرائع ، ونطقت به الكتب ، وأوضحت عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ولنذكر الآن بدء ممالك الهند ، ولما من آرائها ، وتنبع ذلك بذكر سائر الممالك ؛ إذ كنا قدمنا جملا من ذكر ملوك الإسرائيليين على حسب ما وجدنا في كتب الشرعيين ، والله أعلم .

(١) في ب « جرجس »

ذكر جل من أخبار الهند، وآرائها

وبدء ممالكها [وملوكها]

ذَكَرَ جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن هذا العالم وبدئه أن الهند كانت في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة؛ فإنه لما تجليات الأجيال، وتحزبت الأحزاب، حاولت الهند أن تضم المملكة، وتستولي على الخويزة، وتكون الرياسة فيهم، فقال كبرائؤهم: نحن [كنا] أهل البدء، وفينا التناهي، ولنا الغاية والصدر والانتها، ومناسري الأب إلى الأرض، فلا ندع أحداً شاققنا ولا عاندنا وأراد بنا الإغماض إلا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع إلى طاعتنا، فأزمت على ذلك، ونصبت لها ملكا، وهو البرهمن الأكبر، والملك الأعظم، والإمام فيها الرهمن المقدم، وظهرت في أيامه الحكمة، وتقدمت العلماء، واستخرجوا الحديد من المعادن، وضربت في أيامه السيوف والخنجر، وكثير من أنواع المقاتل، وشيد الهياكل، ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة، وصوّرَ فيها الأفلاك والبروج الأثني عشر والكواكب، وبين بالصورة كيفية العالم، وأرى بالصورة أيضاً أفعال الكواكب في هذا العالم وأحداثها للأشخاص الحيوانية: من الناطقة وغيرها، وبين حال المدبر الأعظم الذي هو الشمس، وأثبت في كتابه براهين جميع ذلك، وقرب إلى عقول العوام فهم ذلك، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك، وأشار إلى المبدأ الأول المعطى سائر الموجودات وجودها الفائض عليها بجوده، وانتقاده الهند، وأخصبت بلادها، وأراهم وجه مصالح الدنيا، وجمع الحكماء فأحدثوا في أيامه كتاب السندهند وتفسيره دهر الدهور، ومنه فرغت الكتب ككتاب الأريجيد^(١) والمجسطي، وفرع من الأريجيد^(١) الأركند، ومن المجسطي كتاب بطليموس، ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات، وأحدثوا التسعة الأحرف

(١) في ب « الأريجيد »

المحيطة بالحساب الهندي ، وكان أول من تكلم في أوج الشمس ، وذكر أنه يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ، ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة ، والأوج الآن على رأي البرهمن في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في برج الثور^(١) وأنه إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة ؛ فصار العامر خراباً ، والخارب عامراً ، والشمال جنوباً ، والجنوب شمالاً ، ورتَّبَ في بيت الذهب حساب الدور^(٢) الأول والتاريخ الأقدم الذي عليه عملت الهند في تواريخ البدء ، وظهورها في أرض الهند دون سائر الممالك ، ولهم في البدء خُطْبُ طويل أعرضنا عن ذكره ؛ إذ كان كتابنا كتاب خبر ، لا كتاب بحث ونظر ، وقد أتينا على جمل من ذلك في الكتاب الأوسط ، ومن الهند من يذكر أن ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان ، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون ؛ فظهر النسل ، ومرحت^(٣) البهائم ، وتغلغل الماء ، ودبَّ الحيوان ، وبقلَّ العشبُ ، وخرق اللبم الهواء ، فأما أكثر أهل الهند فإنهم قالوا بمرور منصوبات على دوائر تبتدىء القوى متلاشية [شبيهة] الشخص ، موجودة القوة ، منتصبة الذات ، وحدثوا لذلك أجلاً ضربوه ، ووقتاً نصبوه ، وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ، وسموا ذلك بعمر العالم ، وجعلوا المسافة بين البدء وال انتهاء مدة ست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثني عشر ألف عام ، وهذا عندهم الهازروان الضابط لقوى الأشياء والمدبر لها ، وأن الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها ، وأن الأعمار تطول في أول الكر لانفاسخ الدوائر ، وتمكن القوى من المجال ، وتقصُر الأعمار في آخر الكر لضيق الدوائر ، وكثرة ما يعرض فيها من الأكدار البائرة للأعمار ، وذلك أن قوى الأجسام وصَفُوها في أول الكر تظهر وتسرح ، وأن الصفو سابق الكدر ، والصفاف يبادر الثفل ، والأعمار تطول بحسب صفاء المزاج ،

(١) في « برج التوهم » (٢) في « البدء الأول » (٣) في « وسرحت »

وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط^(١) الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات ، وأن آخر الكبر الأعظم وغاية البدء الأكبر تظهر الصورة متشوهة ، والنفوس ضعيفة ، والأمزجة مختلطة ، وتناقض القوى ، وتبديد المواسك^(٢) ، وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة ، فلا يحظى ذوو الأعصار بتمام الأعمار ، وللهند فيما ذكرناه علل وبراهين في المبادئ الأول ، وفيما بسطناه من تفريغهم في الدوائر والهازروانات ، ورموز وأسرار في النفوس في اتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى إلى أسفل ، وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان ، وكان ملك البرهمن إلى أن هلك ثلاثمائة سنة وستين سنة^(٣) .

البراهمة

وولده يعرفون بالبراهمة إلى وقتنا ، والهند تعظمهم ، وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ، ولا يفتدون بشيء من الحيوان ، وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمايل السيوف ، فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند . وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور إليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض : اجلسوا حتى نتناظر ؛ فننظر ما قصة العالم ؟ وما سره ؟ ومن أين أقبانا ؟ وإلى أين نمر ؟ وهل خروجنا من عدم إلى وجود حكمة أو ضد ذلك ؟ وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لأجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة ، أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة ، أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا ؟ أم هل هو غني من كل وجه فما وجه إفنائنا إيانا وإعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا ؟ فقال الحكيم المنظور إليهم منهم : أترى أحداً من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الإدراك ؛ فظفر بالبقية واستراح إلى الثقة ؟ قال الحكيم الثاني : لو تناهت حكمة الباري عز وجل في أحد

(١) في ١ « وتكامل القوى المؤدية للعناصر إلى الأخلاط الكائنات - إلخ »

(٢) في ب « المواسك »

(٣) في ١ « ثلاثمائة سنة وستين سنة »

العقول كان ذلك نقصاً من حكمته، وكان الفرض غير مدرك، وكان التقصير مانعاً من الإدراك، قال الحكيم الثالث : الواجب علينا أن نبتدىء بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا، من قبل أن نتفرغ إلى علم ما بعد منا، قال الحكيم الرابع : لقد ساء وقوع من وقع موقعاً احتاج فيه إلى معرفة نفسه، قال الحكيم الخامس : من ههنا وجب الاتصال بالعلماء المدودين بالحكمة، قال الحكيم السادس : الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه أن لا يفغل عن ذلك، لاسيما إذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعاً، والخروج منها واجباً، قال الحكيم السابع : أنا لا أدرى ما تقولون، غير أنني أخرجتُ إلى هذه الدنيا مضطراً، وعشت فيها حائراً، وأخرجُ منها مكرها.

فاختلف الهند من سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة، وكلُّ قد اقتدى بهم، ويمم مذهبهم، ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم، وتنازعوا في آرائهم، والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة.

قال المسعودي : وقد رأيت أبا القاسم البلخيّ ذكر في كتاب « عيون المسائل والجوابات » وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بكتاب « الآراء والديانات » مذاهب الهند وآراءهم، والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران، وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب، فما تعرضا لشيء مما ذكرنا، ولا يمتأخروا ما وصفنا.

وقد تنوزع في البرهمن : فمنهم من زعم أنه آدم عليه السلام، وأنه رسول حقيقة البرهمن الله عز وجل إلى الهند، ومنهم من يقول : إنه كان ملكاً على حسب ما ذكرنا، وهذا أشهر.

ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزءاً شديداً، وفزعت إلى نصب الباهبود بن ملك عليها من أكبر ولده؛ فكان ولي عهد المرصي له من ولده ابنه الباهبود (١)،

(١) في ب « الناهود »

فسار فيهم سيرة أبيه ، وأحسن النظر إليهم ، وزاد في بناء الهياكل ، وقدم الحكماء ، وزاد في مراتبهم ، وحسنهم على تعاليم الناس بالحكمة ، وبعثهم على طابها ، فكان ملكه إلى أن هلك مائة سنة .

صنع النرد
وحكته

وفي أيامه عمل النرد ، وأحدث اللعب بها ، وجعل ذلك مثالا للكاسب ، وأنها لا تنال بالكيس ، ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحذق ، وقد ذكر أن أردشير بن بابك أول من صنع النرد ، ولعب بها ، وأرى تقاب الدنيا بأهائها ، واختلاف أمورها ، وجعل بيوتها اثني عشر بيتاً بعدد الشهور ، وجعل كلابها ثلاثين كلباً بعدد أيام الشهر ، وجعل الفصين مثلاً للقدر ، وتقلبه بأهل الدنيا ، وأن الإنسان ياعب بها فيبلغ بإسعاد القدر إياه في مراده باللعب بها ما يريد ، وأن الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره ، إلا إذا أسعده القدر ، وأن الأرزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تنال إلا بالجدود .

ثم ملك زامان بعد الباهبود ، فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة سنة ، ولزامان سيراً وأخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على التفرير منها فيما سلف من كتبنا .

زامان بعد
الباهبود

ثم ملك فور ، وهو الذي واقعه الإسكندر ، فقتله [الإسكندر] مبارزة ، وكان ملك فور إلى أن هلك أربعين ومائة سنة .

ملك فور

ثم ملك بعده دبشليم ، وهو الواضع لكتاب « كليله ودمنة » الذي ينسب لابن المقفع ، وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لأمير المؤمنين المأمون كتاباً ترجمه ثعلبة وعفراء يعارض به كتاب كليله ودمنة في أبوابه وأمثاله ، ويزيد عاينه في حسن نظامه ، وكان ملكه مائة وعشرين سنة (١) ، وقيل غير ذلك .

ملك دبشليم

ثم ملك بعده باهيت ، وصنعت في أيامه الشطرنج ؛ فقضى بلعبها على النرد ، وبيّن الظفر الذي يناله الحازم ، والباية التي تلحق الجاهل ، ووجب حسابها ، ورتب

ملك باهيت
وصنع
الشطرنج

(١) في « مائة وعشرين سنين »

لذلك كتابا للهند يعرف بطرق جنكا يتداولونه بينهم ، ولعب بالشطرنج مع حكمائه ، وجعلها مصورةً مماثل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق ، وجعلهم درجات ومراتب ، ومثل الشاه بالمدبر الرئيس ، وكذلك ما يليه من القطع ، وأقام ذلك مثالا لأجساد العلوية التي هي الأجسام السماوية من السبعة والاثني عشر ، وأفرد كل قطعة منها بكوكب ، وجعلها ضابطة للملكة ، وإذا كان عدو من أعدائه ، فوَقعت منه حيلة في الحروب نظروا من أين يؤتون ، في عاجل وآجل ، وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ، ويتغلغلون بذلك إلى ما علا من الأفلاك ، وما إليه منتهى العلة الأولى ، وأعداد أضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف [وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعون] ألف ألف ألف ألف ، وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف ، وسبعمائة ألف ألف ، وسبعة آلاف ألف وخمسة ألف واحد وخمسون ألف وستمائة وخمسة عشر ، ومراتب هذه الألوف الستة الأولى ، ثم الخمسة التي هي ألف ألف خمس مرات ، ثم الأربع ، ثم الثلاث ، ثم الاثنين ، ثم الواحدة ؛ لها عندم معانٍ ، يذكرونها في الدهور والأعصار ، وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم ؛ لارتباط نفوس الناطقين بها ، ولليونانيين والروم وغيرهم من الأمم في الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها . وقد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ، ممن تقدم منهم إلى الصولى والعدلى ، وإليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر .

وكان مُلكُ بلهيت ملك الهند إلى أن هلك ثمانين سنة ، وفي بعض النسخ أنه ملك ثلاثين ومائة سنة .

ثم ملك بعده كورش ، فأحدث للهند آراء في الديانات ، على حسب ملك كورش ما رأى من صلاح الوقت ، وما يحتمله من التكليف أهل العصر ، وخرج
(٦ - مروج الذهب ١)

عن مذاهب من سلف ، وكان في مملكته وعصره سندباد ، دَوْنَه كتاب
الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك ، وهو الكتاب المترجم بالسندباد
وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء
والعلاجات ، وشكلت الحشائش ، وصورت ، وكان مدة ملك الهند هذا
إلى أن مات عشرين ومائة سنة .

ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها ، فحزبت الأحزاب ،
وتجملت الأجيال ، وانفرد كل رئيس بناحية ، فملك على أرض السند ملك ،
وملك على أرض القنوج ملك ، وتملك على أرض قشمير ملك ، وتملك على
مدينة المانكير - وهي الحوزة الكبرى - ملك يسمى بالبهري ، وهذا
أول ملك سمي من ملوكهم بالبهري ؛ فصارت سمةً لمن طرأ بعده من الملوك
لهذه الحوزة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

اختلاف أهل
الهند وتعدد
ملوكهم

وأرض الهند أرض واسعة في البر والبحر والجبال ، وملكهم متصل
بملك الزابج ، وهي دار مملكة المهرج ملك الجزائر ، وهذه المملكة
قدر^(١) بين مملكة الهند والصين ، وتضاف إلى الهند ، والهند متصلة مما يلي
الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت ، وبين هذه الممالك تباين
وحروب ، ولغاتهم مختلفة ، وآراؤهم غير متفقة والأكثر منهم يقول
بالتناسخ ، وتتنقل الأرواح على حسب ما قدمناه آنفاً ، والهند في عقولهم
وسياساتهم وحكمتهم [وألوانهم وصفاتهم] وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم
[وودقة نظرهم] بخلاف سائر السودان من الزنج والدمادم وسائر الأجناس .
وقد ذكر جالينوس في الأشود عشر خصال اجتمعت فيه ، ولم توجد في
غيره : تغفل الشعر ، وخفة الحاجبين ، وانتشار النخرين ، وغلظ الشفتين ،

صفة
أرض الهند

(١) في ا د فرز بين مملكة الهند والصين .

وتحديد الأسنان، وتنن الجلد، وسواد الخدق^(١)، وتشقق اليدين والرجلين ،
وطول الذكر ، وكثرة الطرب ، قال جالينوس : وإنما غلب على الأسود
الطرب لفساد دماغه ، فضعف لذلك عقله .

وقد ذكر [غير] جالينوس في طرب السودان ، وغلبة الفرح عليهم ،
وما خص به الزنج من ذلك دون سائر السودان في الإكثار من الطرب
أموراً قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة
الزنجي ، ويقول : إنه عبد مشوه الخلق .

وبأخنا أن أبا العباس الراضي بالله ابن المقتدر بالله كان لا يتناول شيئاً من
أسود ، ويقول : إنه عبد مشوه خلقه ؛ فاست أدري أفلد طاوساً في مذهبه
أم لضرب من الآراء والنحل .

وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتاباً في نحر السودان ومناظرتهم مع البيضان .
والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ، ولا تكاد
ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل برهة من الزمان معلومة ، ويكون ظهرها
للنظر في أمور الرعية ؛ لأن في نظر العوام عندها إلى ملوكها خرقاً لهيتها ،
واستخفافاً بحقها ، والرياسات عند هؤلاء لا تجوز إلا بالتخير ، ووضع الأشياء
مواضعها من مراتب السياسة .

قال السمودي : ورأيت في بلاد سرنديب وهي جزيرة من جزائر البحر -
أن الملك من ملوكهم إذا مات صير على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكرة
معدّة لهذا المعنى ، وشعره ينجر على الأرض ، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب
على رأسه ، وتنادي : أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس قد ملككم
وجاز فيكم حكمه ، وقد صار أمره إلى ماترون من ترك الدنيا ، وقبض

(١) في سواد الخلق .

روحه مَلَكُ الموت ، والحي القديم^(١) الذي لا يموت ، فلا تَفْتَرُوا بالحياة بعده ، وتقول كلاماً هذا معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم ، ويطلق به [كذلك في جميع] شوارع المدينة ، ثم يفصل أربع قطع ، وقد هيء له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ، فيحرق بالنار ، ويُذَرُّ رماده في الرياح ، وكذا فِعْلُ أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم ؛ لغرض يذكرونه ، ونهيج يقيمونه في المستقبل من الزمان ، والملك مقصور على أهل بيت لا ينتقل عنهم إلى غيرهم ، وكذلك بيت الوزراء والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل .

والهند تمنع من شرب الشراب ، ويعتفون شربه ، لا على طريق التدبُّن ، ولكن تنزهاً [عن] أن يوردوا على عقولهم ما يفشيها ، ويزيلها عما وضعت له فيهم ، وإذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحقَّ الخلع عن ملكه ؛ إذ كان لا يتأني له التدبير والسياسة مع الاختلاط ، [ووربما يسمعون السماع والملاهي ، ولم يضررب من الآلات مطربة تفعل في الناس أفعالا مرتبة من ضحك وبكاء] وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم ، فتطرب الرجال لطرب الجوارى .

وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً .

وأعظام ملوك الهند في وقتنا هذا البهري صاحب مدينة المانكير^(٢) ، وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه ، وتصلي لرسله إذا وردوا عليهم ، وتلي مملكة البهري ممالك كثيرة للهند . ومنهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القشمير وملك الطافن وغير ذلك من ملوكهم - أعنى

(١) في « ملك الملوك والحي القيوم الذي لا يموت » .

(٢) في ب ، البلهزا صاحب مدينة المانكير .

ملوك الهند - ومنهم من يملكه بر وبحر ؛ فأما البلهري فإن بين ديار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخاً سنديّة ، والفرسخ ثمانية أميال ، وله جيوش وقيسة لا تدرك كثرتها ، وأكثر جيوشه رجالة ؛ لأن دار ملكه بين الجبال ، ويساويه ^(١) من ملوك الهند ممن لا بحر له بؤورة ^(٢) صاحب مدينة القنوج ، وهذا الاسم [سمة لكل ملك يلي هذه المملكة ، وله جيوش مرتبة] على الشمال والجنوب والصبأ والدبور ؛ لأنه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكاً محارباً له .

وسندكر جملاً من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الأرض فيما يرد من هذا الكتاب ، عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك وغير ذلك ، وإن كنا قد أسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا ، والله أعلم .

(١) في « ويناويه » . (٢) في « يزورة » .

ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال

والأقاليم السبعة ، وما والاها من الكواكب

وترتيب الأفلاك ، وغير ذلك

وصف الأرض قسّمت الحكماء الأرض إلى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب ،

وقسّموا ذلك إلى قسمين : مسكون ، وغير مسكون ، وعامر ، وغير عامر ،

وذكروا أن الأرض مستديرة ، ومركزها في وسط الفلك ، والهواء محيط بها من

كل الجهات ، وأنها عند فلك البروج بمنزلة النقطة [قطة] ، وأخذوا عمرانها من

حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي ، وهي ستة أجزاء عامرة إلى

أقصى عمران الصين ، فوجدوا ذلك اثني عشر ساعة ؛ فعملوا أن الشمس إذا

غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التي في بحر

أوقيانوس الغربي ، وإذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين ،

وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذي ذكروا أنهم وقفوا

عليه ومقداره من الأميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الأميال

التي عملوا عليها في مساحة دور الأرض ، ثم نظروا إلى العروض ؛ فوجدوا

العمران من موضع خط الاستواء إلى ناحية الشمال ينتهي إلى جزيرة تولى

التي في بريطانيا حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة ، وذكروا

أن موضع خط الاستواء من الأرض يقطع فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة

بين الهند والحبش من ناحية الجنوب ، فيعرض ما بين الشمال والجنوب في

النصف مما بين الجزائر العامرة وأقصى عمران الصين وهو قبة الأرض

المعروفة بما ذكرنا ، ويكون العرض من خط الاستواء إلى جزيرة تولى

قريباً من ستين جزءاً ، وذلك سدس دائرة الأرض ، وإذا ضرب هذا السدس

الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول كان مقدار ما يظهر

من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة الأرض .

وأما الأقاليم السبعة فأولها أرض بابل منه خراسان وفارس والأهواز والموصل الأقاليم السبعة وأرض الجبال ؛ وله من البروج الحمل والقوس ، ومن الأنجم السبعة المشتري ، والإقليم الثاني الهند والسند والسودان ، وله من البروج الجدي ، ومن الأنجم السبعة زحل ، والإقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها ، وله من البروج العقرب ، ومن الأنجم السبعة الزهرة ، وهي سعد الفلك ، والإقليم الرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس وما بينها ، له من البروج الجوزاء ، ومن الأنجم السبعة عطارد ، والإقليم الخامس الشام والروم والجزيرة ، له من البروج الدلو ، ومن الأنجم السبعة القمر ، والإقليم السادس الترك والخرز والديلم والصقالبة ، له من البروج السرطان ، ومن الأنجم السبعة المريخ ، والإقليم السابع الديلم^(١) والصين ، له من البروج الميزان ، ومن الأنجم السبعة الشمس .

ذكر حسين^(٢) النجم صاحب كتاب الزيج في النجوم ، عن خالد بن عبد الملك^(٣) المروزي وغيره - وقد كانوا رصدوا الشمس لأمر المؤمنين المأمون في برية سنجان من بلاد ديار ربيعة - أن مقدار درجة واحدة من وجه الأرض ستة وخمسون ميلاً ؛ فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلاً ، ثم ضربوا دور الأرض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلاً ؛ فقسموا ذلك على اثنين وعشرين ميلاً ، وخرج للقسم الذي هو مقدار قطر الأرض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلاً [ونصفاً] ونصف عشر ميل بالتقريب ، ونصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة

(١) في ا ه الديلم ، (٢) في ب «جلس النجم» (٣) في ب «خالد بن عبد الله»

وثلاثاً ثانية^(١)، يكون ربع ميل وربع عشر ميل، والميل أربعة آلاف ذراع بالأسود، وهي الذراع التي وضعها أمير المؤمنين المأمون لذرْع الثياب ومساحة البناء، وقسمة المنازل، والذراع مائة وعشرون إصبغاً^(٢) :

جغرافية
بطليموس

قال المسعودي : وقد ذكر بطليموس^(٣) في الكتاب المعروف بجغرافيا صِفَة الأرض ومُدُنْهَا وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والأنهار والعيون ووَصَفَ المدن المسكونة والمواضع العامرة، وأن عددها أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره، وسماها مدينة مدينة في إقليم إقليم، وذكر في هذا الكتاب ألوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الألوان، وأن عددها مائتا جبل ونيّف، وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر. وذكر هذا الفيلسوف أن عدد البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر، وذكر ما فيها من الجزائر، والعامر منها وغير العامر، وما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر، وذكر أن في البحر الحبشي جزائر متصلة نحواً من ألف جزيرة يقال لها الديبجات^(٤) عامرة كلها [من الجزيرة إلى الجزيرة الميلاّن والثلاثة وأكثر من ذلك، دون ما في هذا البحر] من الجزائر .

وذكر بطليموس في جغرافيا أن ابتداء بحر مصر من الروم إلى بحر الأصنام النحاس، وأن جميع العيون الكبار [التي تنبع من الأرض] مائتا عين وثلاثون عيناً، دون ما عداها من الصفار، وأن عدد الأنهار الكبار الجارية في الأقاليم السبعة على [دوام الأوقات مائتان وتسعون نهراً، وأن الأقاليم على] حسب ما قدمناه [في عدة الأقاليم، و] كل إقليم سعته تسعمائة فرسخ في مثلها، وفي البحار ما هو معمور بالحيوان، ومنها ما ليس بمعمور، وهو أوقيانوس البحر المحيط، وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل البحار ووصفها، وهذه

(١) في ١ « وثلاثين ثانية » (٢) في ١ « أربعة وعشرون أصبغا »

(٣) في ١ « وقد ذكر الفيلسوف » (٤) في ب « الديبجات »

البحار كلها مصورة في كتاب جغرافياً بأنواع من الأصباغ مختلفة المقادير في الصورة ، فمنها ما هو على صورة الطيسان ، ومنها ما هو على صورة الشابورة ، ومنها مصراني الشكل [ومنها مدور] ومنها مثلث ، إلا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها ، وأن قطر الأرض ألقان ومائة فرسخ [يكون ذلك على التصحيح ستة آلاف وستمئة فرسخ] تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع ، والذي يحيط بأسفل دائرة النجوم — وهو فلك القمر — مائة ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفاً وستمئة وستون فرسخاً ، وأن قطر الفلك من حد رأس الحمل إلى حد رأس الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ ، وعدد هذه الأفلاك تسعة ؛ فأولها وهو أصغرهما وأقربها إلى الأرض للقمر ، والثاني لعطارد ، والثالث للزُّهرة ، والرابع للشمس ، والخامس للمريخ ، والسادس المشتري ، والسابع لزُحل ، والثامن للكواكب الثابتة ، والتاسع للبروج ، وهيئة هذه الأفلاك هيئة الأُكْرِ بعضها في جوف بعض ؛ ففلك البروج يسمى الفلك الكلي ، وبه يكون الليل والنهار ؛ لأنه يدور الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة دَوْرَةً واحدة ، على قطبين ثابتين : أحدهما على الشمال وهو قطب بنات نَعَشٍ ، والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سُهَيْل ، وإيس البروج غير الفلك ، وإنما هي مواضع لقبَّت بهذه الأسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي ؛ فيجب أن تكون البروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع في وسط الكرة ، والخط القاطع للكرة نصفين الآخذ من المشرق إلى المغرب يسمى دائرة مُعَدَّلِ النهار ؛ لأن الشمس إذا صارت عايتها استوى الليل والنهار في جميع البلدان ، فما كان من الفلك آخذاً من الجنوب إلى الشمال يسمى العَرَضَ ، وما كان آخذاً من المشرق إلى المغرب يسمى الطول ، والأفلاك مستديرة محيطة بالعالم ، وهي تدور على مركز الأرض ، والأرض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة ، وهي تسعة أفلاك ؛

فأقربها من الأرض فلك القمر ، وفوقه فلك عطارد ، وفوق ذلك فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، والشمس متوسطة الأفلاك السبعة ، وفوقها فلك المريخ ، وفوقه فلك المشتري ، وفوق ذلك فلك زحل ، وفي كل فلك من هذه الأفلاك السبعة كوكب واحد فقط ، وفوق فلك زحل الفلك الثامن [الذي فيه البروج الاثنا عشر ، وسائر الكواكب في الفلك الثامن] ، والفلك التاسع — وهو أرفع وأعظم جسماً ، وهو الفلك الأعظم — يحيط بالأفلاك التي دونه مما سمينا ، وبالطبائع الأربع ، وبجميع الخليقة ، وليس فيه كوكب ، ودوره من المشرق إلى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ، ويدور بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها ، وأما الأفلاك السبعة التي قدمنا ذكرها فإنها تدور من المغرب إلى المشرق ، وللأوائل فيما ذكرنا حجج يطول الخطب بها ، والكواكب المرئية^(١) التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن ، وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم المتقدم ذكره ، وزعموا أن الدليل على أن حركة هذه البروج غير حركة الأفلاك هو أن البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضاً في مسيرها ، ولا تنتقل عن أماكنها ، ولا تتغير حركاتها في طلوعها وغروبها ، وأن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، ولها تفاوت في حركاتها ؛ فربما أسرع الكواكب في حركته ومسيره ، وربما أخذ في الجنوب ، وربما أخذ في الشمال ، وحد الفلك عندهم أنه نهاية لما^(٢) تصير إليه الطبائع علواً وسفلاً ، وحدّه من جهة الطبائع أنه شكل مستدير ، وهو أوسع الأشكال ، وهو يحيط بالأشكال كلها ، وأن مقادير حركة هذه الكواكب في أفلاكها مختلفة ؛ فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ، ويقطع الفلك في شهر ، ومقام الشمس في كل برج شهر ، ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوماً ، ومقام الزهرة في كل برج خمسة وعشرون يوماً ، ومقام المريخ في كل برج

(٢) في ا هـ فو نهاية لما تصير — إلخ هـ

(١) في ا هـ المرتبة هـ

خسة وأربعون يوماً ، ومقام المشتري في كل برج سنة ، ومقام زحل في كل برج ثلاثون شهراً .

وقد زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطى أن استدارة الأرض كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل ؛ وأن قطرها — وهو عرضها وعمقها — سبعة آلاف^(١) وستمائة وستة وثلاثون ميلاً ، وأنهم إنما استدرکوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتين وهما على خط واحد من خط الاستواء ، مثل مدينة تدُمُر التي في البرية بين العراق والشام ، ومثل مدينة الرقة ؛ فوجدوا ارتفاع القطب في مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزءاً وثلاثاً ؛ ووجدوا ارتفاع القطب في مدينة تدُمُر أربعة وثلاثين^(٢) جزءاً ، بينهما زيادة جزء وثلث جزء ، ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وستين ميلاً^(٣) ؛ فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلاً من الأرض ، والفلك ثلثمائة وستون جزءاً ؛ لعل ذكروها يبعد علينا إيرادها في هذا الموضع ، وهذه قسمة صحيحة عندهم ؛ لأنهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا عشر ، وأن الشمس تقطع كل برج في شهر ، وتقطع البروج كلها في ثمانمائة وستين يوماً ، وأن الفلك مستدير يدور بمحورين أو قطبين ، وأنهما بمنزلة محوري النجار والخراط الذي يخرط الأكر والقصاع وغيرها من الآلات الخشب ، وأن من كان مسكنه وسط الأرض وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره سائر الدهور ، ورأى هذين المحورين أعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي جميعاً ، فأما أهل البلدان التي مالت إلى ناحية الشمال فإنهم يرون القطب الشمالي وبنات نعش ، ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه ، وكذلك لا يرى الكواكب

(١) في ب « تسعة آلاف » (٢) في ب « أربعة وثمانين جزءاً »

(٣) في ب « سبعة وثلاثين ميلاً »

المعروف بسَهَيْلٍ بناحية خراسان ، ويرى في العراق في السنة أياماً ، ولا تقع عين جل من الجمال عليه إلا هلك ، على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان خاصة ، وأما في البلدان الجنوبية فإنه يُرى في السنة كلها .

وقد تنازع طوائف الفلكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك في دوره : أسا كنان ها أم متحركان ؟ فذهب الأكثر منهم إلى أنها غير متحركين ؛ وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين ^(١) : أمن جنس الأفلاك ها أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا .

شكل البحار

وقد تنوزع في شكل البحار ؛ فذهب الأكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين — إلا من خالفهم وذهب إلى قول الشرعيين — أن البحر مستدير على مواضع الأرض ، واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة ، منها أنك إذا لججت فيه غابت عنك الأرض والجبال شيئاً بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ، ولا ترى شيئاً من شوامخ الجبال ، وإذا أقبلت أيضاً نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيئاً بعد شيء ، و [إذا قربت من الساحل] ظهرت الأشجار والأرض .

وهذا جبل دُنْبَاوَنَدَ بين بلاد الري وطبرستان يرى من مائة فرسخ ؛ لعلوه وذهابه في الجو ، ويرتفع في أعاليه الدخان ، والثلوج مترادفة عليه غير خالية من أعاليه ، ويخرج من أسفله نهر كثير الماء أصفر كبريتي ذهبي اللون ، مسافة الصعود إليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها ، وإن من علاه وصار في قُلَّتِه وجد مساحة رأس القلّة نحو ألف ذراع في مثل ذلك ، وهي ترى في رأى العين من أسفل نحو القبة المنخرطة ، وإن في هذه المساحة في أعاليه

(١) في ١ « بقاء هذين المحورين » .

رملا أحمر تفوص فيه الأقدام ، وإن هذه القبة لا يلحقها شيء من الوحش ولا من الطير ؛ لشدة الرياح وسموها في الهواء ، وشدة البرد ، وإن في أعاليه نحواً من ثلاثين ثقباً^(١) يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ، ويخرج مع ذلك من هذه المخارق مع الدخان دوى عظيم بأشد ما يكون من الرعد ، وذلك صوت تثهب النيران ، وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد إلى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتاً أصفر كأنه الذهب يقع في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه ، وإن من علاه يرى ما حوله من الجبال الشاخمة كأنها رواب وتلال لعلوه عليها ، وبين هذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخاً ، والمراكب إذا لجت في هذا البحر غاب عنها جبل دُنْبَاوَنَدَ فلم يره أحد ، فإذا صاروا في هذا البحر على نحو من مائة فرسخ ، ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل ، فكلما قربوا من هذا الساحل ظهر لهم ، وهذا دليل على ما ذهبوا إليه من كرية ماء البحر ، وأنه مستدير الشكل .

وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام ومصر يرى الجبل الأقرع ، وهو جبل عال لا يدرك علوه ، مِطِل على بلاد أنطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرص وغيرها من بلاد الروم ، فيغيب عن أبصار من في المراكب لانخفاضهم في المسير في البحر عن المواضع التي يرى منها .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل دُنْبَاوَنَدَ وما قال الفرس في ذلك ، وأن الضحاك ذا الأفواه موثق في أعاليه بالحديد ، وهذه القبة التي في أعالي هذا الجبل أطم عظيمة من أطام الأرض ومعانيتها .

وقد تكلم الناس في بعد الأرض ؛ فذكر الأكثر أن من مركز الأرض مساحة الأرض والكواكب

(١) في الأثبات

إلى ما ينتهي إليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر^(١) ألف ميل ،
 وأما القمر فإن الأرض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة^(٢) ، والأرض أعظم
 من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة ، والأرض أعظم من الزهرة بأربع
 وعشرين ألف مرة ، والشمس أعظم من الأرض بمائة وسبعين مرة وربع
 وثمان^(٣) ، وأعظم من القمر بألف وستمئة وأربع وأربعين مرة^(٤) ،
 والأرض كلها نصف عشر ثمن [جزء] من الشمس ، وقطر الشمس اثنان
 وأربعون ألف ميل ، والمريخ مثل الأرض وزيادة ثلاثة وستين مرة ، وقطره
 ثمانية آلاف وسبعمائة ميل ونصف ميل ، والمشتري مثل الأرض إحدى
 وثمانين مرة ونصف وربع ، وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر
 ميلاً^(٥) ، وزحل أعظم من الأرض تسعاً وتسعين مرة ونصفاً ، وقطره اثنان
 وثلاثون ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلاً^(٦) ، وأما أجرام الكواكب
 الثابتة التي في المشرق الأول - وهي خمسة عشر كوكباً - فكل كوكب
 منها أعظم من الأرض بأربع وتسعين مرة ونصف مرة ، وأما بعدها من
 الأرض فإن أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل ، وأبعد
 بعده من الأرض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل ، وأبعد بعد عطارد من
 الأرض سبعمائة ألف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل^(٧) ، وأبعد بعد
 الزهرة من الأرض أربعة آلاف ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستمئة
 ميل^(٨) ، وأبعد بعد الشمس من الأرض أربعة آلاف ألف [ألف] وثمانمئة

(١) في ا « مائة ألف وثمانية وستون ألف ميل »

(٢) في ا « سبعة وثلاثين مرة وشيء »

(٣) في ا « مائة وستا وستين مرة وربعا وثمان »

(٤) في ا « ألفا وستمئة وأربعين مرة » (٥) في ا « ومائتان وستة عشر ميلاً »

(٦) في ا ، وسبعمائة وستة وثلاثون ميلاً »

(٧) في ا « تسعمائة ألف وسبعمائة وثلاثون ألف ميل »

(٨) في ا « أربعة آلاف ألف وتسعة عشر ألفا وستمئة ميل » وهو الموافق لما بعده

ألف وعشرون ألفاً ونصف ميل ، وأبعد بعد المريح من الأرض ثلاثة وثلاثون ألف [ألف] ميل وستمئة [ألف] ميل وشيء ، وأبعد بعد المشتري من الأرض أربعة وخمسون ألف ومائة ألف [وستة] وستون ألف ميل إلا شيئاً ، وأبعد بعد زحل من الأرض سبعة وسبعون ألف ألف ميل إلا شيئاً ، وأبعد الكواكب الثابتة من مركز الأرض نحو ذلك .

وفيا ذكرنا من القسمة والأجزاء والمقاييس استدرك القوم علم الساعات [والكسوفات] وبها استخراج الآلات والإسطرلابات ، وعليها صنفوا كتبهم كلها ، وهذا باب إن شرعنا في إيراد البعض منه كثر ، واتسع الكلام فيه ، وإنما ذكرنا لمعاً من هذه الفنون لندل بها على ما لم نورد .

وقد رتبت الصابئة من الحرانيين - وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين - الكهنة في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الأفلاك السبعة ، فأعلى كهانهم يسمى رأس كرى^(١) ، ثم وردت بعدهم النصارى فرتبت الكهنة في كهانتها ، على ما تقدمت فيه الصابئة في مذهبها .

وسميت النصارى هذه المراتب العظمت^(٢) : فأولها الساط ، والثاني اعنسط ، والثالث يودنا ، والرابع شماس ، والخامس قسيس ، والسادس يودوط ، والسابع حور الغينطس ، وهو الذي يخلف الأسقف ، والثامن أسقف ، والتاسع مطران^(٣) ، وتفسير مطران رئيس المدينة ، والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطررك ، وتفسيره أبو الآباء ؛ فمن تقدم ذكرهم من أصحاب المراتب وغيرهم من الأداني وعوامهم ، هذا عند خواص النصارى ؛

(١) في ب « كروردن » (٢) في ا « الطاعات » (٣) هكذا وقعت هذه الأسماء في ب ، وفي ا « فأولها الصلط ، والثاني أعسط ، والثالث يوداقن ، والرابع شماس ، والخامس قسيس ، والسادس بردوت ، والسابع حوار اسفطس ، وهو الذي يخلف الأسقف ، والثامن الأسقف ، والتاسع مطران »

فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرنا ، وهو أن ملكاً
 ظهر لهم ، وأظهر أموراً يذكرونها لا حاجة بنا إلى وصفها ، وهذا ترتيب
 الملكية ، وهم عمدة النصرانية وقطبها ؛ لأن المشاركة - وهم العباد والملقبون
 بالنسطورية واليعاقبة - عن هؤلاء تفرعوا ، ومنهم تيددوا^(١) ، وإنما أخذت
 النصارى جملاً من هذه المراتب على ما ذكرنا من الصابئة ، وأما القسيس
 والشماس وغير ذلك فعن المانية ، إلا التصدوس والسمع^(٢) ، وإن كان
 ماني حدث بعد مضي السيد عيسى بن مريم عليه السلام ، وكذلك
 ابن ديصان ومريقيون ، وإلى ماني أضيفت المانية ، وإلى مريقيون أضيفت
 المقيونية ، وإلى ابن ديصان أضيفت الديسانية ، ثم تفرعت بعد ذلك
 المزدقية وغيرها ممن سلك طريقة صاحب الاثنين .

وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط على جمل
 من نوادر هذه المذاهب ، وما أوردوه من الخرافات المزخرفة ، والشبه
 الموضوع ، وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في « المقالات في أصول
 الديانات » وما ذكرناه في كسر هذه الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا
 المترجم بكتاب « الإبانة في أصول الديانة » وإنما نذكر في هذه الأبواب
 ما يتشعب الكلام إليه ، ويتفاخر الوصف نحوه ، فنورد منه لعمري على
 طريق الخبر والحكاية للذهب ، لا على طريق النظر والجدل ؛ لتلايخلو
 كتابنا هذا مما تدعو الحاجة إلى ذكره ، والله أعلم .

(١) في « ومنهم تددوا »

(٢) في « إلا المصدقون والسمع »

ذكر الأخبار عن انتقال البحار

وجمل من أخبار الأنهار الكبار

ذكر صاحب المنطق أن البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر^(١)، حتى تصير في مواضع مختلفة، وأن جملة البحار متحركة، إلا أن تلك الحركة إذا أضيفت إلى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعودها صارت كأنها ساكنة، وليست مواضع الأرض الرطبة أبداً رطبة، ولا مواضع الأرض اليابسة أبداً يابسة، لكنها تتغير وتستحيل، لصب الأنهار إليها^(٢)، وانقطاعها عنها، ولهذا العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر؛ فليس موضع البر أبداً برأ، ولا موضع البحر أبداً بحرأ، بل قد يكون برأ حيث كان مرة بحرأ، ويكون بحرأ حيث كان مرة برأ، وعلة ذلك الأنهار وبدؤها^(٣)؛ فإن لمواضع الأنهار شباباً وهراً، وحياة وموتاً، [ونشأ] ونشوراً، كما يكون ذلك في الحيوان والنبات، غير أن الشباب والكبر في الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزء، لكنها تشب وتكبر أجزاءها [كلها] معاً، وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد، فأما الأرض فإنها تهرم وتكبر جزءاً بعد جزء، وذلك بدوران الشمس.

وقد اختلف الناس في الأنهار والأعين من أين بدؤها.

فذهبت طائفة إلى أن مجراها كلها — أعني البحار —^(٤) واحد، وهو

البحر الأعظم، وأن ذلك بحر عذب ليس هو بحر أقيانوس.

وزعمت طائفة أن البحار^(٤) في الأرضين كالعروق في البدن.

(١) في « وطول الدهور » .

(٢) في « صب الأنهار فيها » .

(٣) في « وجريها » .

(٤) هذه الكلمة ليست في ١، والمراد الأنهار .

وقال آخرون : حق الماء أن يكون على سطح ، فلما اختلفت الأرض فكان منها العالی والهابط انحاز الماء إلى أعماق الأرض ، فإذا انحصرت المياه في أعماق الأرض وقُورها طلبت التنفُّسَ حينئذٍ ؛ لفظ الأرض وضغطتها إياها من أسفل ، فتنبثق من ذلك العيون والأنهار ، وربما تتولد في باطن الأرضين من الهواء الكائن هناك ، وأن الماء ليس بأسطقس ، وإنما هو متولد من عُفونات الأرض وبخارها ، وقالوا في ذلك كلاماً كثيراً أعرضنا عن ذكره طلباً للإيجاز وميلاً للاختصار ، وقد بسطنا ذلك في غير هذا الكتاب من كتبنا .

وأما مبادئ الأنهار الكبار ، ومطارحها ، ومقادير جريانها على وجه الأرض كالنيل والفرات والدجلة ونهر بلخ ، وهو جيحون ، ومهران السند وجنحس^(١) ، وهو نهر عظيم بأرض الهند ، ونهر^(٢) سابط وهو نهر عظيم ، ونهر طنابس^(٣) الذي يصب إلى بحر نيطنس ، وغيرها مما كبر من الأنهار فقد تكلم الناس في مقدار جريانها على وجه الأرض .

فأريت في جغرافيا النيل مصوراً ظاهراً من تحت جبل القمر ، ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا ، فتصب تلك المياه إلى بحرين^(٤) هناك كالبطائح ، ثم يجتمع الماء جارياً فيمر برمال هناك وجبال ، ويخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج ؛ فيتشعب منه خليج ينصب إلى بحر الزنج ، وهو بحر جزيرة قنبلو ، وهي جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين ، إلا أن لغتهم زنجية : غلبوا على هذه الجزيرة ، وسبوا من كان فيها من الزنج ، كغلبة المسلمين على جزيرة إقريطش في البحر الرومي ، وذلك في مبدأ الدولة العباسية وتَقَضَّى الأموية ، ومنها إلى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحرِيُّونَ حَزْراً منهم لذلك ، لا على طريق التحصيل

النيل

(٢) في ب « سامط » .

(٤) في ا « بحيرتين » .

(١) في ب « وحيص » .

(٣) في ب « أطفاس » .

والمساحة ، وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السرافيين والعمانيين وهم أرباب المراكب أنهم يشاهدون في هذا البحر — في الوقت الذي تكثر فيه زيادة النيل بمصر ، أو قبل الأوان بمدة يسيرة — ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه ، يخرج من جبال الزنج ، عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا ، يتكدر في إبان الزيادة بمصر وصعيدها ، فيها الشوهان^(١) ، وهو التماسح الكائن في نيل مصر ، ويسمى أيضاً الورل .

وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذي هو نهر السند من نيل مصر ، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فاست أدري كيف وقع له هذا الدليل ، وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان ، وهو كتاب في نهاية الغثاثة^(٢) ؛ لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولا أكثر الأسفار ، ولا تقرى المسالك والأمصار [وإنما كان حاطب ليل ، ينقل من كتب الوراقين] أو لم يعلم أن نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي بلاد السند من أرض القنوج من مملكة بؤورة وأرض قشيمر والقفندار^(٣) والطافر حتى ينتهي إلى بلاد المولتان ، ومن هناك يسمى مهران الذهب ، وتفسير المولتان فرج الذهب ، وصاحب مملكة بلد المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤي بن غالب ، والقوافل منه إلى خراسان متصلة ، وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الأسود ، والملك في هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديما من صدر الإسلام ، ثم ينتهي نهر مهران إلى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل في بحر الهند ، والتماسيح كثيرة

(١) في ب « فيه السموسار » .

(٢) في ا « في نهاية الحسن وإن كان الرجل » .

(٣) في ا « والقنهار والطاقن » .

في أجواف هذا البحر^(١) ، وفي خليج ميدايون من مملكة ياغر من أرض الهند^(٢) وخليجان الزابج من بحر مملكة المهرج ، وكذلك في خليجان الأغياب ، وهي أغياب تلي جزيرة سرنديب ، والأغلب على التماسيح كونها في الماء العذب ، وما ذكرنا من خليجات الهند فالأغلب من أمواها أن تكون عذبة لصب مياه الأمطار إليها .

عود إلى
ذكر النيل

فلنرجع الآن إلى الأخبار عن نيل مصر ، فنقول : إن الذي ذكرته الحكماء أنه يجري على وجه الأرض تسعمائة فرسخ ، وقيل : ألف فرسخ ، في عامر وغير عامر ، حتى يأتي أسوان من صعيد مصر ، وإلى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر ، وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجرى النيل في وسطها ، ولا سبيل إلى جريان السفن فيه هناك ، وهذه الجبال والمواقع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين ، ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ، ثم يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر اللاهون من بلاد الفيوم ، وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي أبخزها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطنا ، فيقطعه ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر [والفيوم] وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في ماها^(٣) ، ثم يمضي جاريا فينقسم خليجات إلى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية ، [كل] يصب إلى البحر الرومي ، وقد أحدث فيه^(٤) بحيرات في هذه المواضع ، وقد كان النيل انقطع عن بلاد الإسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادا في هذه السنة - وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ونمى إلى وأنا بمدينة أنطاكية وللشعر الشامي أن النيل زاد في هذه السنة ثمانية عشر ذراعا ؛ فلست أدري أي هذه الإيادة

(١) في « في أجوان هذا البحر ، وهي الخليجات كخليج صندابورة من مملكة باغرة » . (٢) في « في بنائها » . (٣) في « وأخذت منه » .

دخل خليج الإسكندرية أم لا ، وقد كان الإسكندر بن فيابس^(١) المقدوني بنى الإسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجر إليه معظم ماء النيل ، ويسقى [بلاد] الإسكندرية وبلاد مَرْيُوط ، وكان بلاد مريوط هذا في نهاية العمارة ، واجناب منصلة بأرض بَرْقَة من بلاد المغرب ، وكانت السفن تجرى في النيل فتصل بأسواق الإسكندرية ، وقد باط أرض نيلها في المدينة بالرخام والمرمر ، فأنقطع الماء عنها لعوارض سدت خُلجانها ومنعت الماء من دخوله ، وقيل : لِعَالٍ غير ذلك منعت من تنفسه^(٢) وردت الماء إلى كنانه ، لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيه الاختصار ، فصار شربهم من الآبار ، وصار النيل على نحو يوم منهم ، وسند كرفيا يرد من هذا الكتاب في باب ذكر نال أخبار الإسكندرية جملا من أخبارها وأخبار بنائها ، وما ذكرنا من الماء الجاري إلى بحر الزنج فإنما هو [خليج] آخذ من أعالي ، حسب الزنج ، وفارق بين بلاد الزنج وبين أقاصي بلاد أجناس الأحابيش ، ولولا ذلك الخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للحبشة مقام في ديارهم من أنواع الزنج لكثرتها وبطشها .

جيحون
نهر بلخ

وأما نهر بَلخ الذي يسمى جَيْحُون فإنه يخرج من عيون تجرى حتى تأتي بلاد خَوَارِزْم ، وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الترمذ وإسفرائين وغيرها من بلاد خراسان فإذا ورد إلى بلاد خوارزم تفرق في مواضع هناك ، ويمضي باقيه فيصب في البحيرة التي عليها القرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم ، وليس في ذلك الصقع أكبر من هذه البحيرة ، ويقال : إنه ليس في العمران بحيرة أكبر منها ؛ لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ، تجرى فيها السفن ، وإليها يصب نهر فرغانة والشاش ويمر ببلاد الفاراب في مدينة جديس^(٣) ، وتجري فيه السفن إلى هذه

(١) في ب « بن الفيلفوس » .

(٢) في ا « من تنقيته ورد الماء إلى كانه » .

(٣) في ب « العادات وبعدينة حية » .

البحيرة ، وعابها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة ، وفيها المسلمون ، والأغلب من الأتراك في هذا الموضع الغزبية ، وهم بَوَادٍ وَحَصْرٌ ، وهذا الجنس من الأتراك هم أصناف ثلاثة : الأسافل ، والأعلى ، والأواسط ، وهم أشد الترك بأساً ، وأقصرهم ، وأصغرهم أعيناً ، وفي الترك مَنْ هو أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق في كتاب الحيوان في المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغرانيق ، وسند كراما من أخبار أجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا ، وبمدينة بلخ رباط يقال له الأخشبان^(١) على نحو من عشرين يوماً منها ، وهو في آخر أعمالها ، ويزانهم أنواع من الكفار يقال لهم أُوخَانٌ وَتَبْت^(٢) ، وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم إِيغَان^(٣) ، ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر إِيغَان ، وزعم قوم من أهل الخبرة أنه مبتدأ نهر جيحون ، وهو نهر بَلْخَ ، ومقدار جريانه على وجه الأرض نحو من خمسين ومائة فرسخ ، من مبدأ نهر الترك ، وهو إِيغَان ، وقيل : أربعمائة فرسخ ، وقد غاط قوم من مصنفى الكتب في هذا المعنى ، وزعموا أن جيحون يصب إلى نهر مَهْرَانِ السند ، ولم يذكروا نهر رست^(٤) الأسود ، ولا نهر رست^(٥) الأبيض الذي تكون عليه مملكة كِيَاك بِيغُور^(٥) ، وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ ، وهو جيحون ، وعلى هذين النهرين الغورية من الترك ، وهذين النهرين أخبار لم نخط بمقدار مسافتها على وجه الأرض فنذكر ذلك .

وكذلك جنس نهر الهند ، فبذوه في جبل من أقاصى أرض الهند مما يلي الصين من نحو بلاد الطغرغر^(٦) من الترك ، ومقدار جريانه إلى أن يصب في البحر الحيشي مما يلي ساحل الهند أربعمائة فرسخ .

نهر جنجس
بالهند

- (١) في ب « الإحسان » . (٢) في ب « يقال لهم أوحاريت » .
(٣) في ب « العاركم » . (٤) في ا « أرشت » في الموضعين .
(٥) في ب « مملكة كيان » . (٦) في ا « الطغرغر » .

وأما الفرات فمبلوؤه من بلاد قَالِيْقلا من ثغور إرمينية من جبل هناك يدعى نهر الفرات إفر دحس ، على نحو يوم من قَالِيْقلا ، ومقدار جريانه من بلاد الروم إلى أن يأتي بلاد ملطية مائة فرسخ^(١) ، وأخبرني بعض إخواننا من المسلمين ممن كان أسيرا في أرض بلاد النصرانية أن الفرات إذا توسط أرض الروم تحلبت إليه مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلي بحيرة الماذرمون^(٢) ، وليس في أرض الروم بحيرة أكبر منها ، وهي نحو من شهر ، وقيل : أكثر من ذلك طولا وعرضا ، تجري فيها السفن ، وينتهي الفرات إلى جسر منبج ، وقد اجتاز تحت قلعة سُمَيْسَاط ، وهي قلعة الطين ، ثم ينتهي إلى بالس ويمر بصيفين موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ، ثم ينتهي إلى الرقة وإلى الرحبة وهيت والأنبار ، ويأخذ منه هناك أنهار مثل نهر عيسى وغيره ، مما ينتهي إلى مدينة السلام ، فيصب في دجلة ، وينتهي الفرات إلى بلاد سوري وقصر ابن هُبيرة والكوفة والجامعين وأحمد آباد والفرس^(٣) والطفوف ، ثم تنتهي غايته إلى البَطِيْحَة التي بين البصرة وواسط ، فيكون مقدار جريانه على وجه الأرض [نحو] مائة فرسخ ، وقد قيل أكثر من ذلك ، وقد كان الفرات أكثر من مائة ينتهي إلى بلاد الحيرة ونهرها بين إلى هذا الوقت وهو يعرف بالعتيق ، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رُسَم ، وهي وقعة القادسية ، فيصب في البحر الحبشي ، وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنَّجَف^(٤) في هذا الوقت ، وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة ، وقد ذكر ما قلنا^(٥) عبد المسيح بن عمرو بن قبيلة الفسائي حين خاطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه حين قال له : ما تذكر ؟ قال : أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون ، فلما

(١) لم بين القدار في ب . (٢) في « المرزبون » .

(٣) في « والنرس » . (٤) في ب « بالهف » .

(٥) في ا ذكر قصة عبد المسيح بطولها .

انقطع الماء عن مصبه في ذلك الموضع انتقل البحر براً؛ فصار بين الخيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة، ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا، وكتنقل الدجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة، وصارت تدعى ببطن جوخي^(١)، وذلك من جهة مدينة فارس^(٢) من أعمال واسط إلى دنوقاء إلى نحو بلاد السوس^(٣)، وكذلك ما حدث في الجانب الشرقي ببغداد من الموضع المعروف بركة الشماسية وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بين قطر ببل ومدينة السلام، كالقرية المعروفة بالقب والموضع المعروف بالبشري والموضع المعروف بالعين^(٤)، وغير ذلك من ضياع قطر ببل، وقد كان لأهالها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي من ملك رقة الشماسية [في أيام المقتدر]، بحضرة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى، وما أجاب به أهل العلم في ذلك، وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام، فإذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من^(٥) سبع ميل، فإنه يسير ميلاً في قدر مائتي سنة، فإذا تباعد النهر أربعة آلاف ذراع من موضعه الأول خربت بذلك السبب مواضع وعمرت مواضع، وإذا وجد الماء سبباً منخفضاً وانصباباً واسعاً بالحركة وشدة الجرّية لنفسه، فاقتلع المواضع من الأرض من أبعدها، وكلما وجد موضعاً متسعاً من الوهاد ملاءه في طريقه من شدة جرّيته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات، وتخرّب بذلك بلاد، وتعمّر بذلك بلاد، ولا يغيب فهم ما وصفنا على من له أدنى فكر.

(١) في ب « بطن حرجي » .

(٢) في ا « باديين من أعمال واسط العراق إلى بلاد دور الراسي إلى نحو بلاد السوس من بلاد خوزستان » .

(٣) في ب « كالقرية المعروفة باليسري والموضع المعروف بالعمر » .

(٤) في ب « يذهب بنحو من تسعمائة سنة فإنه يسير ميلاً في قدره في سنة »

ولنبداً بذكر دجلة ومبدأ جريانها ومصبها ، فنقول : دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر ، وهي أعين بيلا دخلاط من أرمينية ، ويصب إليها نهر اسر يبط وساتيدما يخرج من بلاد أرزن وميافارقين وغيرها من الأنهار كنهري دوشا والخابور الخارج من بلاد أرمينية ، ومصبه في دجلة بين مدينة باسورين وقبر سابور ، من بلاد بقردي وبازبدي [وباهمداء] من بلاد الموصل ، وهذه الديار ديار بني حمدان ، وفي بقردي وبازبدي يقول الشاعر :

بقردي وبازبدي مصيف ومربع وعذب يحاكي السلسبيل برود
وبغداد ، ما بغداد ؟ أما تراها شجر ، وأما حرها فشديد

وليس هذا الخابور خابور النهر الذي يخرج من مدينة رأس العين من أعينها ويصب في الفرات أسفل مدينة قرقيسيا ، ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ، ويصب إليها نهر الزاب ، وهو من بلاد أرمينية وهو الزاب الأكبر بعد الموصل ، وفوق الحديث [مدينة الموصل] ، ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السن ^(١) يأتي من بلاد أرمينية وأذر بيجان ، ثم ينتهي إلى مدينة تكريت وسر من رأي ومدينة السلام ، فيصب إليها الخندق والبصرة ونهر عيسى ، وهي الأنهار التي ذكرنا أنها تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ، ثم تخرج دجلة من مدينة السلام فيصب فيها أنهار كثيرة ، مثل النهر المعروف بدالي ^(٢) ونهر بين ونهر الروان مما يلي بلاد جرجر آيا والسب وتلي النعمانية ، فإذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار هناك آخر إلى بطيحة البصرة ^(٣) ، مثل رود اليهودي ومسامي ^(٤) والمصب الذي ينتهي إلى القطر ، وفيه تجري أكثر سفن البصرة وبغداد وواسط ، فمقدار مسافة جريان دجلة على وجه الأرض نحو من ثلثمائة فرسخ ، وقيل : أربعمائة .

(١) في ب « السحرة » . (٢) في ا « المعروف بذبالة » .

(٣) في ا « مثل نهر سابيس واليهودي والشامي » .

وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأنهار إلا ما كبر واشتهر ؛ إذ كنا قد أتينا على ذكر ذلك على الإشباع في الكتاب المترجم بأخبار الزمان ، وكذلك في الكتاب الأوسط ، ونذكر في هذا الكتاب لمعاً مما سمينا من الأنهار ، ومما لم نُسِّمه .

وللبصرة أنهار كبار : مثل نهر شيرين ، ونهر الرس^(١) ، ونهر ابن عمر ، وكذلك بلاد الأهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة ، أعرضنا عن ذكر ذلك ؛ إذ كنا قد تَقَصَّينا الأخبار عنها وأخبار منتهى بحر فارس إلى بلاد البصرة والأبلة وخبر الموضع المعروف بالجرارة^(٢) — وهي دخلة من البحر إلى البر تقرب من نحو بلاد الأبلة ، ومن أجابها مالح الأكثر من أنهار البصرة — ولهذا الجرارة اتخذت^(٣) الخشبات في فم البحر مما يلي الأبلة وعبادان ، عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسى في جوف الليل^(٤) خوفاً على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرها أن تقع في تلك الجرارة [وغيرها ، فتعطب] ، فلا يكون لها خلاص ، وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا ، وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها ، والله أعلم .

(١) في « الدير » .

(٢) في ب « بالحدارة » .

(٣) في ب « انحدرت الأخشاب » .

(٤) في ا « في جوف البحر » .

ذكر جبل من الأخبار عن البحر الحبشى

وما قيل في [ذلك من] مقداره و [سعة] خُلُجَانِه

قَدَرُوا بحر الهند ، وهو الحبشى، وأنه يمتدُّ طوله من المغرب إلى المشرق من أقصى الحبش إلى أقصى الهند والصين ، ثمانية آلاف ميل ، وعرضه ألفان وسبعائة^(١) ميل ، وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمائة ميل ، وقد يتقارب^(٢) في قلة العرض في موضع دون موضع ، ويكثر كذلك ، وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة ، وأعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة ، وليس في العمور أعظم من هذا البحر ، وله خايج متصل بأرض الحبشة يمتد إلى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ، ويسمى الخليج البربرى ، طوله خمسمائة ميل ، وعرض طرفيه مائة ميل ، وليست هذه بربرى التي ينسب إليها البرابرة الذي ببلاد المغرب من أرض إفريقية ؛ لأن هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم ، وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج ، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج ، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربرى — وهم يعرفونه ببحر بربرى ، وبلاد جفونى — أكثر مسافة مما ذكرنا ، وموجه عظيم كالجبال الشواحق ؛ فإنه موج أعشى ، يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال ، وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية ، لا ينكسر موجه ، ولا يظهر من ذلك زبدٌ ، كتكسر أمواج سائر البحار ، ويزعمون أنه موج مجنون ، وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عربٌ من الأزد ، فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرناه من الأمواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون :

(١) في ب « وتسعمائة ميل » . (٢) في ا « وقد يتفاوت » .

بربري وجفوني وَمَوْجُكَ الْمَجْنُونِ

جفوني وبربري وَمَوْجُهَاً كَمَا تَرَى

وينتهي هؤلاء، في بحر الزنج إلى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا ، وإلى بلاد سفالة والواق واق من أقاصي أرض الزنج ، والأسافل من بحرهم^(١) ، ويقطع هذا البحر السيرافيون ، وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ، من بلاد عمان (وسنجان قصبه بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين ، وهم أرباب المراكب ، مثل محمد بن الريدوم^(٢) السيرافي ، وجوهر بن أحمد ، وهو المعروف بابن سيرة^(٣) ، وفي هذا البحر تَلَفَ ومن كان معه في مركبه ، وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان ، وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي ، بمكان [وهي محلة من سيراف] وفيه غرقا في مركبهما وجميع مَنْ كان معها ، وكان ركوبى فيه أخيراً والأميرُ على عمان أحمد بن هلال بن أخت القتيل ، وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلم واليمن ، وأصابني فيها من الأهوال ما لأحصيه كثرةً ، فلم أشاهد أهول من بحر الزنج^(٤) الذي قدمنا ذكره ، وفيه السمك المعروف بأفال^(٥) طول السمكة نحو من أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع بالذراع العمريّة ، وهي ذراع ذلك البحر ، والأغلب من هذا السمك طوله مائة ذراع ، وربما يهز البحر فيظهر شيئاً من جناحه ، فيكون كالقلع العظيم ، وهو الشراع ، وربما يظهر رأسه ، وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجوّ أكثر من ممر السهم ، والمراكب تفرع منه في الليل والنهار ، وتضرب له بالبدابب والخشب لينفر من ذلك ، ويحشر بأجنحته وذنبه السمك إلى فمه ، وقد فترقاه ، وذلك السمك يهوى إلى جوفه جرياً ، فإذا بفت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة

(١) في ب « من نحوهم » . (٢) في ا « محمد بن الزبدبود » .

(٣) في ب « المعروف بابن نسوة » (٤) في ب « بحر السند » .

(٥) في ا « المعروف بالأوال » .

نحو الذراع تدعى اللشك^(١) فتلتصق بأصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص ، فتطلب قعر البحر ، وتضرب بنفسها حتى تموت ، فتطفو فوق الماء ، فتكون كالجبل العظيم ، وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمركب فلا يدنو الأقال مع عظمتها من المركب ، ويهرب إذا رأى السمكة الصغيرة ، إذ كانت آفة له وقاتلته .

وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون في ساحل النيل وجزائره ، آفة التمساح وذلك أن التمساح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دوداً ، وإذا آذاه ذلك الدود خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فاغراً فاه ، فيُقيضُ الله إليه طير الماء كالطيئوى والحصافى^(٢) وغير ذلك من أنواع الطيور وقد اعتادوا ذلك منه ، فيأكل ما ظهر في جوفه من ذلك الدود ، وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه ، فتدبُّ إلى حلقه ، وتصير في جوفه ، فيخبط بنفسه في الأرض فيطلب قعر النيل حتى تأتى الدويبة على حُشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج ، وربما يقتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته ، وهذه الدويبة تكون نحواً من ذراع على صورة ابن عرس ، ولها قوائم [شتى] ومخالب .

وفي بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ، ولولا أن النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه ، لأخبرنا عن عجائب هذه البحار ، وما فيها من الحيات^(٣) والدواب ، وغير ذلك من عجائب المياه [والجماد] .

فلنرجع الآن إلى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلقجانه ، ودخوله في البر ودخول البر فيه ، فنقول: إن خليجاً آخر يمتد من هذا البحر الحبشى فينتهى إلى مدينة القلزم من أعمال مصر ، وبين قسطنط مصر ثلاثة أيام، وعليه

(١) في ب « تدعى السل » .

(٢) في ا « والحصانى والشامرك وغير ذلك » .

(٣) في ب « من الحيات » .

عود إلى
البحر الحبشى

مدينة أَيْلَةَ والحجاز وجُدَّة واليمن ، وطوله ألف وأربعمائة ميل ، وعرض
 طرفيه مائتا ميل ، وهو أقرب المواضع من عرضه ، وعرضه في الوسط سبعمائة
 ميل ، وهو أكثر العرض فيه ، ويلاقى ما ذكرناه من الحجاز وبلاد أَيْلَةَ
 من غربيه من الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاق وبلاد العيذاب
 من أرض مصر وأرض البجة ، ثم أرض الحبشة والأحباش والسودان إلى
 أن يتصل ذلك بأقصى أرض الزنج وأسافلها ، فيتصل إلى بلاد سفالة من
 أرض الزنج ، ويتشعب من هذا البحر خايج آخر ، وهو بحر فارس ، وينتهي
 إلى بلاد الأبله والخشبات وعبادان من أرض البصرة ، وعرضه في الأصل
 خمسمائة ميل ، وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل ، وربما يصير عرض
 طرفيه مائة وخمسين ميلا ، وهذا الخليج ماثث الشكل ينتهي أحد زواياه إلى
 بلاد الأبله ، وعاليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس
 وماهر بان ومدينة حسان^(١) ، وإليها تضاف الثياب الحسانية^(١) ومدينة
 نجيرم ببلاد سيراف ، ثم بلاد ابن عمارة ، ثم ساحل كرمان ، [وهي بلاد
 هرموز ، وهرموز مقابلة لمدينة سنجان من بلاد عمان ، ثم يلي ساحل كرمان
 ويتصل به على ساحل هذا البحر بلاد مكران ، وهي أرض الخوارج الشُّرَاة ، وهذه
 كلها أرض نخل ، ثم ساحل السند ، وفيه مصب نهر مهران ، وهناك مدينة الديبل ،
 ثم يكون ماراً متصلاً بساحل الهند إلى بلاد بروض ، وإليها يضاف القنأ البروضي ،
 برأمتصلاً إلى أرض الصين ساحلاً واحداً ، ويقابل ما ذكرناه من مبدأ ساحل فارس
 ومكران والسند بلاد البحرين وجزائر قطر وشط بنى جذيمة وبلاد عمان وأرض مهرة
 إلى رأس الجمجمة إلى أرض الشُّحْر والأحقاف ، وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة
 خارك ، وهي بلاد جنابة ؛ لأن خارك مضافة إلى جنابة ، وبينها وبين البر فراسخ وفيها
 مَغَاصُ اللؤلؤ المعروف بالخاركي ، وجزيرة أوال فيها بنو مَعْن وبنو مسار وخالق

(١) في « مدينة سينز ، وإليها تضاف الثياب السينزية ، وبها تصنع ،
 ومدينة جنابة ، وإليهم تضاف الثياب الجنابية » .

كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو يوم ، بل أقل من ذلك ، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة [والعقل] والقطيف من ساحل حجر ، ثم بعد جزيرة أوال جزائر كثيرة ، منها جزيرة لافت ، وتدعى جزيرة بنى كاوان ، وقد كان افتتحها عمرو بن العاص ، وفيها مسجده إلى هذه الغاية ، وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة ، وتقرب هذه الجزيرة إلى جزيرة هنجام ، ومنها يستقى أرباب المراكب الماء ، ثم الجبال المعروفة بكسير وعور وثالث ليس فيه خير ، ثم الدردور المعروف بدردور مسندم ، ويكنيه البحرىون بأبي جهرة^(١) ، وهذه مواضع من البحر ، وجبال سود ذاهبة في الهواء لا نبات عليها ولا حيوان ، يحيط بها مياه من البحر عظم قعرها وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس إذا أشرفت عليها ، وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من الجواز عليها والدخول في وسطها ، فتخطىء وتصيب ، وهذا البحر هو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسى ، عليه ما وصفنا من البحرين وفارس والبصرة وكرمان وعمان إلى رأس الجمجمة ، وبين هذا الخليج وخليج القلزم أيلة والحجاز واليمن ، ويكون بين الخليجين من المسافة ألف وخمسة مائة ميل ، وهى داخلة من البر في البحر ، والبحر يعطيف بها من أكثر جهاتها على ما وصفنا .

فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحبشة والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد أحاط به من الأمم الكثيرة التى لا يعلم وصفهم ولا عددهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى ، ولكل قطعة منه اسم يُفردُها من غيرها ، والماء واحد متصل غير منفصل .

وفي هذا البحر مفاصات الدر واللؤلؤ ، وفيه العقيق والبادبيج^(٢) ،

(١) فى « أبى حمير » .

(٢) فى « والمادنج ، وهو نوع من البرازى » .

وهو نوع من البجادي ، وأنواع الياقوت والماس والسنباذج ، وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة ، وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان ، ونحاس بأرض عمان ، وفيه أنواع الطيب والأفاويه والعنبر [وأنواع الأدوية والعقاقير] والساج والخشب المعروف بالدارزنجي والقنأ والخيزران ، وسندكر بعد هذا الوضع تفصيل مواضع فيه أدر كناها ، وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحواله ، وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ، ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحراً - كقولنا : بحر فارس ، وبحر اليمن ، وبحر القزم ، وبحر الحبش ، وبحر الزنج ، وبحر الهند ، وبحر كلة ، وبحر الزابج ، وبحر الصين - فمختلفة ، فمنها ما ريحه من قعر البحر يظهر فتغليه^(١) ويعظم موجهه كالقدر تفور مما يلحقها من مواد حرارة النار ، ومنها ما ريحه والآفة فيه من قعره والنسيم ، ومنها ما يكون مهيبه من النسيم دون ما يظهر من قعره ، وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح فذلك تنفسات^(٢) من الأرض تظهر إلى قعره ثم تظهر في سطحه^(٣) ، والله عز وجل أعلم بكيفية ذلك ، ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهابها ، قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب ، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبان هيجانه وأحوال ركوده وثورانه ، [هذا فيما سمينا من البحر الحبشي] والروم ، والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك ، وكذلك من يركب بحر الخزر إلى بلاد جرجان وطبرستان والديلم ، وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار ، وعجائب أوصافها وأخبارها ، إن شاء الله تعالى .

(٢) في « متنفسات » .

(١) في ب « فيقله » .

(٣) في ا « ثم تظهر إلى سطحه » .

ذكر تنازع الناس في المد والجزر

وجوامع مما قيل في ذلك

المد : مضي الماء في فيحته وسيحته^(١) وسنن جريته ، والجزر : رجوع الماء على ضد سنن مضيئه وانكشاف ماضي عليه في هيجه^(٢) ، وذلك كبحر الحبش الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس اللقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك أن البحار على ثلاثة أنواع : منها ما يتأني فيه الجزر والمد ويظهر ظهوراً يئناً ، ومنها مالا يتبين فيه الجزر والمد ويكون خفيفاً مستتراً ، ومنها مالا يجزر ولا يمد .

فالبهار التي لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعل ثلاث ، وهي على ثلاثة أصناف : فأولها ما يتقف الماء فيه زماناً فيغلظ و تقوى ملوخته ، وتكيف فيه الأرياح ؛ لأنه ربما صار الماء إلى بعض المواضع ببعض الأسباب فيصير كالبحيرة وينقص في الصيف ويزيد في الشتاء ، ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الأنهار والعيون ، والصنف الثاني البحار التي تبعد عن مدار القمر ومسافاته بعداً كثيراً ، فيمتنع منه المد والجزر ، والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على أرضها التخلخل ؛ لأنه إذا كانت أرضها مخلخلة نفذ الماء منها إلى غيرها من البحار وتخالخل ، وأنشبت^(٣) الرياح الكائنة في أرضها أولا [فأولا] ، وغلبت الرياح عليها ، وأكثر ما يكون هذا في ساحل البحار^(٤) والجزائر .

وقد تنازع الناس في علة المد والجزر ؛ فمنهم من ذهب إلى أن ذلك من القمر لأنه مجانس للماء ، وهو يسخنه ، فينبسط ، وشبهوا ذلك بالنار إذا سخنت ما في القدر وأغلته ، وإن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين ، فإذا غل الماء

(١) في « المد هو مضي الماء بسجته وسنن جريته » .

(٢) في « وانكاس ما مضي عليه في نهجه » .

(٣) في « وأنفت » .

(٤) في « أرجاء البحار والجزائر » .

انبسط في القدر وارتفع وتدافع حتى يفور فتضاعف كميته في الحس ،
وينقص في الوزن ؛ لأن من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ، ومن شرط
البرودة أن تضمها ، وذلك أن قعور البحار تحمي فتتولد في أرضها عذوبة
وتستحيل وتحمي كما [يعرض ذلك] في البلايع والآبار ، فإذا حمي ذلك
الماء انبسط ، وإذا انبسط زاد ، وإذا زاد ارتفع ، فدفع كل جزء منه صاحبه ،
فطفأ على سطحه وبان عن قعره ، فاحتاج إلى أكثر من هديه^(۱) ، وإن
القمر إذا امتلأ حمي الجو حمياً شديداً فظهرت زيادة الماء ، فسمى ذلك المد
الشهري ، وإن هذا البحر تحت معدل النهار آخذاً من جهة المشرق إلى
المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع ما يساميه من الكواكب
الثابتة إذا كانت المتحيرة في القدر مثل الميل على تجاوزه^(۲) ، وإذا زالت
عنه كانت منه قريبة فاعلة فيه من أوله إلى آخره في كل يوم وليلة ، وهي
مع ذلك في الموضع المقابل الحمي ، فقابل ما يعرض فيه من الزيادة^(۳) ويكون في
النهر الذي يعرض فيه المد بينا من أطرافه وما يصب إليه من سائر المياه .

وقالت طائفة أخرى : لو كان الجزر والمد بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الذي
في القدر وبسطته فيطلب أوسع منها فيفيض حتى إذا خلا قعره من الماء طلب الماء
بعد خروجه منه عمق الأرض بطبعه فيرجع اضطراراً بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء
في المرجل والقمقم إذا فاض وتتابعت أجزاء النار عليه بالحمي ، لكان في الشمس
أشد سخونة ، ولو كانت الشمس علة مدّه لكان يمدع بدء طلوع الشمس ،
ويجزر مع غيبتها ؛ فزعم هؤلاء أن علة الجزر والمد في الأبحر تتولد من الأبخرة التي
تتولد من بطن الأرض ؛ فإنها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثف فتدفع حينئذ
ماء هذا البحر لكثافتها ؛ فلا تزال كذلك حتى تنقص موادها من أسفل ، فإذا

(۱) في ب « أكثر من هدية » .

(۲) في ا « إذا كانت المتحيرة في القدر من الليل على ما يجاوزه » .

(۳) في ا « ومع ذلك فالموضع المقابل للجهة قلما يعرض فيه من الزيادة » .

انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ إلى قعر البحر ، وكان الجزر من أجل ذلك ، والمدُّ ليلاً ونهاراً ، وشتاءً وصيفاً ، وفي غيبة القمر وفي طلوعه ، وكذلك في غيبة الشمس وطلوعها ، قالوا : وهذا يدرك بالحس ؛ لأنه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدأ أول المد ، ولا ينقضي آخر المد حتى ينتدى ، أول الجزر ؛ لأنه لا يتغير توالت تلك البخارات ، حتى إذا خرجت تولد غيرها مكانها ، وذلك أن البحر إذا غارت مياهه ورجعت إلى قعره تولدت تلك الأبخرة ؛ لكان ما يتصل منها من الأرض بمائه ، وكلما عاد تولدت ، وكلما فاض نقصت .

وذهب آخرون من أهل الديانات أن كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فهو فعل الإله ، يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته ؛ فليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ، ولا قياس .

وقال آخرون : ما هيجان ماء البحر إلا كهيجان بعض الطبائع ؛ فإنك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما تهتاج طبيعته [ثم تسكن ، وكذلك مواد تمدها حالاً بعد حال ، فإذا قويت هاجت] ، ثم تسكن قليلاً قليلاً حتى تعود .

وذهبت طائفة أخرى إلى إبطال سائر ما وصفنا من القول ، وزعموا أن الهواء المطل على البحر يستحيل دائماً ، فإذا استحال عظماء البحر وفاض عند ذلك ، وإذا فاض البحر فهو المد ، فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود إلى ما كان عليه ، وهو الجزر ، وهو دائم [لا يفتر ، متصل] مترادف . متعاقب ؛ لأن الماء يستحيل هواء ، والهواء يستحيل ماء ، قالوا : وقد يجوز أن يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر ؛ لأن القمر إذا امتلأ استحال الهواء أكثر مما كان يستحيل ، وإنما القمر علة لكثرة المد ، لا للمد نفسه ؛ لأنه قد يكون [والقمر] في محاقه ، والمد والجزر في بحر فارس يكونان على مطالع الفجر في الأغلب من الأوقات .

وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر - وهم أرباب المراكب ، من

السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون إلى عمائرهم من الأمم التي في جزأره وحوله — إلى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة : مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر ، فإذا كان ذلك طغى الماء في مشارق الأرض وبالصين بالصين وما وراء ذلك الصقع [وانحسر بالصين من مغارب البحر] ، ومرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر ، فإذا كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين ، وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح ، وإن الشمس إذا كانت في الجهة الشمالية تحرك الهواء إلى الجهة الجنوبية لعل ذكروها ، فيسيل ماء البحر بحركة الهواء إلى الجهة الجنوبية ، فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية ، وتقل المياه في جهة البحار الشمالية ، وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب إلى جهة الشمال سال معهما البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية ، فقلت المياه في الجهة الجنوبية منه ، وينقل ماء البحر في هذين الميادين — أعني في جهتي الشمال والجنوب — فيسمى جزراً ومداً ، وذلك أن مد الجنوب جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب ، فإن وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميادين تزايد الفعلان وقوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة التي [ليس] فيها الشمس .

قال المسعودي : فهذا رأى يعقوب بن إسحاق الكندي وأحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ^(١) : أن البحر يتحرك بالرياح ، ورأيت مثل ذلك ببلاد كنباية من أرض الهند ، وهي المدينة التي تضاف إليها النعال الكنبائية الصرارة وفيها تعمل وفيها يليها مثل مدينة سندارة وسريارة ^(٢) ، وكان دخولي إليها في سنة

(١) في ١ « حكيناه عنهما » .

(٢) في ١ « سندان وصوفارة » .

ثلاث وثلثمائة ، والملك يومئذ بانيا ، وكان برهمانيا من قبل الباهري صاحب المانكير، وكان لبانيا هذا عناية بالمناظرة مع مَنْ يرد إلى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل المال ، وهذه المدينة على خور من أخوار البحر ، وهو الخليج ، أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات ، عاياه المدن والضياع والعمائر [والجنان] والنخل والنارجيل^(١) والطواويس والبيغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند ، بين تلك الجنان والمياه ، وبين مدينة كنباية وبين البحر الذي يأخذ منه هذا الخليج يومان ، أو أقل من ذلك ؛ فيجزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل [في قعر الخليج ويبقى في وسطه القليل من الماء فرأيت الكلب على هذا الرمل] الذي ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء ، وقد أقبل اند من نهاية الخور كانخيل في الخدبة ، فربما أحس الكلب بذلك فأقبل يُحْفِرُ ما استطاع خوفاً من الماء ، فيطلب البر الذي لا يصل إليه الماء ، فيأجقه الماء بسرعه فيغرقه ، وكذلك المد يرد بين البصرة والأهواز في الوضع المعروف بالباسيان وبلاد القندر^(٢) ، ويسمى هنالك الذئب^(٣) له ضجيج ودويٌّ وغايان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا الوضع يعرفه من يسلك هنالك إلى بلاد مورق من أرض فارس^(٤) ، والله أعلم .

(١) في ا « ونخل النارجيل » .

(٢) في ب « وبلاد الهند » .

(٣) في ب « أزيب » .

(٤) في ا « بلاد دورق وأرض فارس » .

ذكر بحر الروم

ووصف ما قيل في طوله [وعرضه] وابتدائه وانهائه

أما بحر الروم وطرسوس وأذنة^(١) والمصيصة وأنطاكية واللاذقية وطارابلس وصيداء وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والإسكندرية وساحل المغرب ، فذكر جماعة من أصحاب الزيجات في كتبهم ، منهم محمد بن جابر النسائي^(٢) وغيره ، أن طوله خمسة آلاف ميل ، وعرضه مختلف : فمده ثمانمائة ميل ، ومده سبعمائة ميل ، ومده ستمائة ميل ، وأقل من ذلك ، على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ، ومبدأ هذا البحر من خليج يخرج [جارياً] من بحر أقيانوس ، وأضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة [وسبتة] من بلاد الغرب وبين ساحل الأندلس ، وهذا الموضع المعروف بسبسطاء^(٣) ، وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال ، وهذا الموضع هو المَعْبَرُ لمن أراد العبور من الغرب إلى الأندلس ومن الأندلس إلى الغرب [ويعرف بالزقاق ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار مصر القنطرة التي كانت بين هذين الساحلين ، وما ركبها من ماء هذا البحر ، والطريق المتصل بين جزيرة قبرص وأرض العريش وسلوك القوافل إياها] وعلى الحد بين البحرين - أعنى بحر الروم وبحر أوقيانوس - المنارة النحاس ، والحجارة التي بناها هرقل الجبار ، على أعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها أن لا طريق ورأى لجميع الداخلين إلى ذلك البحر بحر الروم ؛ إذ كان بحر لا تجرى فيه جارية ولا عمارة فيه ، ولا حيوان ناطق يسكنه ، ولا يحاط بمقداره ، ولا تُدرى^(٤) غايته ، ولا يعلم منتهاه ، وهو بحر الظلمات والأخضر والمحيط [وقد قيل : إن المنارة على غير هذا الزقاق ، بل في جزيرة من جزائر بحر أوقيانوس المحيط وسواحلها]

(١) في ب « وأدرنة » . (٢) في ا « البتاني » .

(٣) في ب « بسبسطاء » . (٤) في ا « ولا تدرك » .

وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار ، وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » في أخبار من غرَّرَ وخاطر بنفسه في ركوبه ، ومن نجا منهم ، ومن تَلَفَ ، وما شاهدوا منه ، وما رأوا ، [وأن منهم رجلا من أهل الأندلس يقال له خَشْخاش ، وكان من فتیان قرطبة وأحدائها فجمع جماعة من أحدائها ، وركب بهم مراكب استعدادها في هذا البحر المحيط ، فغاب فيه مدة ثم اثنى بفنائم واسعة ، وخبره مشهور عند أهل الأندلس] وبين هذه المنارة المنصوبة ، وبين موضع الأحجار^(١) مسافة [طويلة] في طول مصب هذا الخليج وجريانه ، وذلك أن ماء يجرى [من بحر أوقيانوس إلى البحر الرومي يحس بجريانه ويعلم بحركته ، ويتشعب من] بحر الروم والشام ومصر ، خليج من نحو خمسمائة ميل يتصل بمدينة رومية تسمى بالرومية ادرس [وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سَبْتَة ، وهي وطنجة من ساحل واحد ، ويقابل سَبْتَة هذه من ناحية الأندلس الجبل المعروف بجبل طارق مؤلى موسى بن نُصَيْر ، وَيَقْبُرُ الناس من سَبْتَة إلى ساحل الأندلس من غدوة إلى الظهر ، وفي هذا الخليج مَوْجٌ عظيم ، والماء من هناك يخرج من بحر أوقيانوس ، ويصبُّ إلى البحر الرومي ، وفي هذا الخليج مواضع تعلق أمواجها ، ويعلو الماء من غير ريح ، وهذا الخليج يسميه أهل المغرب وأهل الأندلس الزُّقَاق ؛ إذ كان على هيئة ذلك]^(٢) ، وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرص بين ساحل الشام والروم ، وجزيرة رودس في مقابلة الإسكندرية ، وجزيرة إقريطش ، وجزيرة صقلية ، وسندكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا لجبل البركان الذي تظاهر منه النار ، وفيها أجسام وجثث وعظام .

(١) في « البحار » .

(٢) هذه الزيادة عن ب ، ولا توجد في ا ، وما عداها من الزيادات هنا عن ا

وليست في ب .

وقد ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي ، وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي في طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا .
وسنذكر بعد هذا الموضوع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التأليف ، وترتيب من التصنيف ، إن شاء الله تعالى .

ذكر بحر نيطش

وبحر مانطش^(١) ، وخليج القسطنطينية

نيطش

فأما بحر نيطش فإنه يمد من بلاد لازقة إلى القسطنطينية [وطوله ألف ومائة ميل ، وعرضه في الأصل ثلاثمائة ميل ، وفيه يصب [النهر العظيم المعروف بأطنابس ، وقد قدمنا ذكره ، ومبدأ هذا البحر من الشمال ، وعليه كثير من ولد يافث [بن نوح] ، وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ، ويكون مقدار جريانه على وجه الأرض نحو ثلاثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث ، ويسير بحر مانطش - فيما زعم قوم من أهل العناية بهذا الشأن - حتى يصب في بحر نيطش ، وهذا البحر عظيم فيه أنواع من الأحجار والحشائش والعقاير ، وقد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ، ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ، ويجعل طوله ثلاثمائة ميل ، وعرضه مائة ميل ، ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم ، وطوله ثلاثمائة ميل ، وعرضه نحو من خمسين ميلا ، وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله إلى آخره ، والقسطنطينية من الجانب الغربي من هذا الخليج ، متصلة ببر رومية والأندلس وغيرها ؛ فيجب - والله أعلم - على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم ، أن بحر البلغروالروس ، [ويجني ويجناك وبفرد ، وهم ثلاثة أنواع من الترك] هو بحر نيطش ، وسيأتي ذكر هؤلاء الأمم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم ، واتصال عمائرهم ، ومن يركب هذا البحر [منهم] ومن لا يركبه ، والله أعلم .

مانطش

الخليج

(١) في ١ « بحر نيطش ومايطس » وهكذا في كل ما يلي .

ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان

وجمل من الأخبار على ترتيب البحار

فأما بحر الأعاجم الذي عليه دُورُها ومساكنها فهو معمور بالناس من بحر الأعاجم جميع جهاته ، وهو المعروف ببحر الباب والأبواب والخزر والجيل [والديلم] وجرجان وطبرستان ، وعليه أنواع من الترك ، وينتهي في إحدى جهاته نحو بلاد خوارزم ، وطوله ثمانمائة ميل ، وعرضه ستمائة ميل ، وهو مدور الشكل إلى الطول ، وسنذكر فيما ردد من هذا الكتاب جملاً من ذكر الأمم المحيطة بهذه البحار المعمورة ، وهذا البحر الذي هو بحر الأعاجم كثير التناين ، وكذلك بحر الروم ؛ فالتناين فيهما كثيرة ، وكثيراً ما تكون مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجلب الأقرع من أعمال أنطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ، ويسمى عجز البحر ، وغايته إلى ساحل أنطاكية ورشيد^(١) والإسكندرية وحصن المثقب [وذلك في سفح جبل اللكام] وساحل المصيصة ، وفيه مصب نهر جيحان ، وساحل أذنة ، وفيه مصب سيحان ، وساحل طرسوس ، وفيه مصب نهر بردان ، وهو نهر طرسوس ، ثم البلد الخالي من العمارات الخراب بين الروم والمسلمين مما يلي مدينة قلمية^(٢) إلى قبرص وقريطس وقراسيا ، ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذي يصب في هذا البحر ، ثم حصون الروم إلى خليج القسطنطينية .

وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم وما يصب إلى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرها من الأنهار .

والعمارة على هذا البحر من المضيق الذي قدمنا ذكره ، وهو الخليج الذي

(١) في « وروسيس » .

(٢) في ب ه ، ككتة إلى قريش وقراسيا ه .

عليه طنجة ، متصلةً بساحل المغرب وبلاد إفريقية والسوس [وطرابلس المغرب والقيروان وساحل برقة والرفادة وبلاد الإسكندرية] ورشيد وتيس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم ماراً متصلاً إلى بلاد رومية إلى أن يتصل بساحل الأندلس ، إلى أن ينتهي إلى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ما ذكرنا ؛ لا تنقطع من هذا البر كله العمار التي وصفناها من الإسلام والروم إلا الأنهار الجارية إلى البحر وخليج القسطنطينية ، وعرضه نحو من ميل ، وخلجانا آخر داخله في البر لا منفذ لها ؛ فجميع ما ذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومي متصلو الديار غير منفصلين بما يقطعهم أو يمنعهم إلا ما ذكرنا من الأنهار وخليج القسطنطينية ، ومثال هذا البحر الرومي ، ومثال ما ذكرنا من العمار عليه إلى أن ينتهي إلى مبدأ الخليج الضيق الآخذ من أوقيانوس الذي عليه المنارة النحاس ، وبلى الأعلى من طنجة ، وساحل الأندلس : مثل الكرنيب ، في قبضة الخليج^(۱) ، والكرنيب على ضفة البحر ، إلا أنه ليس بمدور الشكل ؛ لما ذكرنا من طوله .

وليس تعرف التنابيز في البحر الحبشي ، ولا في شيء من خلجانه من حيث وصفنا في نهاياته ، وأكثرها يظهر مما يلي بحر أوقيانوس .

وقد اختلف الناس في التنين : فمنهم من رأى أنه ریح سوداء تكون في قعر البحر فتظاهر إلى النسيم ، وهو الجو ، فتخلق السحب كالزوبعة^(۲) ، فإذا صارت من الأرض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس أنها حيات سود [قد ظهرت من البحر لسواد السحاب ، وذهاب الضوء وترادف الرياح] .

ومنهم من رأى أنها دواب تتكون في قعر البحر ، فتعظم وتؤدي

(۱) هكذا في ۱ ، وفي ب « ويلي الأعلام طنجة ، فساحل الأندلس ، شمالي

الكرنيب ، فمصيصة الخليج — إلخ » .

(۲) في ۱ « فتلقق بالسحاب كالزوبعة » .

دواب البحر ، فيبعث الله عايبها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها ،
وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص ، لا تمر بمدينة إلا أتت
على ما لا يقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل^(١) ، وربما تتنفس فتحرق
الشجرة الكبيرة فيلقيه السحاب في بلد يأجوج ومأجوج ، ويمطر السحاب
عليهم ، فيقتل التنين ، فمذه يتغذى يأجوج ومأجوج ، وهذا القول يُعزى
إلى ابن عباس .

وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا ، وكذلك حكى قوم من أهل
السير وأصحاب القصص أموراً فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها ، منها خبر
عمران [بن جابر] الذي صعد في النيل ، فأدرك غايته ، وعبر البحر على ظهر
دابة تعلق بشعرها وهي دابة ينجر منها على الأرض شبر من قوائمها تُغادى
قرن الشمس من مبدأ طلوعها إلى حال غروبها [فاعرة فاها نحوها ابتلع
— عند نفسها — الشمس] فَعَبَرَ — على ما وصفنا من تعلقه بشعرها —
البحر ، ودار بدوراتها طلباً لعين الشمس ، حتى صار إلى ذلك الجانب ،
فرأى النيل منحدراً من قصور الذهب من الجنة ، وأعطاه الملك العنقود
العنب ، وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ، ووصف له كيف يفعل في
وُصوله إلى مبدأ النيل ، فوجده ميتاً ، وخبر إبليس معه والعنقود العنب ،
وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ، ومنها ما روى أن قبة
من الذهب وأنواع الجواهر في وسط البحر الأخضر على أربعة أركان من الياقوت
الأحمر ينحدر من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحته فقسم إلى جهات
أربع في ذلك البحر الأخضر غير مخالط له ، ولا تماس به ، ثم ينتهي إلى جهات
من البر من سواحل ذلك البحر ، أحدها النيل ، والثاني سيحان ، والثالث
جيجان ، والرابع الفرات ، ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى
بحر الصين فيفور منه البحر ، فيكون منه المد ، ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع
(١) في « لا يمر ذنبه بشيء إلا أتى عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل » .

الماء إلى مركزه ، ويطلب قعره ، فيكون الجزر ، ومثلوا ذلك بإناء فيه ماء في مقدار النصف منه ، فيضع الإنسان يده أو رجليه فيلاً الماء الإناء ، فإذا رجع الماء إلى حده ، وانتهى إلى غايته ، ومنهم من رأى أن الملك يضع إبهامه من كفه اليمنى في البحر فيكون منه المد ، ثم يرفعها فيكون الجزر ؛ وما ذكرنا فغير ممتنع كونه ، ولا واجب ، وهو داخل في حيز الممكن والجائز ؛ لأن طريقه في النقل طريق الأفراد والآحاد ، ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالأخبار الموجبة للعلم ، والعلل القاطعة للعدر في النقل ، فإن قارنها دلائل توجب صحتها ووجب التسليم لها ، والانتقاد إلى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها ؛ لقوله عز وجل : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وإن لم يصح ما ذكرنا فقد وصفنا آثماً ما قال الناس في ذلك ، [وإنما ذكرنا هذا] ليعلم من قرأ هذا الكتاب أننا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ، ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس في سائر ما ذكرنا ، وبالله التوفيق .

جملة البحار

فهذه جملة البحار ، وعند أكثر الناس أنها أربعة في المعمور من الأرض ، ومنهم من يعبدها خمسة ، ومنهم من يجعلها ستة ، ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة ، وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشي ، ثم الرومي ، ثم نيطش ، ثم ما نطش^(١) ، ثم الخزري ، ثم أوقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته ، وهو الأخضر المظلم المحيط ، وبحر نيطش متصل ببحر ما نطش ، ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم ويتصل به ، على حسب ما ذكرنا ، والرومي بدؤه من بحر أوقيانوس الأخضر ؛ فيجب على هذا القياس أن يكون ما وصفنا بحراً واحداً لاتصال مياهها ، وليست هذه المياه ولا شيء منها — والله أعلم — متصلة بشيء من بحر الحبش ، فبحر

(١) في ما نيطش ثم مايطس . وكذلك فيما يذكر بعده .

نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضاً بحراً واحداً ، وإن تضايق البحر في بعض المواضع بينهما ، أو صار بين الماءين كالخليج^(١) ، وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش ، وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ، يمنع من أن تجمعهما في اسم ما نطش أو نيطش ، فإذا عبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقائنا ما نطش أو نيطش ، فإنما تريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق .

قال المسعودي : وقد غلط قوم زعموا أن البحر الخزري يتصل ببحر مايطس ، ولم أرفي من دخل بلاد الخزر [من التجار ومن ركب منهم في بحر مايطس ونيطس إلى بلاد الروس والبلغر أحداً يزعم أن بحر الخزر يتصل] ببحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أو من خلجانها إلا من نهر الخزر ، وسنذكر ذلك عند ذكرنا لجبل التبق^(٢) ومدينة الباب والأبواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس في المراكب إلى بحر الخزر ، وذلك بعد الثلاثمائة ، ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخريذ كرون في كتبهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ، ولست أدري كيف ذلك ، ومن أين قالوه ؟ أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس ؟ [أو توهموا أن الروس ومن جاورهم على هذا البحر هو الخزر] وقد ركبت فيه من أبسكون ، وهو ساحل جرجان ، إلى بلاد طبرستان ، وغيرها ، ولم أترك ممن شاهدت من التجار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب إلا سأله عن ذلك ، وكلٌّ يخبرني أن لا طريق له إليها إلا من بحر الخزر حيث دخلت إليهم مراكب الروس ، ونفر من أهل أذر بيجان والباب والأبواب^(٣) وبردعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان إليها لأنهم لم يعهدوا عدواً

(١) في « وإن ضايقهما البر بعض المواضع ، وصار ذلك بين الماءين

كالخليج » .

(٢) في ب و الفتح » .

(٣) في « أذربيجان والران واليلقان ومن بلاد بردعة » .

بظراً عليهم ، ولا عرف ذلك فيما ساف ، وما ذكرنا فمشهور فيما سمينا من
 الأمصار والأمم والبلدان ، سالك مسلك الاستفاضة فيهم .
 ورأيت في بعض الكتب المضافة إلى الكندي وتلميذه — وهو أحمد
 ابن الطيب السرخسي ، صاحب المعتضد بالله — أن في طرف العمارة من
 الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطب الشمال ، وأن بقربها مدينة ليس بعدها
 عمارة ، يقال لها تولية ، ولقد رأيت لبني المنجم في بعض رسائهم ذكر هذه
 البحيرة ، وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن
 الكندي أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس
 وأنطاكية واللاذقية والثقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلية إلى منار
 هرقل ، وأن أعرض موضع فيه أربعائة ميل ، هذا قول الكندي وابن الطيب
 وقد أتينا على قول الفريقين جميعاً وما بينهما من الخلاف في ذلك من أصحاب
 الزيجات وما وجدناه في كتبهم وسمعناه من أتباعهم ، ولم تذكر ما ذكره
 من البراهين المؤيدة لما وصفوا ؛ لاشتراطنا في هذا الكتاب على أنفسنا
 الاختصار والإيجاز .

مبادئ
 تكوين البحار

وأما ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكام المتقدمين في
 مبادئ كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه في كتابنا «أخبار الزمان» في
 الفن الثاني من جملة الثلاثين فناً ، وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا
 كل قول من ذلك إلى قائله ، ولم نُخل هذا الكتاب من إيراد لمع من قولهم .
 وذهبت طائفة منهم إلى أن البحر بقية من الرطوبة الأولى التي جففت
 أكثرها جوهر النار ، وما بقي منها استحال لاحتراقه .
 ومنهم من قال : إن الرطوبة الأولى المجتمع لما احترقت بدوران
 الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقي إلى ملوحة ومرارة .
 ومنهم من رأى أن البحار عرقٌ تعرقه الأرض لما بناها من احتراق
 الشمس لاتصال دورها .

ومنهم من رأى أن البحر هو ما بقى مما صَفَّتهُ الأرض من الرطوبة
للأية لفظ جسمها ، كما يعرض في الماء العذب إذا مزج بالرماد ، فإنه إذا صفا
من الرماد وجد مالحة بعد أن كان عذبا .

وذهب آخرون أن الماء عذبه ومالحه كانا ممتزجين ، فالشمس ترفع
لطيفه وعذبه لخفته .

وبعضهم قال : ترفعه الشمس لتغذى به ، وقال بعضهم : بل يعود
بالاستحالة ماء إذا صار بارتفاعه إلى الموضع الذي يحصره البرد فيه ، وبكيفية .
ومنهم من ذكر أن الماء الذي هو أسطقس : ما كان منه عن الهواء .
وما يعرض منه من البرد يكون حلواً ، وما كان منه في الأرض لما يناله من
الاحتراق والحرارة يكون مرأاً .

ومن أهل البحث من قال : إن جميع الماء الذي يفيض إلى البحر من
جميع ظهور الأرض وبطونها إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة فهو مضاض^(١) من
مضاض ، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة ، والذي في الماء من أجزاء
النار التي تخرج إليه من بطون الأرض ومن أجزاء النيران المختلطة برفعان لطائف الماء
بارتفاعهما وتبخرهما ، فإذا رفاعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبهما
وعادتهما ، ثم يعود ذلك الماء مالحة ؛ لأن الأرض إذا كانت تعطيه الملوحة ، [والنيران
تخرج منها العذوبة واللطافة ، كان واجباً أن يعود إلى الملوحة] وكذلك يكون
ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد ؛ لأن الحر يرفع اللطيف فيصير طلاً وماء ،
ثم تعود تلك الأندية سيولا ، وتطلب الحدور والقرار^(٢) ، وتجرى في أعماق
الأرض حتى يصير إلى ذلك الهور ، فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطل
منه شيء ، والأعيان قائمة كمنجنون غرّف من نهر وصب إلى حفرة تفيض إلى ذلك
النهر ، وقد شبه ذلك قوم بأعضاء الحيوان إذا اغتذت وعملت الحرارة في غذائه

(١) المضاض - بزنة غراب - الماء لا يطاق ملوحة ، وفي « فالماء عساس مصاص »

(٢) في « فطلب الجدول والنيران » .

فاجتذبت منه ماء عذب إلى الأعضاء المغتذية به ، وخلفت ماثقل منه ، وهو المالح والمر ، فمن ذلك البول والعرق ، وهذه فضول الأغذية^(١) فيها ، ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة إلى المرارة والملوحة ، وإن الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصار الفضل مرأً زائداً على ما يوجد من العرق والبول ؛ لوجودنا كل محترق مرأً .

هذا قول جماعة ممن تقدم ، وأما ما يوجد بالعيان وإيقاع المحنة عند المباشرة فإن كل الرطوبات ذوات الطعوم إذا صعدت بالقرع والأنبيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخلل والنبيد والورد والزعفران والقرنفل ، إلا المالح فإنها تختلف طعومها وروائحها ، ولا سيما إن صعدت مرتين وأسخت مرة بعد أخرى . وقد ذكر صاحب المنطق في هذا المعنى كلاماً كثيراً : من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب ، وجعل الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صافٍ رقيق ، وأنه إذا أخذ شيء من الشمع فعمل منه إناء ثم سد رأسه وصير في ماء مالح وجد ذلك الماء الذي وصل إلى داخل الإناء عذباً في الطعم خفيفاً في الوزن ، ووجد الماء المحيط به على خلاف ذلك ، وكل ماء يجري فهو نهر ، وحيث ينبع فهو عين ، وحيث يكون معظم الماء فهو بحر . قال السعدي : وقد تكلم الناس في المياه وأسبابها ، وأكثروا ، وقد ذكرنا في كتابنا «أخبار الزمان» في الفن الثاني من جملة الثلاثين فتأماً وردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها ، والمنفعة في ملوحة مائها ، واتصال بعضها ببعض وانفصالها ، وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ، ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ، ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزمج واليمن والقزم والحبشة من السرافيين والعانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الأمور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم

(١) في «لا عذب فيها» .

من حكينا عنهم المقادير والمساحة ، وإن ذلك لا غاية له ، وفي مواضع منه شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة - وهم النواتي^(١) وأصحاب الرحل والرؤساء ومن بلى تدير المراكب والحرب فيهم ، مثل لاوي المكنى بأبي الحرب^(٢) غلام زراقة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق ، وذلك بعد الثمائة - يُعَمَّمون طول البحر الرومي وعرضه ، وكثرة حاجانه وتشعبه ، وعلى هذا وجدت عبدالله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص [من أرض الشام] ، ولم يبق في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أبصر منه في البحر الرومي ، ولا أسن منه ، وليس فيمن يركبه من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة إلا وهو منقاد إلى قوله ، ويُقر له بالبصر والحذق ، مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها ، وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتها ، وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد بعد هذا الموضوع جملاً من أخبارها .

وقد ذهب قوم في علامات المياه ومستقرها من الأرض مذهباً ، وهو أن يرى علامات لمعرفة في المواضع التي يكون فيها الماء منابت القصب والخلفاء واللين من الحشيش ؛ وجود المياه
فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر ، وأن ما عدا ذلك فعلى البعد .

ووجدت في كتاب الفلاحة أن من أراد أن يعلم قرب الماء وبُعده فليحفر في الأرض قدر ثلاثة أذرع أو أربعة ، ثم يأخذ قدرًا من نحاس أو إجانة خزف ، فيدهنها بالشحم من داخلها مستويا ، ولتكن القدر واسعة الفم ، فإذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منقوشة مغسولة ، وخذ حجرًا قدر بيضة ، فاف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ، ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب وألصقها في أسفل ذلك

(١) في « وهم النواتية ، وأصحاب الأرحل » .

(٢) في « بأبي الحارث غلام زراقة » .

القِدْرُ الذي قد دهنته بدهن أو شحم ثم ألقها في أسفل الحفيرة؛ فإن الصوف يصير معلقاً والموم يمسكه^(١)، ويصير إلى مكان الحجر معلقاً، ثم احثُ على الإناء التراب قدر ذراعين أو ذراع، ودعه ليلتك كلها، فإذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه، وارفع الإناء، فإن رأيت الماء ملزقاً بالإناء من داخل قطراً كثيراً بعضه قريب من بعض والصوفة ممتائة فإن في ذلك المكان ماء، وهو قريب، وإن كان القطر متفرقاً لا بالجمع ولا بالتقارب والصوفة ماؤها وسط فإن الماء ليس بالبعيد ولا بالقرب، وإن كان القطر ملتزقاً متباعداً بعضه عن بعض والماء في الصوفة قليل، فإن الماء بعيد، وإن لم تر على الإناء قطراً قليلاً ولا كثيراً ولا على الصوفة ماء فإنه ليس في ذلك الموضع ماء، فلا تتعنَّ في حفره.

ووجدت في بعض النسخ من كتاب الفلاحة في هذا المعنى أن مَنْ أراد علم ذلك فليُنظر إلى قري النمل؛ فإن وجد النمل غلاظاً سوداً ثقيلة المشى [فليُنظر] فعلى قدر ثقل مشين الماء قريب منهم، وإن وجد النمل صريع المشى لا يكاد يُلحق فالماء على أربعين ذراعاً، والماء الأول يكون عذباً طيباً والثاني [يكون] ثقيلًا مالحاً.

فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء، وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا «أخبار الزمان» وإنما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة إلى ذكره بالإشارة إليه دون بسطه وإيضاحه.

وإذ قد ذكرنا جملاً من أخبار البحار وغيرها، فننقل في أخبار ملوك الصين وغيرها وأهلها، وغير ذلك مما لحق به، إن شاء الله تعالى.

(١) في ١ « يملكه ويصير لكان الحجر معلقاً ».

ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور^(١)

وأخبار الصين

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

القول في
أنساب الصين

قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدتهم : فذكر كثير منهم أن ولد عابور^(١) بن سوبيل^(٢) بن ياقث بن نوح باقسم فالع بن عابر بن إرنخشد بن سام ابن نوح الأرض بين ولد نوح ساروا يسرة في الشرق ، فسار قوم منهم من ولد أروع على سمت الشمال ، وانتشروا في الأرض فصاروا عدة ممالك : منهم الديلم ، والجيل ، والطيلسان ، والترك ، وفرغان^(٣) فأهل جبل القبق^(٤) من أنواع الكرك ثم اللان والخزرو الأنجاد^(٥) والسريرو كشك ، وسأرتلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع ، إلى بلاد طوا بريدة^(٦) إلى بحر ما نطش ونيطش وبحر الخزر إلى البرغر ومن اتصل بهم من الأمم ، وعبر ولد عابور^(١) نهر بلخ ، وهم بلاد الصين الأكثر منهم ، وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار ، فمنهم الجليل ، وهم سكان^(٧) جيلان ، والأشروسنة والصفد ، وهم بين بخارى وسمرقند ، ثم الفراغنة والشاش واستيجاب وأهل بلاد الفاراب ؛ فبنوا المدن والضياع ، وانفرد منهم أناس غير هؤلاء ، فسكنوا البوادي : فتمت الترك والخزرج والطفرغر ، ومنهم أصحاب مدينة كوشان ، وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين ، وليس في أجناس

- (١) في « عامور » .
(٢) في ب « بن بتويل » .
(٣) في ا « والبر وموقان »
(٤) في ب « جبل القبق » .
(٥) في ا « الأبخاز » .
(٦) في ا « إلى طراز زيمة إلى بحر ما يطس ونيطس » .
(٧) في ا « منهم الختل ، ومنهم سكان ختلان وروسان » .

الترك وأنواعهم في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أشد منهم بأساً ، ولأكثر منهم شوكة ، ولا أضبط ملكاً ، وملكهم أيرخان ، ومذهبهم مذهب المانية ، وليس في الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ، ومن الترك الكيماكية والبرسخانية والبديية والجرية ، وأشدهم بأساً الغزية ، وأحسنهم صورة ، وأطولهم قامة ، وأصبحهم وجوهاً : الخزجية ، وهم أهل بلاد فرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع ، وفيهم كان الملكُ ، ومنهم خاقان الخواقين ، وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك ، وتنقاد إليه ملوكها ، ومن هؤلاء الخواقين كان فراسياب التركي الغالب على بلاد فارس ، ومنهم سانة ، ولخاقان الترك في وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمات^(١) ، وهي في مفاوز سمرقند ، وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة ، والسبب في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الأوسط ، ولحق فريق من ولد عابور^(٢) بتخوم الهند ، فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ، ولحقوا بألوان الهند ، ولهم حَصْرٌ وَبَوَادٍ ، وسكن فريق منهم ببلاد التبت ، وملكوا عليهم ملكاً وكان ينقاد إلى ملك خاقان ، فلما زال ملك خاقان على ما قدمنا ، وسمي أهل التبت ملكهم بخاقان تشبهاً بمن تقدم من ملوك الترك وهو خاقان الخواقين .

وسار الجمهور من ولد عابور^(٣) على ساحل البحر حتى انتهوا إلى أقاصيه من بلاد الصين ، ففترقوا في تلك البقاع والبلاد ، وقطنوا الديار ، وگوروا الكور ، ومصروا [الأمصار ومدنوا] المدن ، واتخذوا لملكهم مدينة عظيمة ، وسموها انموا ، وبينها وبين ساحل البحر الحبشى - وهو بحر الصين - مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة . وكان أول ملك تملك عايهم في هذه الديار وهي انموا « نسطرطاس »^(٤) بن

ملك نسطرطاس باعور بن مدنج بن عابور بن يافث بن نوح ، فكان ملكه ثلثمائة سنة ونيفاً ،

(١) في ب « المدينة المعروفة بعمان » . (٢) في ا « عامور » .

(٣) في ب « اسطر ماس بن قاعور بن بريح » .

وفرق أهله في تلك الديار ، وشقق الأنهار ، وقتل السباع ، وغرس الأشجار وأطعم الثمار ، وهلك .

فلك ولده يقال له « عوون » فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ملك عوون الأحمر جزءاً عاياً ، وتعظيماً له ، وأجاسه على سرير من الذهب [الأحمر] مَرَصَّعَ بالجواهر وجعل مجلسه دونه ، وأقبل يسجد لأبيه وهو في جوف تلك الصورة ، هو وأهل مملكته ، في طرفي النهار إجلالاً له ، وعاش [بعد أبيه] مائتي سنة وخمسين سنة ، وهلك .

فلك ولده يقال له « عيئدون^(١) » فجعل جسد أبيه مخزوناً في تمثال من الذهب [الأحمر] ، وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب [ورصَّعَهُ بأنواع الجواهر] وكان يسجد له ، ويبدأ بجده الأول ثم بأبيه ، وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية ، وسوَّاهم في جميع أمورهم ، وشملهم بالعدل ، فكثرت النسل وأخصبت الأرض^(٢) ، فكان ملكه إلى أن هلك نحواً من مائتي سنة .

ثم ملك بعده ولده « عيئنان^(٣) » فجعل أباه في تمثال من الذهب [الأحمر] ملك عيئنان وحرى [فيه] على ما سلف من أفعالهم من السجود والتعظيم ، وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه ، فعاش أربعاً مائة سنة ، واتخذ في أيامه كثيراً من المهن مما لطف في الدور^(٤) من الصنائع .

وملك بعده ولده « حراتان^(٥) » فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال ، وحمل ملك حراتان لطائف بلاد الصين ، وصيرها نحو بلاد السند والهند إلى إقليم بابل وإلى سائر الممالك مما قرب منها وبعُد في البحر ، وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة إلى الملوك وأمرهم أن يجابوا إليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المأكول والمشرب

(١) في ب « عبور » .

(٢) في ا « وأخصبت بلاده » .

(٣) في ب « عيئان » .

(٤) في ب « حرامان » .

(٥) في ا « مما لطف في الرقة » .

والملابس وسائر الفرش^(١)، وأن يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة^(٢) وشريعتها ونهجها الذي هي عليه، وأن يرغبوا الناس فيما في بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات؛ ففرقت المراكب في البلاد، ووردوا الممالك الأمر وابه، فلم يردوا على أهل مملكة إلا وأعجبوا بهم، واستطرفوا ما أوردوه من أرضهم، فبنت الملوك المظيفة بالبحار المراكب، وجهزت نحوهم السفن، وحلوا إليهم ما ليس عندهم، وكاتبوا ما كرمهم، وكافأوه على ما كان من هداياه إليهم، فعمرت بلاد الصين، واستقامت له الأمور، فكان عمره نحواً من مائتي سنة، فهلك، فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهراً.

ملك توتال

ثم فزعوا إلى الأكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكاً^(٣)، فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب، وسلك طريقاً من كان قباه في فعالهم مقتدياً بمن مضى من آبائه، وكان اسم هذا الملك «توتال»^(٤) فاستقامت له الأمور، وأحدث من السنن الحمودة ما لم يحدثه أحد [من سلف] من ملوكهم، وزعم أن الملك لا يثبت إلا بالعدل فإن العدل ميزان الرب^(٥)، وإن من العدل الزيادة في الإحسان مع الزيادة في العمل وحصن^(٦)، وشرف، وتوج، ورتب الناس في رتبهم [ووقفهم] على طرائقهم، وخرج يرتاد موضعاً لينبئ فيه هيكلًا، فوافي موضعاً عامراً بالنبات حسن الاعتماد بالزهر^(٧) تخترقه المياه فخط الهيكل هناك، وجلبت له أنواع الأحجار المختلفة الألوان؛ فشيده الهيكل، وجعل على علوه قبة، وجعل لها مخارج للهواء متساوية، ونصب فيها بيوتاً لمن أراد التفرد بالعبادة؛ فلما فرغ منها نصب في أعلاها تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه، وأمر بتعظيمها، وجمع الخواص من أهل مملكته

(١) في « وسائر الفروس » . (٢) في « وملة بكل أمة » .

(٣) في « فصبوه عليهم ملكاً » . (٤) في « ثوما مان »

(٥) في « لأن العدل ميزان الباري » .

(٦) في « وخص » . (٧) في « الاعتماد بالنهر » .

وأخبرهم أن من رأيه ضم الناس إلى ديانة يرجعون إليها لجمع الشمل وتساوى النظام ، فإنه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلال ، ودخول الفساد والزلل ، فرتب لهم سياسة شرعية ، وفرائض عقلية ، وجعلها لهم رباطاً ، ورتب لهم قصاصاً في الأتفس والأعضاء ، ومستحلات من كح يستباح بها النسوان ، وتصح بها الأنساب ، وجعلها مراتب ؛ فنما لوازم موجبة يخرجون من تركها ، ومنها نوافل يتنفلون بها ، وأوجب عليهم صلوات لخالفهم تقريباً لمعبودهم : منها إيماء لا ركوع فيها ولا سجود في أوقات من الليل والنهار معلومة ، ومنها ركوع وسجود في أوقات من السنة والشهور محدودة ، ورسم لهم أعياداً ، وجعل على الزنائة منهم حداً ، وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة ، وأن لا يسبحن^(١) النكاح إلا في وقت من الأوقات ، وإن أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن ، وما يكون من أولادهن ذكوراً يكون للملك عبيداً وجنوداً ، وما يكون من أولادهن إناثاً ، فلا مهاتهن ، ويلحقن بصنعتهن ، وأمرهم بقرابين للهياكل ودخن^(٢) ، وأبخره للكواكب ، وجعل لكل كوكب منها وقتاً يتقرب إليه فيه بدخن^(٣) معلوم من أنواع الطيب والعقاقير ، وأحكم لهم جميع الأمور ، فاستقامت أيامه ، وكثر النسل ، فكانت حياته نحواً من مائة وخمسين سنة ، وهلك ، فجزعوا عليه جزعاً شديداً ، فجعلوه في تمثال من الذهب [الأحمر] ورصعوه بأنواع الجواهر ، وبنوا له هيكلاً عظيماً ، وجعلوا سقفه سبعة ألوان من الجواهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها وأشكالها ، وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيداً يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل ، وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب ، وأكثر أموالهم الفلوس^٤ الصفر والنحاس ، فاستقرت هذه المدينة بدار ملك

(١) في ب « وأن لا يستحسن النكاح - إلخ » ويظهر أن الأصل « واللا يستحسن النكاح » .
(٢) في ب « زخر » في الموضعين .

الصين ، وهي مدينة انموا ، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر وأكثـر من ذلك على حسب ما قدمنا آناً ، ولهم مدينة عظيمة نحو ما يلي من أرضهم مغرب الشمس ، يقال لها مد^(١) ، وتلى بلاد التبت ، والحرب بين بلاد التبت وأهل المد^(١) سيجال .

فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة ، والخصب والعدل لهم شامل ، والجور في بلادهم معدوم ، يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم ، وحروبهم على عدوهم قائمة ، وثغورهم مشحونة ، والرزق على الجنود دار ، والتجار يختلفون إليهم في البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ، ودينهم دين من سلف ، وهي ملة تدعى السمنية ، عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجيئ الإسلام : يعبدون الصور ، ويتوجهون نحوها بالصلوات ، واللييب منهم يقصد بصلاته الخالق ، ويقم التماثيل من الأصنام والصور مقام قبلة ، والجاهل منهم ومن لاعلم له يشرك الأصنام بالهية الخالق ، ويعتقدها جميعاً ، وأن عبادتهم الأصنام تقربهم إلى الله زلفى ، وأن منزلتهم في العبادة تنقص عن عبادة الباريء لجلالته وعظمته وسلطانه ، وأن عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة إليه ، وهذا الدين كان بدء ظهوره في خواصهم من الهند لجاورتهم إياهم ، وهو رأى الهند في العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا في أهل الصين ، ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر ، فنغيرت أحوالهم ، وبحشوا ، وتناظروا ، إلا أنهم ينقادون في جميع أحكامهم إلى ما نصب لهم من الشرائع المقدمة ، ومن حيث إن ملكهم متصل بملك الطفرغر — على حسب ما تقدم — صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية^(٢) والقول بالنور والظلمة ، وقد كانوا جاهلية سببهم في الاعتقاد سبيل الترك ، إلى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية^(٣) ، فزخرف لهم كلاماً يريهم فيه تضاد مافى هذا العالم وتباينه : من

(٢) في ا « الثانية » .

(١) في ا « يقال لها مذ » .

موت وحياة ، وصحة وسقم ، وضياء وظلام ، وغنى وفقير ، واجتماع وافتراق ، واتصال وانفصال ، وشروق وغروب ، ووجود وعدم ، وليل ونهار ، وغير ذلك من سائر المتضادات ، وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لأجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم ، وما يعرض للأطفال والبله والجائنين ، وأن الباريء جل وعز غنى عن إبلامهم ، وأراهم أن هناك ضداً شديداً دَخَلَ على الخير الفاضل في فعائه ، وهو الله عز وجل ، فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشُّبهِ عقولهم ، فدانوا بما وصفنا ، فإن كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك أيرخان سَجَّالاً ، وإذا كان ملك الصين متنافي المذهب^(١) كان الأمر بينهم في الملك مُشَاعاً ، وملوك الصين ذوو آراء ونحل ، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق ، في نَصَب القُضَاة والحكام ، وانقياد الخواص والعوام إلى ذلك .

بعض عادات
الصين

وأهل الصين شُعب وقبائل ، كقبائل العرب وأنحازها وتشعبها في أنسابها ، ولهم مراعاة لذلك ، وحفظ له ، وينسب الرجل [منهم] إلى خمسين أباً إلى أن يتصل بعابور^(٢) وأكثر من ذلك وأقل ، ولا يتزوج أهل كل نخذ من نخذ^(٣) مثال ذلك أن يكون الرجل من مُضَرَ فيتزوج في ربيعة ، أو من ربيعة فيتزوج في مضر ، أو من كهلان فيتزوج في حَمِير ، أو من حمير فيتزوج من كهلان ، ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية ، وأنه أصح للبقاء ، وأتم للعمر ، وأسباباً يذكرونها نحو ما ذكرنا .

فلم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سلف من ملوكهم إلى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في الملك أمر زال به النظام ، وانقضت به الأحكام والشرائع ومنع من الجهاد إلى وقتنا هذا ، وهو سنة

(١) في « مثنى الذهب » . (٢) في « بعامور » .

(٣) في ب « ولا يتزوج أهل كل نخذ إلا من نخذم » وفيها فيما بعد « فلا يتزوج » في كل اللواضع .

اثنین وثلاثین وثلثمائة ، وهو أن نابغاً نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له يانشو^(۱) ، وكان شريراً يطلب الفتنة ، ويجمع إليه أهل الدعارة والشر ، فلحق الملك وأرباب التدبير غفلةً عنه ؛ لجهول ذكره ، وأنه ممن لا يبالي به ، فاشتد أمره ، ونما ذكره ، وكثر عتوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه ، وعظم جيشه ، فسار من موضعه ، وشن الغارات على العمار حتى نزل مدينة خانقوا ، وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين ، وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة ، تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالأمته والجهاز ، وتقرب إلى مدينة خانقوا ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس ، وغير ذلك من أهل الصين ؛ فقصدها العدو إلى هذه المدينة فحاصرها ، وأتته جيوش الملك فهزمها ، واستباح ما فيها ، فكثرت جنوده ، وافتتح مدينة خانقوا عنوة ، وقتل من أهلها خلقاً لا يحصون كثرةً ، وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس ممن قتل وغرق خوف السيف فكان مائتي ألف ، وإنما أحصى ما ذكرناه من هذا العدد لأن ملوك الصين تحصى من في مملكتها من رعيتها ، وكذا من جاورها من الأمم ؛ ليصير ذمة لها في دواوينها ، بكتابٍ قد وگلوأ بإحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ما كهم ، وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقوا من غابات شجر التوت ؛ إذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه ، وما يطعم منه لدود القز الذي ينتج منه الحرير ، فكان ذهاب الشجر داعياً إلى انقطاع الحرير الصيني وجهازه إلى ديار الإسلام .

وسار يانشو^(۱) بجيوشه إلى بلاد فافتتحه ، وانضاف إليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه ، وقصد مدينة أنموا ، وهي دار الملك ، فخرج إليه الملك في نحو مائة ألف ممن بقي معه من خواصه والتقى هو ويانشو^(۱)

(۱) في ب « يقال له باسر » .

وكانت الحرب بينهم سجلاً نحواً من شهر ، وصبر الفريقان جميعاً ، ثم كانت على الملك فولاً منهزماً ، وأمن الخارجي في طلبه ، فأنحاز الملك إلى مدينة في أطراف أرضه ، واستولى الخارجي على الحوزة ، واحتوى على ديار الملك ، وملك خزان الملوك السالفة ، وما أعدوه للنواب ، وشن الغارات في سائر العمارات ، وافتتح المدن ، وعلم أن لا قوم له بالملك ؛ إذ كان ليس من أهله ، فأمن في خراب البلاد واستباحة الأموال ، وسفك الدماء ، وكاتب ملك الصين من المدينة التي انحاز إليها المتأخمة لبلاد التبت ، وهي مدينة مد^(١) المتقدم ذكرها ، ملك الترك ابن خاقان^(٢) ، فاستنجده ، وأعلمه ما نزل به ، وأعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات إذا استنجدها إخوانها من الملوك ، وأن ذلك من فرائض الملك وواجباته ، فأنجده ابن خاقان^(٣) بولد له بنحو من أربع مائة ألف فارس ورجل ، وقد استفحل أمر يانشو ، فالتقى الفريقان جميعاً ، فكانت الحرب بينهم سجلاً نحواً من سنة ، وتفانى من الفريقين خلق كثير ، ففقد يانشو ، فقيل : إنه قتل ، وقيل : إنه أحرق^(٤) ، وأسر ولده والخواص من أصحابه ، وسار ملك الصين إلى دار الملكة وعاد إلى ملكه والعامه تسميه بعبور^(٥) ، وتفسير ذلك ابن السماء ، تعظيماً له ، وهو الاسم الأخص للملك الصين ، والذي يخاطبون به جميعاً ججان^(٥) ، ولا يخاطبون بعبور^(٤) ، وتغلب كل صاحب ناحية من عماله على ناحيته ، كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الإسكندر بن فيلبوس المقدوني دارا بن دارا ملك فارس ، وكنحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — فرضى ملك الصين منهم بالطاعة له ، ومكاتبته بالملك ، ولم يتأت له المسير إلى سائر أعماله ، ولا محاربة من تغلب على بلاده ، وقنع بما وصفتنا ، وامتنع من ذكرنا من حمل الأموال إليه فتاركهم مسالماً لهم ، وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه ؛ فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم .

(١) في « مدينة مذ » (٢) في « ملك الترك أيرخان » .

(٣) في « وقيل إنه غرق » . (٤) في « بعبور » .

(٥) « طمنفا ججان » .

وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك ، وانقياد للعدل ،
على حسب ما توجبه قضية العقل .
وحكى أن رجلاً من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان^(١)
خرج من بلاده ، ومعه متاع كثير ، حتى انتهى إلى العراق ، فحمل من
جهازه ، وانحدر إلى البصرة ، وركب البحر حتى أتى إلى بلاد عمان ، وركب
إلى بلاد كلة ، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك ، وإليها تنهى
مراكب [أهل] الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون
مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم ، وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف
ذلك ، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل
فارس وساحل البحرين والأبلة والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف
من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك ، ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان
من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعاً في هذا النصف ، ثم ركب هذا
التاجر من مدينة كلة في مراكب الصينيين إلى مدينة خانقوا ، وهي مرسى
المراكب [على حسب ما ذكرنا آنفاً ، وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها
من الجهاز والأمتعة]^(٢) فشرح خصياً من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه ،
وذلك أن أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم في الخراج وغيره [من
العائلات والمهمات] وفيهم من ينحصى ولده طلباً للرياسة [واعتقاد النعمة ؛
فسار الخصى] حتى أتى مدينة خانقوا ، وأحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني ،
فعرضوا عليه ما احتاج إليه من المتاع وما يصلح له ، فسأل الخراساني أن يحضر
متاعه ؛ فأحضره ، وجرت بينهم محادثة ، ودار الأمر في التتمين المتاع ، فأمر الخصى
بسجن الخراساني وإكراهه ، وذلك أنه زاده ثقة منه بعدل الملك ، فمضى الخراساني
من فورهِ حتى أتى إلى مدينة أنموا ، وهي دار الملك ، فوقف موقف المتظلم ،

(١) في « من بلاد ما وراء النهر » (٢) زيادة ليست في ا

وذلك أن المتظالم إذا أتى من البلد الشاسع أو غيره تقمص نوعاً من الحرير الأحمر ، ووقف موضعاً قد رسم للظلامه ، وقد رتب بعض ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظالمين ، ويقف ذلك الموقف ، فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ، ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ، ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه ، فأقبل عليه ، وقال : أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم ، وخاطرت بنفسك ، انظر إن كنت صادقاً فيما تخبر به ، وإلا فإننا نقتلك ونردك من حيث جئت ، وكان هذا خطابه لمن يتظالم ، فإن رآه قد جزع وضرع في القول ضربه مائة خشبة وورده من حيث جاء ، وإن هو صبر على ما هو عليه حمل إلى حضرة الملك ، وأوقف بين يديه ، وسمع كلامه ، فصمم الخراساني في المطالبة والظلامه فرآه محققاً غير ضرع ولا متجلجج ، فحمل إلى الملك ، فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك ، فلما أن أدى الترجمان إليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به إلى بعض المواضع ، وأحسن إليه ، وأحضر الوزير وصاحب الميمنة [وصاحب القلب] وصاحب الميسرة ، وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب فد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه ، فأمرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم إلى صاحبه بالناحية ، ولكل واحد منهم خائفة في كل ناحية ، فكتبوا إلى أصحابهم يخبرونهم أن يكتبوا إليهم بما كان من خبر التاجر والخادم ، وكتب الملك إلى خليفته بالناحية بمثل ذلك ، وقد كان خبر الخادم والتاجر اشهر واستفاض ، فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر ، وذلك أن ملوك الصين لها في سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مسرعة محذوة الآلات للأخبار والخرائط ، فبعث الملك فاستحضر الخادم ، فلما وقف بين يديه سآبه ما كان أنعم به عليه ، ثم قال له : عمدت إلى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع ، وقطع مسالك ، واجتاز بملوك في بر وبحر ، فلم يتعرض له ، يؤمل الوصول إلى مما كتبت ثقة منه بعدي ، ففعلت به ما فعلت ، وكان ينصرف عن ملكي ، ويقبح الأحداث عن

سيرتى ، أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك ، لكن أعاقبك بعقوبة إن عقلت فإنها أكبر من القتل ، وهو أن أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة ، أن عجزت عن تدبير الأحياء والقيام بما إليه نذبت ، وأحسن الملك إلى التاجر ، وحمله إلى خانقوا ، وقال له : إن سمحت نفسك أن تتبع منا ما اختير لنا من متاعك بالثمن الجزيل ، وإلا فأنت المحكّم فى مالك ، أقم إذا شئت ، وبع كيف شئت ، وانصرف راشداً حيث شئت ، وصرف الخادم إلى مقابر الملوك .

قال السعودى : ومن طرائف أخبار ملوك الصين أن رجلاً من قریش من ولد هبّار بن الأسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر ، خرج هذا الرجل من مدينة سيراف ، وكان من أرباب البصرة وأرباب النعم بها ، وذوى الأحوال الحسنة ، ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ، ولم يزل يتحول من مركب إلى مركب ، ومن بلد إلى بلد ، يخرق ممالك الهند ، إلى أن انتهى إلى بلاد الصين [فصار] إلى مدينة خانقوا ، ثم دعت همته إلى أن صار إلى دار ملك الصين ، وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان ، وهى من كبار مدنهم ، ومن عظيم أمصارهم ، فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب ، فأمر [الملك] بعد هذه المدة الطويلة بإنزاله فى بعض المساكن وإزاحة العلة من أموره وجميع ما يحتاج إليه ، وكتب إلى الملك المقيم بخانقوا يأمره بالبحث عنه ، ومسالمة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم ، فكتب صاحب خانقوا بصحة نسبه ، فأذن له فى الوصول إليه ، ووصله بمال واسع ، وأعادته إلى العراق ، وكان شيخاً فهماً ، فأخبر أنه لما وصل إليه ، وسأله عن العرب ، وكيف أزالوا ملك العجم ، فقال له : بالله عز وجل ، وما كانت العجم عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل ، فقال له : لقد غلبت العرب على أجنّ الممالك ، وأنفسها ، وأوسعها ريباً ، وأكثرها أموالاً ، وأعقلها

رجالاً ، وأهداها صوتاً^(١) ، ثم قال له : فما منزلة سائر الملوك عندهم ؟ فقال :
 ما لي بهم علم ، فقال للترجمان : قل له : إنا نعدُّ الملوك خمسة ، فأوسعهم
 ملكاً الذي يملك العراق ، لأنه في وسط الدنيا ، والملوك مُخَدِّقَةٌ به ، ونجد
 اسمه ملك الملوك ، وبعده ملكنا هذا ، ونجده عندنا ملك الناس ، لأنه لا أحد
 من الملوك أسوس منا ، ولا أضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ، ولا رعية من
 الرعايا أطوع لملكها من رعيتنا ، فنحن ملوك الناس ، ومن بعده ملك
 السباع ، وهو ملك الترك الذي يابينا ، وهم سباعُ الإنس ، ومن بعده ملك
 القَيْلَةِ ، وهو ملك الهند ، ونجده عندنا ملك الحكمة أيضاً ؛ لأن أصلها منهم ،
 ومن بعده ملك الروم ، وهو عندنا ملك الرجال ؛ لأنه ليس في الأرض أتم
 خاتماً من رجاله ، ولا أحسن وجوهاً منهم ، فهؤلاء أعيان الملوك ، والباقيون
 دونهم ، ثم قال للترجمان : قل له : أتعرف صاحبك إن رأيتَه ؟ يعني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال القرشي : وكيف لي برؤيته وهو عند الله
 عز وجل ؟ فقال : لم أرد هذا ، وإنما أردت صورته ، فقلت : أجل ، فأمر
 بسَفَطٍ فأخرج فوضع بين يديه ، فتناول منه درجاً ، وقال للترجمان : أراه
 صاحبه ، فرأيت في الدرج صور الأنبياء ، فحركتُ شفتيَّ بالصلاة عليهم ،
 ولم يكن عندهم أنى أعرفهم ، فقال للترجمان : سئله عن تحريكه لشفتيه ،
 فسألني ، فقلت : أصلى على الأنبياء ، فقال : ومن أين عرفتهم ؟ فقلت :
 بما صُوِّرَ من أمورهم ، هذا نوح عليه السلام في السفينة [ينجو] بمن معه
 لما أمر الله عز وجل الماء فعمَّ الماء الأرض كلها بمن فيها وسلّمه وامنَّ معه ،
 فقال : أما نوح فصدقت في تسميته ، وأما غرق الأرض كلها فلا نعرفه ،
 وإنما أخذ الطوفان قطعة من الأرض ولم يصل إلى أرضنا ، وإن كان خبركم
 صحيحاً فمن هذه القطعة ، ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا
 من الطوائف والأُمم لا نعرف ما ذكرتم ، ولا نَقَلَ إلينا أسلافنا

(١) في «أ» وأجدها صوتاً .

ما وصفتم ، وما ذكرت من ركوب الماء الأرض كلها فمن الكواثر العظام التي تفرغ النفوس إلى حفظه وتداوله الأمم ناقلة له ، قال القرشي : فهبت الرد عليه وإقامة الحجّة ؛ لعلى بدفعه ذلك ، ثم قلت : وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو إسرائيل ، فقال : نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ، ثم قلت : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه ، فقال : لقد كان قليل المدة ، إنما كان أمده يزيد على ثلاثين شهراً شيئاً يسيراً ، وعدد من سائر الأنبياء وأخبارهم ما اقتصرت على ذكر بعضه ، ويضع هذا القرشي - وهو المعروف بابن هبار - أنه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد دون فيها ذكر أسمائهم^(١) ، ومواضع بلدانهم ، ومقادير أعمارهم ، وأسباب نبوتهم وسيرهم ، وقال : ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل وأصحابه متحدون به في أرجاهم نعال عربية^(٢) من جلود الإبل ، وفي أوساطهم الجبال ، قد علقوا فيها المساويك ، فبكيت ، فقال للترجمان : سله عن بكائه ، فقلت : هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : صدقت ، لقد ملك قومه أجل الممالك ، إلا أنه لم يعاين من الملك شيئاً ، إنما عاينه من بعده ومن تولى الأمر على أمته من خلفائه ، ورأيت صور أنبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعاً بين سبّابته وإبهامه كالحلقة ، كأنه يصف أن الخليفة في مقدار الحلقة ، ومنهم من قد أشار بسبّابته نحو السماء كالمُرهب للخليفة بما فوق ، وغير ذلك ، ثم سألتني عن الخلفاء وزبيهم وكثير من الشرائع ، فأجبتني على قدر ما أعلم منها ، ثم قال : كم عمر الدنيا عندكم ؟ فقلت : قد تنوزع في ذلك ، فبعض يقول : ستة آلاف سنة ، وبعض يقول : دونها ، وبعض يقول : أكثر منها ، فقال : ذلك عن نبيكم ؟ فقلت : نعم ، فضحك ضحكاً كثيراً ووزيرُه أيضاً ، وهو واقف [دلّ] على إنكار ذلك ، وقال : ما حسبت نبيكم قال هذا ، فزلت فقلت : بلى هو قال ذلك ، فرأيت الإنكار في وجهه ،

(١) في ١ « ذكر أنسابهم » (٢) في ١ « نعال عدنية » .

ثم قال للترجمان : قل له ميز كلامك : فإن الملوك لا تكلم إلا عن تحصيل ،
 أما زعمت أنكم تختلفون في ذلك ، فإنكم إنما اختلفتم في قول نبيكم ، وما قالت
 الأنبياء لا يجب أن يختلف فيه ، بل هو مسلم لها ، فاحذر هذا وشبهه أن تحكيد ،
 وذكر أشياء كثيرة ذهبت عنى لطول المدة ، ثم قال لى : لم عدلت عن ملكك
 وهو أقرب إليك داراً ونسباً ؛ قلت : بما حدث على البصرة ، ووقوعى إلى سيراف ،
 ونزعت بى همتى إلى ملكك أيها الملك ، لما باغى من استقامة ملكك ، وحسن
 سيرتك ، وكثرة جنودك [وشمول سياستك لسائر رعيته] فأحببت الوقوع إلى
 هذه المملكة ومشاهدتها ، وأنا راجع عنها إلى بلادى ، وملك ابن عمى ، ومخبر
 بما شاهدت من جلاله هذا الملك ، وسعة هذه البلاد [وعموم هذا العدل ، وحسن]
 شيمتك أيها الملك الحمود ، وسأقول بكل قول حسن وأثنى بكل جميل ، فسررة
 ذلك ، وأمر لى بجائزة سنوية ، وخام شريفة ، وأمر بحمل على البريد إلى مدينة
 خانقوا ، وكتب إلى ما كتبها يا كرامى وتقديمى على من فى ناحيته من سائر خواص
 الناس ، وإقامة النزل إلى وقت خروجى عنه ، فكنت عنده فى أخصب
 عيش وأنعمه ، إلى أن خرجت من بلاد الصين .

قال المسعودى : وأخبرنى أبو زيد الحسن بن يزيد^(١) السيرافى بالبصرة - وكان
 قد قطنها وانتقل عن سيراف ، وذلك فى سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأبو زيد هذا هو
 ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافى^(٢) ، وكان الحسن بن يزيد من
 أهل التحصيل والتميز - أنه سأل ابن هبار هذا القرشى عن مدينة حمدان التى بها
 الملك وصفتها ، فذكر سعتها ، وكثرة أهلها ، وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما
 شارع عظيم طويل عريض ، فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه ،
 وجميع أسبابه فى الشق الأيمن منه مما بلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامة ، وليس

(١) فى « أبو زيد محمد بن يزيد السيرافى »

(٢) فى « وهو ابن عم مزيد بن محمد بن أبرد بن بستاشة صاحب سيراف »

(١٠ - مروج الذهب ١)

فيه شيء من الأسواق ، بل أنهار في سككهم مطردة، وأشجار عليها منتظمة ،
ومنازل فسيحة ، وفي الشق الأيسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والأسواق
فإذا وضع النهار رأيت فيها قهارة الملك وعلمانه وعلمان وزرانه ووكلائهم ما بين
راكب وراكب قد دخلوا إلى الشق الذي فيه العامة والتجار ، فأخذوا بضائعهم
وحوائجهم ، ثم انصرفوا فلا يعودوا أحد منهم إلى هذا الشق إلا في اليوم الثاني ، وأن
هذه البادان فيها كل نزهة وغنيضة حسنة ، وأنهار مطردة إلا النخل فإنه معدوم عندهم .
وأما أهل الصين فمن أخذ خلق الله كفا بنقش وصنعة وكل عمل
لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم ، والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره
يعجز عنه ؛ فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع ، فيأمر الملك
بنصبه على بابه من وقته ذلك إلى سنة ، فإن لم يخرج أحد فيه عيباً أجاز صناعه
وأدخله في جملة صناعه ، وإن أخرج أحد فيه عيباً طرحه ولم يجزه ، وأن رجلاً
منهم صور سنبله سقط عليها عصفور في ثوب حرير ، لا يشك الناظر إليها أنها سنبله
سقط عليها عصفور ، فبقي الثوب مدة ، وأنه اجتاز به رجل أهدب ، فعاب العمل ،
فأدخل إلى الملك وأحضر صاحب العمل ، فسأل الأهدب عن العيب ، فقال :
المتعارف عند الناس جميعاً أنه لا يقع عصفور على سنبله إلا أمالها ، وصور هذا
المصور السنبله فنصبها قائمة لا تميل فيها ، وأثبت العصفور فوقها منتصباً ، فأخطأ ،
فصدق الأهدب ، ولم يثب صاحبها بشيء ، وقصدتم بهذا وشبهه الرياضة لمن
يعمل هذه الأشياء ؛ ليضطرم ذلك إلى شدة الاحتراز [والحذر] وإعمال
الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده .

مهارة
أهل الصين

ولأهل الصين أخبار [عظيمة] [عجيبة] ، ولبلادهم أخبار ظريفة سنورد فيما يرد
من هذا الكتاب جلامنها وإن كنا قد أتينا على سائر الأخبار من ذلك في كتابنا
« أخبار الزمان في الأمم الماضية والممالك الدائرة » وذكرنا في الكتاب الأوسط
جلاماً نتعرض لذكرها في كتاب « أخبار الزمان » [وربما] ذكرنا في هذا
الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين ، والله أعلم .

ذكر جمل من الأخبار عن البحار

وما فيها [وما حولها] من العجائب والأم ، ومراتب الملوك
وأخبار الأندلس ، ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه ، وغير ذلك
قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة
والمنفصلة، فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من أخبار ما اتصل بنا من البحر
الخبثي والمالك والملوك، وجملا من ترتيبها ، وغير ذلك من أنواع العجائب.
فتقول: إن بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة ، على
ما ذكرنا ، إلا أن هيجانها وركودها مختلف ؛ لا اختلاف مهابر ياحها وآثار
ثوراتها^(١) وغير ذلك، فبحر فارس تكثر أمواجه ، ويصعب ركوبه ، عنداين
بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه ، ويلين بحر فارس ، وتقل أمواجه ،
ويسهل ركوبه ، عند ارتجاج بحر الهند ، واضطراب أمواجه وظلمته، وصعوبة
مركبه، فأول ما يتبدى بصعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء
الخريفي ، ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه إلى أن تصير الشمس إلى برج الحوت،
فأشد [ما يكون] ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس، ثم يلين
إلى أن تعود الشمس إلى السنبلة ، وآخر ما يكون ذلك في آخر الربيع عند كون
الشمس في الجوزاء ، وبحر الهند لا يزال كذلك إلى أن تصير الشمس إلى السنبلة
فيركب حينئذ، وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس ، وبحر فارس يركب
في سائر السنة من عُمان إلى سيراف، وهو ستون ومائة فرسخ، ومن سيراف إلى
البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ، ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين
الموضعين ونحوهما، وقد حكى أبو معشر النجم في كتابه المترجم بالدخل الكبير إلى
علوم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوئها عند كون الشمس فيما ذكرنا

اضطراب
بحر فارس
وبحر الهند
وهدوئهما

(١) في « إبان ثوراتها »

من البروج ، وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند في اتبائه إلا مركب معزز ،
 وحولته يسيرة ، وتسمى هذه المراكب بعمان إذا قطعت أرض الهند في هذا الوقت
 التيرماهية ، وذلك أن بلاد الهند ونجر الهند يكون فيه اليسارة - وهو الشتاء -
 ودوام الأمطار في كانون ، وكانون وشباط عندنا صيف ، وعندهم الشتاء ، كما يكون
 عندنا الحر في حزيران وتموز وآب ، فشتاؤنا صيفهم ، وصيفهم شتاؤنا^(٢) ،
 وكذلك سائر مدن الهند والهند وما اتصل بذلك إلى أقاصي هذا البحر ،
 ومن شتّى في صيفنا بأرض الهند قيل : فلان يسّر بأرض الهند : أي شتّى
 هنالك ، وذلك لقرب الشمس وبعدها .

الغوص
 على اللؤلؤ

والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس ، وإنما يكون في أول نيسان إلى آخر
 أيلول ، وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها ، وقد أتينا فيما سلف من
 كتبنا على سائر مواضع الغوص في هذا البحر ؛ إذ كان ما عداه من البحار
 لا لؤلؤ فيه ، وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك و قطر و عمان و سر نديب
 وغير ذلك من هذا البحر ، وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ ، وتنازع الناس
 في تكونه ، ومن ذهب منهم إلى أن ذلك من المطر ، ومن ذهب منهم إلى أن
 ذلك من غير المطر ، وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالحجار ،
 والمعروف بالبلبل ، واللحم الذي في الصدف والشحم ، وهو حيوان يفرع على ما فيه
 من اللؤلؤ والدر خوقا من الغاصّة ، كخوف المرأة على ولدها ، وقد أتينا على ذكر
 كيفية الغوص ، وأن الغاصّة لا يكادون يتناولون شيئا من اللحم إلا السمك
 والتمر ، وغيرها من الأقوات ، وما يلحقهم ، وذكرك شق أصول آذانهم لخروج
 النفس من هناك بدلا عن المنخرين ؛ لأن المنخرين يجعل عليهما شيء من الدبل
 وهو ظهور السلاحف البحرية التي تتخذ منها الأمشاط أو من القرن يضمهما

(١) في ١ « وليس يكاد يقطع من عمان بحر الهند في تيرماه إلا مركب »

(٢) لو قال « فشتاؤنا صيفهم وشتاؤهم صيفنا » لكن خيرا

كالشقاص لا من الخشب ، وما يجعل في آذانهم من القطن فيه شيء من الدهن ، فيعصر من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره ، فيضيء لهم بذلك في البحر ضياء بينا ، وما يطلون به أقدامهم وأسواقهم من السواد خوفاً من باع دواب البحر إياهم ولنفورها من السواد ، وصياح الغاصة في [قعر] البحر كالكلاب ، وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض ، وللغواص واللؤلؤ وحيوانه أخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته وأثمانه ومقادير أوزانه فيما سلف من كتبنا .

فأول هذا البحر مما يلي البصرة والأبلة والبحرين من خشبات البصرة ، ثم بحر لا روى وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتابة وسندان وكنباية^(١) وغيرها من الهند ، ثم بحر هر كند^(٢) ، ثم بحر كلاه ، وهو بحر كلة والجزائر ، ثم بحر كردنج^(٣) ، ثم بحر الصنف ، وإليه يضاف العود الصنفي وإلى بلاده ، ثم بحر الصين وهو بحر صنجي^(٤) ليس بعده بحر ، فأول بحار فارس على ما ذكرنا خشبات البصرة والموضع المعروف بالكفلاء^(٥) وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مفروسة علامات للمراكب إلى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ ، وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ، ومن عمان وقصبتها تسمى سنجان^(٦) ، والفرس يسمونها مزون إلى المسقط ، وهي قرية منها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخا ، ومن المسقط إلى رأس الجمجمة خمسون فرسخا ، وهذا آخر بحر فارس ، وطوله أربعمائة فرسخ ، هذا تحديد النواتية^(٧) وأرباب المراكب ، ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والأحقاف ، والرمل منه تحت البحر ، لا يدرى أين تنتهي غايته في الماء .

(١) في ب « حمور وسر بارة وثانية وسنوار وكسانة »

(٢) في ب « بحر مو كيد »

(٣) في ب « كوريج »

(٤) في ب « وهو بحر صيجو »

(٥) في ا « المعروف بالكفلاء »

(٦) في ا « تسمى صجار »

(٧) في ب « النواتي »

[أعني الجبل المعروف برأس الجمجمة ، وإذا كان ما وصفنا من الجبل في البر ومنه تحت البحر سمي في البحر الرومي سفالة ، من تلك السفالة في الموضع المعروف بساحل سلوقيا من أرض الروم ، واتصالها تحت البحر بنحو من جزيرة قبرص ، وعليها عَطَبٌ أكثر مما ركب الروم وهلاكها ، وإنما نعبّر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم^(١) ، فمن هنالك تنطلق المراكب إلى البحر الثاني وهو المعروف بلاروي ولا يُدْرَى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين، وربما يقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر ، على قدر مهاب الرياح والسلامة ، وليس في هذه البحار — أعني ما احتوى عليه البحر الحبشي — أكبر من هذا البحر بحر لاروي ، ولا أشد ، وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم ، وعبر هذا البحر قليل ، وذلك أن العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشَّحْر من أرض العرب ، وأهل الشحر أناس من قضاة وغيرهم من العرب ، وهم مَهْرَةٌ ، ولقبتهم بخلاف لغة العرب ، وذلك أنهم يجعلون الشين بدلا من الكاف ، مثال ذلك أن يقولوا : هل كَشِرَ فيما قُلْتَ كَشِرَ ، وقلت لي : أن تجعلي الذي معي في الذي مَعَشِرٍ ، يريد هل لك فيما قلت لك ، وقلت لي أن تجعلي الذي معي في الذي معك ، وغير ذلك من خطابهم ونوادير كلامهم ، وهم ذوو فقر وفاقة ، ولهم نُجْبٌ يركبونها بالليل تعرف بالنجب المَهْرِيَّة تشبه في السرعة بالنجب البجاوية ، بل عند جماعة أنها أسرع منها ، يسرون عليها على ساحل بحرهم ، فإذا أَحَسَّتْ هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه ، قد رِيضَتْ لذلك واعتادته ، فيتناولوه الراكب ، وأجود العنبر ما وقع في هذه الناحية وإلى جزائر الزنج^(٢) وساحله ، وهو المدور الأزرق النادر^(٣) كبيض النعام أو دون ذلك ، ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالأوال^(٤) المقدم ذكره ، وذلك أن البحر إذا اشتد قذف من

العنبر

(٢) في ب هـ وجزائر الرانج هـ

(٤) ب « بالأقال هـ

(١) زيادة ليست في ب

(٣) في ب هـ البارز هـ

قعره العنبر كقطع الجبال وأصفر ، على ما وصفنا ، فإذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ، ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم ، فيطرحون فيه الكلايب والجبال ، فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه ، فما يخرج من بطنه يكون سَهْكَاً^(١) ، ويعرفه الفطارون بالعراق وفارس بالند^(٢) ، وما بقى على ظهر الحوت منه كان نقياً جيداً ، على حسب لبثه في بطن الحوت ، وبين البحر الثالث — وهو هر كند — والبحر الثاني — وهو لا روى — على ما ذكرنا جزائر كثيرة ، وهي فرز^(٣) بين هذين البحرين ، ويقال : إنها نحو من ألفي جزيرة ، وفي قول المحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامر بالناس ، وملكة هذه الجزائر كلها امرأة ، وبذلك جرت عاداتهم من قديم الزمان لا يملكهم رجل ، والعنبر يوجد في هذه الجزائر أيضاً ، يقذفه البحر ، ويوجد في بحرها ، كأ كبير ما يكون من قطع الصخر ، وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف إلى هذه الجزائر أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر ، ويتكون كتكون أنواع الفطر : من الأبيض ، والأسود ، والكأة [والمغاريد ، وبنات أوبر] ونحوها ، فإذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر ، وأهل هذه الجزائر متفقون ، وكلمتهم واحدة ، ولا يحصرهم العدد لكثرتهم ، ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم ، وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ، ونخلهم شجر النارجيل ، لا يفقد من النخلة إلا التمر ، وقد زعم أناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم الأشجار أن النارجيل هو نخل المقل ، وإنما أثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلاً ، وإنما هو نخل المقل ، وقد ذكرنا في كتابنا المترجم

(١) في ب « يكون سمكا »

(٢) في ب « وفارس والهند »

(٣) في ب « وهي قرى بين هذين البحرين »

تأثير البيئة بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الأرض وهوائها في حيوانها من الناطقين وغيرهم ، وما تؤثر البقاع في النامي من النبات ، وفيما ليس بنام ، كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم ، حتى أثر ذلك في جهالم ، فقصرت قوائمها ، وغاظت رقابها ، وبيض وبرها ؛ وأرض بأجوج وماجوج في صورهم ، وغير ذلك ، مما إذا تبينه ذوو المعرفة في سكان الأرض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرناه ؛ وليس يوجد في جزائر البحر اللف صنعة من [أهل] هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع ، في الثياب والآلات وغير ذلك ، وبيوت أموال هذه الملكة الودع ، وذلك أن هذا الودع فيه نوع من الحيوان ، وإذا قل ما لها أمرت أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل مخصوصه ، ويطرحونه على وجه الماء ، فيتراكب عليه ذلك الحيوان ، فيجمع ويطرح على رمل الساحل ، فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ، ويبقى الودع خالياً مما كان فيه ، فتملاً من ذلك بيوت الأموال ، وهذه الجزائر تعرف جميعها بالديجات^(١) ومنها يحمل أكثر الزانج^(٢) ، وهو النارجيل ، وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ، ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف فرسخ تعرف بالرامين معمورة وفيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ، ويليها بلاد قنصور وإليها يضاف الكافور القنصوري ، والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرّجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور ، وإذا قل ذلك كان نقصاناً في وجوده ، وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ، ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب ، وفياتها كثيرة ، ومنها ما يأكل لحوم الناس ، وتتصل هذه الجزائر بجزائر النجاوس^(٣) ، وهي أم عجيبة الصور عراة يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم ، معهم العنبر والنارجيل ، فيتعاوضون بالحرير وشيء

(١) في « بالدبيات » (٢) في ب ، الرانج »

(٣) في ب « وتتصل هذه الجزائر بالحابوس »

من الثياب ، ولا يبيمون ذلك بالدرهم ولا بالدنانير ، وتليهم جزائر يقال لها أندامان ، فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر [مفلقو الشعور] قَدَمُ الواحد منهم أكبر من الذراع ، لامرأ كب لهم ، فإذا وقع الفريق إليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه ، وكذلك فعلهم بالمرأكب إذا وقعت إليهم ، وذكر لي جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحاباً أبيض قطعاً صفاراً يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر ، فإذا اتصل به غلَّ البحر لذلك ، وارتفعت منه زوابع عظيمة ، لا تمر زوبعة [منها] بشيء إلا أنافته ، وُتَطَّرُون عقيب ذلك مطراً سَهِكاً فيه أنواع من قذى البحر .

وأما البحر الرابع فهو كلاهبار ، على حسب ما ذكرنا ، وتفسير ذلك بحر بحر كلة ، وهو بحر قليل الماء ، وإذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد خبثاً ، وهو كثير الجزائر والصرأوى^(١) ، واحداها صرو ، وذلك أن أهل المرأكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصرو ، وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة ، وإنا عرضنا التلويح بلع من الأخبار عنها ، لا البسط . وكذلك البحر الخامس المعروف بكرديج^(٢) ، فإنه كثير الجبال والجزائر ، بحر كرديج وفيه الكافور ، وهو قليل الماء كثير المطر ، لا يكاد يخلو منه ، وفيه أجناس من الأمم منهم جنس يقال له الفنجب^(٣) : شعورهم مفلقة وصورهم ومناظرهم عجيبة ، يتعرضون في قوارب لهم لطاف المرأكب إذا اجتازت بهم ، ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم ، وبين هذه الأمة وبين بلاد كة جبال معادن الرصاص الأبيض وجبال من الفضة ، وفيها أيضاً معادن من الذهب ، ورصاص لا يكاد يتميز [منه] .

ثم يليه بحر الصنف على ما رتبناه آنفاً ، وفيه عمالة المهرج ملك الجزائر ، بحر الصنف وملكه لا يضبط كثرة ، ولا تحصى جنوده ، ولا يستطيع أحد من الناس في

(١) « الجزائر والصرائر واحداها صر »

(٢) في ب « المعروف بكرديج » (٣) في ب « يقال لهم الفخت »

أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين^(١) ، وقد حاز هذا الملك أنواع الطيب والأفاويه ، وليس لأحد من الملوك ماله ، ومما يحمل من بلاده ويجهز من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابية وغير ذلك مما لم نذكره ، وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ، ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين ، وفي أطراف جزائره جبال فيها أم كثيرة بيض ، آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع التراس مطرقة ، يجرؤون شعورهم كما يجر الشعر من الزق مدرجا ، تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار ، فنهاها حمراء وبالليل تسود ، وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو ، تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق ، وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم ، وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم ، قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على طول السنين^(٢) ، وأن ذلك غير مختلف ، وهذه أحد أطام الأرض الكبار ، وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الأوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة ، ويسمع إيقاع الرقص والتصفيق ، ومن يسمع ذلك يميز بين كل نوع من أصوات الملاهي وغيره ، والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون أن الدجال بتلك الجزيرة .

وفي مملكة المهرج جزيرة سريرة ، ومساقها في البحر نحو من أربعمائة فرسخ ، عمائر متصلة ، وبه جزيرة الزانج والرامني^(٣) وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه ، وهو صاحب البحر السادس ، وهو بحر الصنف .

ثم البحر السابع وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفاً ، ويعرف ببحر صنجي^(٤) وهو بحر خبيث كثير الموج والخب ، وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر ، وإنما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم ، وفيه جبال كثيرة لا بد

(١) في ا ه في ستين هـ

(٢) في نسخة « على قديم الزمان »

(٣) في ب ه الرابع والرامي هـ

(٤) في ب ه بحر صبحي هـ

للمراكب من النفوذ بينها ، وذلك أن البحر إذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الأربعة كأنهم أولاد الأحايش الصفار ، شكلاً واحداً ، وقدماً واحداً ، فيصعدون على المراكب ، ويكثر منهم الصعود من غير ضرر ؛ فإذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة ، فإن ظهورهم علامة للخب ، فيستعدون لذلك : فمعاني ، ومبتلى ، فإذا كان كذلك . ربما شاهد المعاني منهم في أعلى الدقل - ويسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره من البحر الحبشي الدولي ، ويسميه الرجال في البحر الرومي الصاري - شيئاً على صورة الطائر يتوقد نوراً لا يستطيع الناظر منهم على [ملء] بصره منه ، ولا إدراكه كيف هو ، فإذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ ، والأمواج تصفر ، والخب يسكن ، ثم إن ذلك النور يفقد ؛ فلا يدري كيف أقبل ، ولا كيف ذهب ، فذلك علامة الخلاص ، ودليل النجاة ، وما ذكرنا فلاتناكر فيه عند أهل [المراكب والتجار من أهل] البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر ، وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب ؛ إذ كان جائزاً في مقدور الباري جلّ وعزّ خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء .

وفي هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر ، فإذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية ، وتدخل تلك الحجارة في أحوال العين وأدويتها ، وأمره مستفيض أيضاً .

ولبحر الصين أيضاً - وهو السابع المعروف بصنجي - أخبار عجيبة ، وقد أتينا على جل من أخباره وأخبار ما اتصل به من البحار فيما سمينا من كتبنا وأسلفنا من تصنيفنا في هذا المعنى ، ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملاً من ذلك .

ولس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك تعرف ولا توصف ، إلا بلاد

السبلى^(١) وجزاؤها ، ولم يصل إليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره ، فخرج منها لصحة هوائها ، ورقة مائها ، وجودة تربتها ، وكثرة خيرها [وصفاء جواهرها] إلا النادر من الناس ، وأهلها مهادنون لأهل الصين وملوكها ، والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع ، وقد قيل : إنهم تشعبوا من ولد عامور ، وسكنوا هناك ، على حسب ما ذكرنا من سكنى أهل الصين في بلادهم ، وللصين أنهار كبار مثل الدجلة والفرات ، تجري من بلاد الترك والتبت والصغد ، وهي بين بخارى وسمرقند ، جبال النوشادر وهناك جبال النوشادر ، فإذا كان في الصيف رؤيت في الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ بالنهار يظهر منها الدخان لغلبة شعاع الشمس وضوء النهار ، ومن هناك يحمل النوشادر ، فإذا كان في أول الشتاء^(٢) فمن أراد من بلاد خراسان أن يسلك إلى بلاد الصين صار إلى ما هناك وهناك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلاً أو خمسون - فيأتي إلى أناس هناك على فم الوادي فيرغمهم في الأجرة النفيسة فيحملون ما معه على أكتافهم ، وبأيديهم العصي يضربون جنبه خوفاً أن يباح أو يقف فيموت من كرب الوادي وهوله ، حتى يخرجوا إلى ذلك الرأس من الوادي ، وهناك غابات ومستنقعات الماء ، فيطرحون أنفسهم في ذلك الماء ، لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ، ولا يسلك ذلك الطريق شيء من البهائم ، لأن النوشادر ياتهب ناراً في الصيف ، فلا يسلك ذلك الوادي داع ولا مجيب ، فإذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والأنداء وقع في ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر وهيبه ، فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي ، والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره ، وكذلك من ورد من بلاد الصين فعمل به من الضرب ما فعل بالمار ، والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذي ذكرناه إلى بلاد الصين نحو من أربعين يوماً بين عامر وغير عامر ودماس ورميل ، وفي غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر ، إلا أن ذلك في خفارات أنواع من الترك .

(١) في ب ه السلي ه (٢) في ا ه فإذا كان في الصيف ه هنا أيضا .

وقد رأيت بمدينة بانخ شيخاً جميلاً ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مراراً كثيرة ولم يركب البحر قط ، ورأيت عدة من الناس ممن سلك [من بلاد الصفد] على جبال النوشادر إلى أرض التبت والصين ببلاد خراسان [وبلاد الهند متصل ببلاد خراسان] والسند مما يلي بلاد المنصورة والمولتان ، والقوافل متصلة من السند إلى خراسان ، وكذلك إلى الهند ، إلى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان ، وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك ، وفيها قلاع عجبية ممتعة ، ولغات مختلفة ، وأم كثيرة ، وقد تنازع الناس في أنسابهم : فمنهم من ألحقهم بولد يافث ابن نوح ، ومنهم من ألحقهم بالفرس الأولى في نسب طويل ، وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين ، والغالب عابهم حَيْر ، وفيهم بعض التبابعة على حسب ما ذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب ، وذلك موجود في أخبار التبابعة ، ولهم حَضْرٌ وَبَدْوٌ ، وبواديهم ترك لا تدرى كثرة ، ولا يقاومهم أحد من بوادي الأتراك ، وهم معظمون في سائر أجناس الترك ؛ لأن الملك كان منهم في قديم الزمان ، وعند سائر أجناس الترك أن الملك سيعود إليهم [ويرجع فيهم] ولببلاد التبت خواص عجبية في هوائها وسهاتها ومائها وجبلها ، ولا يزال الإنسان أبداً ضاحكاً بها فرحاً مسروراً ، لا تعرض له الأحزان ولا الفجوم ولا الأفكار ، ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها وسروجها وهوائها وأنهارها ، وهي بلاد تقوى فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ، ولا يكاد يُرَى في هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز ، بل الطرب في الشيوخ والكهول والشباب والأحداث عام ، وفي أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملامى [والمعاقرة] وأنواع إيقاع الرقص ، حتى إن الميت إذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أو فوت مطلوب ، ولهم تحنن كثير من بعضهم على بعض ، والتنيم^(١)

وصف
بلاد التبت

(١) التنيم : العشق ، ووقع في آراء التنيم هـ محرفاً .

فيهم عامٌ ، وكذلك يظهر في سائر بلادهم ، وهذه البلاد تسمى بمن ثبت فيها
ورتب من رجال حمير ف قيل ثبت^(١) لقبوتهم فيها ، وقيل : لمعان غير ذلك ،
والأشهر ما وصفنا ، وقد افتخر دعبيل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي
يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان علي نزار ، فقال :

وَمِ كَتَبُوا الْكِتَابَ بِبَابِ مَرَوٍ وَبَابِ الصِّينِ كَانُوا الْكَاتِبِينَ

وَمِ سَمُوا السِّهَامَ بِسَمْرِ قَنْدٍ وَهُمْ غَرَسُوا هُنَاكَ التَّبْتِينَ

وسندكر في باب أخبار ملوك اليمن طرفاً من أخبار ملوكهم ، ومن طاف
منهم البلاد ، وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من إحدى جهاته ،
ولأرض الهند وخراسان ولفاوز الترك ، ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات
منعة وقوة ، وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم تبعاً اتباعاً لاسم تبع
ملك اليمن ، ثم إن الدهر ضرب ضرباته ، فتغيرت لغاتهم عن الحميرية ،
وحالت إلى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الأمم فسموا ملوكهم بخاقان ،
وفي بلادهم الأرض التي بها ظباء المسك التبتى الذي يفضل على الصينى

ظباء المسك

بجهتين : إحداهما أن ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأفاويه وظباء
الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من أنواع حشائش الطيب التي ترعاه
التبتية ، والجهة الأخرى أن أهل التبت لا يتعرضون لإخراج المسك من نواحيه
ويتركونه على ما هو به وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقونه الفس
بالدم وغيره من أنواع الفس ، وأن الصينى أيضاً يقطع به ما وصفنا من مسافة
البحار وكثرة الأنداء واختلاف الأهوية ، وإن عدم من أهل الصين الفس في مكهم
وأودع برانى الزجاج وأحكم عفاصها ووكاؤها ، وأورد إلى بلاد الإسلام من عمان
وفارس والعراق وغيرها من الأمصار ، كان كالتبتى ، وأجود المسك وأطيبه ما خرج
من الظباء بعد بلوغه النهاية في النضج ، وذلك أنه لا فرق بين غزلاتنا هذه وبين

(١) اسم البلاد تبت - بالثاء الغنة - ولكن هذا الاشتقاق يجعلها بالثاء المثناة

غزلان المسك في الصورة والشكل واللون والقرن ، وإنما تتبين تلك بأنياب لها كأنياب الفيلة ، لكل ظبي نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان [أيضان] نحو الشبر وأقل وأكثر ، فتنصب لها في بلاد التبت [والصين] الحبال والأشراك والشباك فيصطادونها ، وربما رموها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نواجذها والدم في سرزها حار^(١) لم ينضج وطرى لم يدرك ، فيكون لريحته سهوكة ، فيبقى زماناً حتى تزول منه تلك الرائحة [السهوكة] الكريهة ، ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكاً ، وسبيل ذلك سبيل الثمار إذا أبيت عن الأشجار وقطعت قبل استحكام نضجها في شجرها واستحكام موادها فيه ، وخير المسك ما نضج في وعائه ، وأدرك في سرتة ، واستحکم في حيوانه ، وتمام مواده ، وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى السرة ، فإذا استحکم كون الدم فيها ونضج آذاه ذلك وحكاه فيفرغ حينئذ إلى أحد الصخور والأحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذاً بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الأحجار كأنفجار الخراج والدمل إذا نصح مافيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة ، فإذا فرغ مافي ناخفته اندمل حينئذ ، ثم اندفعت إليه مواد من الدم ، ويجمع ثانية ككونها بدءاً ، فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الأحجار والجبال ، فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والأحجار ، وقد أحكته المواد ، وأنضجته الطبيعة في حيوانه ، وجففته الشمس ، وأثر فيه الهواء ، فيأخذونه ، فذلك أفضل المسك ، فيودعون نواجذ معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم ؛ فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ، ويحمله التجار في النادر من بلادهم ، والتبت ذو مدن كثيرة ، فيضاف مسك كل ناحية إليها .

قال المسعودي : وقد أقرت ملوك الصين والترك والهند والزمج وسائر ملوك

(١) في « خام لم ينضج » .

العالم ملك بابل بالتعظيم، وأنه أول ملوك العالم، وأن منزلته فيهم كمنزلة القمر في الكواكب؛ لأن إقامته أشرف الأقاليم، ولأنه أكثر الملوك مالا، وأحسنهم طبعاً، وأكثرهم سياسة، وأثبتهم قدماً، وهذا وصف ملوك هذا الإقليم فيما مضى، لا في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وكانوا ياقبون هذا الملك شاهنشاه، وتفسيره ملك الملوك، ومنزلته في العالم منزلة القاب من جسد الإنسان والواسطة من القلادة، ثم يتلوه ملك الهند، وهو ملك الحكمة، وملك الفيئة؛ لأن عند الملوك الأَكاسرة أن الحكمة من الهند بدوها، ثم يتلوه في المرتبة ملك الصين، وهو ملك الرعاية والسياسة وإتقان الصنعة، وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتقدماً من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه، وهو ذو بأس شديد، وقوة ومَنعة، له من الجنود المستعدة، والكراع والسلاح، ويرزق جنده كفضل ملوك بابل، ثم يتلو ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوشان، وهو ملك الطغزغز^(١) من الترك، ويدعى ملك السباع وملك الخيل؛ إذ ليس في ملوك العالم أشد بأساً من رجاله، ولا أشد استئساداً منه على سفك الدماء، ولا أكثر خيلاً منه، ومملكته فرز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان، ويدعى بالاسم الأعم أيرخان^(٢)، وللترك ملوك كثيرة، وأجناس مختلفة، ولا تنقاد إلى مملكته، إلا أنه ليس منهم من يداني مملكته، ثم يتلوه ملك الروم، ويدعى ملك الرجال، وليس في ملوك العالم أصبح [وجوهاً] من رجاله؛ ثم إن ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى، وقد قال ذو عناية بأخبار العالم وملوكهم في شعر له يصف جملاً من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم:

الدار داران: إيوان، وغمدان، والملك مُلْكَان: ساسان، وقحطان
والأرض فارس، والإقليم بابل، والإسلام مكة، والدنيا خراسان

(١) في ب هنا وفيما تقدم « الطغزغز ». (٢) في ب « أبرجان » محرفاً

والجانبان العليان اللذان حسنا
 والبيلقان وطبرستان فارزها
 منها بخارى وبلخ الشاهدا ران
 والري شروانها، والجيل جيلان^(١)
 قد رتب الناس فيها في مراتبهم
 فرزبان ، وبطريق ، وطرخان
 حبش النجاشي ، والأتراك خافان
 للفرس كسرى وللروم القياصروا

وصاحب صقلية وإفريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الإسلام كان يدعى
 جرجير^(٢) وصاحب الأندلس [كان] يدعى لذريق ، وهذا كان اسم [سائر]
 ملوك الأندلس ، وقد قيل : إنهم كانوا من الأشبان ، وهم أمة من ولد يافت بن
 نوح ، دثرت^(٣) هنالك ، والأشهر عندهم سكن الأندلس من المسلمين أن لذريق
 كان من [ملوك الأندلس] الجلائقة ، وهم نوع من الإفرنجية ، وآخر لذريق
 الذي كان بالأندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الأندلس

ودخل إلى مدينة طليطلة [وكانت قسبة الأندلس ، و] دار مملكتهم ، ويشقها مدينة طليطلة
 نهر عظيم يدعى تاجة يخرج من بلاد الجلائقة والوشكند^(٤) ، وهي أمة عظيمة
 لهم ملوك ، وهم حرب لأهل الأندلس كالجلائقة والإفرنجية ، ويصب هذا النهر
 في البحر الرومي ، وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة
 مدينة طليطلة ، ثم قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة ، وهي من
 البنيان المذكور الموصوف [وإنها] أعجب [عقوداً] من قنطرة سنجة من الثغر
 الخزري^(٥) مما يلي سمياط من بلاد سرجة ، ومدينة طليطلة ذات منعة عليها
 أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على
 الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتعة ، لاسبيل للأمويين إليها ، فلما كان بعد
 الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
 ابن [الحكم بن] هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

(١) سقط هذا البيت من أ .

(٢) في ب « واتصلت هنالك » .

(٣) في أ « يدعى جرجس » .

(٤) في أ « من الثغر المضري » .

(٥) في ب « والوسكيد » .

ابن الحكم [الأموي] وعبدالرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، وقد كان غير كثير أمن بنيان هذه المدينة حين افتتحها، وصارت دار مملكة الأندلس قرطبة إلى هذا الوقت، ومن قرطبة إلى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل، ومن قرطبة إلى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام، ولهم على يوم من ساحل البحر مدينة يقال لها إشبيلية، ويلاذ الأندلس يكون مسيرة عمارها ومدنها نحواً من شهرين، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة، وتدعى بنو أمية بها بنى الخلائف، ولا يخاطبون بالخلفاء؛ لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين، غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين.

وقد كان عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر، ثم هلك، فملكها ابنه هشام بن عبدالرحمن سبع سنين، ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة، وولده ولاتها إلى اليوم على ما ذكرنا أن صاحبها عبدالرحمن بن محمد، وولي عهد عبدالرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم أحسن الناس سيرة، وأجملهم عدلاً، وقد كان عبدالرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزاه سنة سبع وعشرين وثلثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس، فنزل على دار مملكة الجلالقة، وهي مدينة يقال لها سمورة، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة، بين الأسوار فصالان وخنادق ومياه واسعة، فافتتح منها سورين، ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم — ممن أدرك الإحصاء — ومن عرف — أربعين ألفاً، وقيل: خمسين ألفاً، وكانت للجلالقة والوشكند على المسامين، وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وتغورها مما يلي الإفرنجية مدينة أربونة، خرجت من أيدي المسلمين سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون، وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — من شرقي الأندلس

بنو أمية
بالأندلس

طرطوشة ، وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذاً في الشمال أفرغة على نهر عظيم ، ثم لاردة ، ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقى الإفرنجية ، وهي أضيق مواضع الأندلس ، وقد كان قبل الثلاثمائة ورد إلى الأندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، زعم أهل الأندلس أنهم ناس من المجوس تطراً إليهم^(١) في هذا البحر في كل مائتين من السنين ، وأن وصولهم إلى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس ، وأرى - والله أعلم - أن هذا الخليج متصل ببحر مايطس ونيطس^(٢) وأن هذه الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب ؛ إذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم ، وقد أصيب في البحر الرومي فيما بين جزيرة أقریطش ألواح المراكب الساج المثقبة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الأمواج في مياه البحار ، وهذا لا يكون إلا في البحر الحبشي ؛ لأن مراكب البحر الرومي والعرب كلها ذوات مسامير ، ومراكب البحر الحبشي لا يثبت فيها الحديد ؛ لأن ماء البحر يذيب الحديد فترق المسامير في البحر وتضعف ، فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها ، وطابت بالشحوم والنورة ، فهذا يدل - والله أعلم - على اتصال البحار ، وأن البحر مما يلي الصين وبلاد السلي يدور على بلاد الترك ، ويُفَضَى إلى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط .

وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر ، وهذا من المستنكر في البحر الرومي الذي لم يعهد فيه من قديم الزمان مثل ذلك ، ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر إلى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من ألواح مراكب البحر الصيني ، والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه .

(١) في « تظهر إليهم » . (٢) في ب « ما نطش ونيطش » .

وابحجر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب
أخبار عجيبه .

بلاد الحبشة
والسودان

وقد ذكر دوو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها
مسيرة سبع سنين ، وأن أرض مصر جزء واحد من ستين جزءاً من أرض
السودان ، وأن أرض السودان جزء واحد من الأرض كلها ، وأن الأرض
كلها مسيرة خمسمائة سنة : ثلث عمران مكون مأهول ، وثلث براري غير
مكون ، وثلث بحار ، وتتصل أقاصي السودان العراة بأخر بلاد ولد
إدريس [بن إدريس] بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب
عليهم السلام من أرض المغرب ، وهي بلاد تلسان وتاهرت وبلاد فاس ،
ثم السوس الأدنى ، وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل
وثلاثمائة ميل ، وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى من المسافة نحو من
عشرين يوماً عمائر متصلة إلى أن تتصل بوادي الرمل والقصر الأسود ،
ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب
الرصاص التي سار إليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها
ما رأى من العجائب ، وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس ، وقد قيل :
إن ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الأندلس ، وهي الأرض الكبيرة ، وقد
كان ميمون بن [عبد الوهاب بن] عبد الرحمن بن رستم الفارسي — وهو
إباضي المذهب ، وهو الذي أنشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج ، وقد قيل :
إنهم من بقايا الأشبان — عمر تلك الديار ، وكانت له حروب مع الطالبين ،
وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الأشبان ، ومن قال :
إنهم من الفرس ناقلة من بلاد أصبهان .

بلاد المغرب

وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصُّفْرِيَّة الخوارج ، لهم مدن ممدودة
مثل مدينة ثرغية^(١) ، وفيها معدن كبير من الفضة ، وهو مما يلي الجنوب ويتصل
ببلاد الحبشة ، والحرب بينهم سجال ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان »

(١) في ب « بدعية »

خبر المغرب ومدنها ، ومن سكنها من الخوارج الإباضية والصفورية ، ومن سكن المغرب من المعتزلة ، وما بينهم وبين الخوارج من الحروب ، وذكرنا خبر [ابن] الأغلب التميمي وتولية المنصور له على المغرب ، ومقامه ببلاد إفريقية [وغيرها من أرض المغرب] وما كان من أمره في أيام الرشيد ، وتداول ولده ببلاد إفريقية وغيرها إلى أن انتهى الأمر إلى أبي نصر^(١) زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد [بن محمد]^(٢) بن الأغلب بن إبراهيم بن محمد بن الأغلب [بن إبراهيم] بن سالم بن سواده ، فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهديّة حين ظهر في كتامة وغيرها من أجيال البربر^(٣) ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ، ومسيره إلى الرافقة ، وكان هذا المحتسب من مدينة رامهرمز من كور الأهواز .

ونعود إلى ذكر مراتب الملوك ونسّق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصفه ومَن عليه ، فنقول :

ملك الزنج وفليسي^(٤) ، ملك اللان كركنداج^(٥) ، ملك الحيرة من بنى ملوك العالم نصر النعمانية والناذرة ، ملك جبال طبرستان كان يدعى « قارن » والجبل معروف به وبولده فى هذا الوقت ، ملك الهند البهرا ، ملك القنوج من ملوك السند بؤورة^(٦) [وهذا اسم كل ملك بلى القنوج ، وهنا مدينة يقال لها بؤورة] باسم ملوكهم ، وقد صارت اليوم فى حيز الإسلام ، وهى من أعمال المولتان ، ومن هذه المدينة يخرج أحد الأنهار التى إذا اجتمعت كانت نهر « مهران السند » الذى زعم الجاحظ أنه من النيل ، وزعم غيره أنه من جيحون خراسان ، وبؤورة^(٦) هذا الذى هو ملك القنوج هو ضد البهرا ملك الهند ، وملك القندهار من ملوك السند وجبالها ، يدعى حجج ، وهو اسمه الأعم ، ومن بلاده يخرج النهر المعروف « براند » وهو أحد الأنهار الخمسة التى منها

(١) فى ب « أبى منصور » .

(٢) لا يوجد هذا الاسم فى ا .

(٣) فى ا « أحياء البربر » .

(٤) فى ب « وقلبان » .

(٥) فى ب كركبداخ » .

(٦) فى ب « فرورة » .

مهران السند والقندهار يعرف ببلاد الرهبوط ، ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف «ببهاطل» ويختار بلاد الرهبوط وهي بلاد القندهار، والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم السند مما يلي بسط وغزنين وزرعون والرخج وبلاد الدوار^(١) مما يلي بلاد سجستان ، ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير ، وملك قشمير يعرف بالرائي ، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وقشمير هذه من ممالك السند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها على مدن وضياع على نحو من ستين ألفاً إلى سبعين ألفاً ، لا سبيل لأحد من الناس على بلده إلا من وجه واحد ، ويُفلق على جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد ؛ لأن ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتساقوا عليها ، ولا للوحش أن يلحق بعلوها ، ولا يلحقها إلا الطير ، وما لا جبل فيه فأودية وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الأنصاب والجريان ، وما ذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد ، وذلك أحد عجائب الدنيا .

القنوج

فأما ملك بؤورة - وهو ملك القنوج - فإن مسافة مملكته تكون نحواً من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سنديّة الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل ، وهو الملك الذي قدمنا ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهابّ الرياح الأربع ، كل جيش منها سبعمائة ألف ، وقيل : تسعمائة ألف [وقيل : تسعة آلاف ألف] فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين ، ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكير ، وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك ، ويقال : إن ملكه يحيط في مقدار ما ذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الإحصاء والعدّد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر وجبال ومروج ، وهو قليل الفيلة من بين الملوك ، ورسمه لحربه ألفا فيل حربية تقاتل ، وذلك أن الفيل

(١) في «وتخوم الهند مما يلي بلاد بسط وعرس ونفس والرخج وبلاد الدوار» .

إذا كان فارهاً ممارساً شجاعاً وكان راجه فارساً وفي خرطوم القرطل - وهو نوع من السيوف - وخرطوم مغشى بالزرد والحديد ، وعليه تحافيف^(١) قد أحاطت [سائر جسده^(٢)] من القرن والحديد^(٣) ، وكان حوله خمسمائة راجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه ، حارب ستة آلاف فارس ، وقام بها ، وأدناها إذا كان معه خمسمائة راجل ، كر على خمسة آلاف فارس ، ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس ، وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها .

فأما صاحب المولتان فقد قلنا : إن الملك في ولد سامة بن لوى بن غالب ، المولتان وهو ذو جيوش ومنعة ، وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار ، وحول ثغر المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الإحصاء والعد ، وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان ، يقصده الهند من أقاصي بلادهم بالندور والأموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ، ويحج إليه الألوف من الناس ، وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل إلى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه مائة دينار^(٤) ، وإذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع ، وغير ذلك من العجائب التي تحمل إليه ، وإذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره ، فترحل الجيوش عنهم عند ذلك ، وكان دخولي إلى بلاد المولتان بعد الثلاثمائة ، والملك بها أبو اللهب^(٥) المنبه بن أسد القرشي .

وكذلك كان دخولي إلى بلاد المنصورة في هذا الوقت ، والملك عايبها أبو المنذر عمر بن عبد الله ، ورأيت بها وزيره رباحا^(٦) وابنيه محمداً وعلياً ، ورأيت بها رجلاً سيداً من العرب ومملوكاً من ملوكهم وهو المعروف بحمزة ، وبها خلق من ولد علي

(١) في ب « تحافيف » .
 (٢) لا توجد هذه الكلمة في ١ .
 (٣) في ب « من الفرق والحديد » .
 (٤) في ٤ « يبلغ منه المئتين دينار » .
 (٥) في ب « أبو الدهات » .
 (٦) في ب « زيادا » .

ابن أبي طالب رضى الله عنه، ثم من ولد عمر بن علي وولد محمد بن علي، وبين ملوك المنصورة وآل أبي الشوارب القاضي قرابة وصلة ونسب، وذلك أن ملوك المنصورة الذين فيهم الملك في وقتنا هذا من ولده هبار بن الأسود، ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي، وليس هو عمر بن عبد العزيز [بن مروان] الأموي. فإذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الأنهار ببلاد مرج^(١) بيت الذهب - وهو المولتان - اجتمعت بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات، فإذا انتهى جميع ذلك إلى مدينة الروذ^(٢) من غربها، وهي من أعمال المنصورة، سُميَ هنالك مهران، ثم ينقسم قسمين، ويصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند في مدينة شاكرة من أعمال المنصورة في البحر الهندي، وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل. والمسافة من المولتان إلى المنصورة خمسة وسبعون فرسخاً سندياً على ما ذكرنا، والفرسخ ثمانية أميال، وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف إليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة، وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم الميد^(٣)، وهم نوع من السند وغيرهم من الأجناس، وهم ثغر السند، وكذلك المولتان من ثغور السند ومما أضيف إليها من العمائر والمدن. وسميت المنصورة باسم منصور بن جهور عامل بنى أمية، وملك المنصورة فيلة حربية، وهي ثمانون فيلاً رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وأنه يحارب ألقاً من الخيل على ما ذكرنا، ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند كما عايناه من البأس والنجدة والإقدام على فلّ الجيوش، وكان اسم أحدهما «منفرقلس»^(٤) والآخر «حيدرة» ومنفرقلس هذا أخبار عجيبة، وأفعال حسنة، وهي مشهورة في تلك البلاد وغيرها: منها

(١) في «بلاد فوج بيت الذهب» . (٢) في «الروذ» .

(٣) في ب «السند» . (٤) في ب «منفرقلس» .

أنه مات بعض سُوءَاسِه، فكث أيا ما لا يطعم وَلَا يشرب، يُبْدِي الحنين، وَيظهر
الأنين، كالرجل الحزين، وَدموعه تجرى من عينيه لا تنقطع، ومنها أنه خرج
ذات يوم من حائرِه، وهي دار الفيلة، وَحيدرة وراه، وَباقى الثمانين تبع لها،
فانتهى منفرداً في سيرة إلى شارع قابل العرض من شوارع المنصورة، فهاجأ في
مسيره امرأة على حين غفلة منها، فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها
من الجزع، وانكشفت عنها أطرافها في وسط الطريق، فلما رأى ذلك
منفرداً وَقَف بعرض الشارع مستقبلاً بخنجه الأيمن ما وراءه من الفيلة مانعاً
لهم من النفوذ من أجل المرأة، وأقبل يشير إليها بخرطومه بالقيام، ويجمع عليها
أثوابها، ويستتر منها ما بدا، إلى أن انتقلت^(١) المرأة وتزحزحت عن الطريق
بعد أن عاد إليها روحها، فاستقام الفيل في طريقه، واتبعه الفيلة.

وَالفيلة أخبار عجيبة الحربية منها وَالعمالة؛ لأن منها ما لا يحارب فيجر
العَجَلَ وتحمل عليه الأثقال ويستعمل في دِيَّاس الأرز وغيره من الأقوات
كدوس البقر في البِيدَر، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج
والفيلة، وكونها في بلادها، وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج،
وهي وحشية هنالك [كلها].

فهذه جمل من أخبار ملوك السند والهند، ولغة السند خلاف لغة الهند،
والسند مما يلي الإسلام، ثم الهند، ولغة أهل المانكبير—وهي دار ممكة الباهرا—
كبيرة^(٢) مضافة إلى الصقع، وهي كبيرة، ولغة ساحله مثل صيمور وسوبارة
وتانة^(٣) وغير ذلك من مدن الساحل لارية، وبلدهم مضافة إلى البحر الذي هم
عاليه، وهو لاروي، وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب، ولهذا الساحل

(١) في « استلقت المرأة وتزحزحت » .

(٢) في ب « أكثرها، مضافة إلى الصقع، وهي كبيرة » وفي « وهي كرة »

(٣) في ب « وسومارة وماية » .

أنهار عظيمة تجري من الجنوب ، بالضد من أنهار العالم ، وليس في أنهار العالم ما يجري من الجنوب إلى الشمال إلا نيل مصر ومهران السند ويسير من الأنهار ، وما عدا ذلك من أنهار العالم يجري من الشمال إلى الجنوب ، وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا « أخبار الزمان » وقد ذكرنا ما انخفض من الأرض^(١) وما ارتفع .

وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في ما-كه إلا الباهرا ، فالإسلام في ما-كه عزيز مضمون ، ولهم مساجد مبنية ، وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ، ويملك الملك منهم الأربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا ، وأهل مملكته يزعمون أنه إنما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المساهين ، وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم ، وله دراهم طاهرية^(٢) وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف ، سكتته بدء تاريخ ملكهم ، وفيلته الحربية لا تحصى كثرة ، وتدعى بلاده أيضا بلاد الكمكر^(٣) ، ويحاربهم ملك الخزر من إحدى جهات مملكته ، وهو ملك كثير الخيول والإبل والجنود ؛ وي زعم أنه ليس في ملوك العالم أجل منه إلا صاحب إقليم بابل ، وهو الإقليم الرابع ، وذلك أن هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك ، وهو مع ذلك مبيض للمسلمين ، وهو كثير الفيعة ، وما-كه على لسان من الأرض ، وفي أرضه معادن الذهب والفضة ، ومبايعتهم بهما . ثم يلي هذا الملك ملك الطافن^(٤) موادع لمن حوله من الملوك ، وهو مكرم للمسلمين ، وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من ملوك ، وليس في نساء الهند أحسن من نساءهم ، ولا أكثر منهن جمالا وبياضا ، وهن موصوفات الخلوات ، مذكورات في كتب الباه ، وأهل البحر يتنافسون في شراءهن يعرفن بالطافنيات . ثم يلي هذا الملك مملكة رهمي ، وهذه سمة للوكهم ، وهو الأعم من أسماءهم ،

رهمي

(٢) في ب « ظا طرية » .

(٤) في ب « الطافي » .

(١) في ب « من الأنهار » .

(٣) في ب « الكنكر » .

ويقاتله الجزر^(١) ، وملكه متاخم للمكهم ، ورهى يحارب البلهر أيضاً من إحدى جهات مملكته، وهو أكثر جيوشاً وفيلة وخيولاً من البلهر أو من ملك الجزر^(١) ومن ملك الطافن، وإذا خرج في حروبه فرسه أن يكون في خمسين ألف فيل ، ولا يكون حربه إلا في الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها ، والمكث من الناس يفلو في القول في كثرة جنوده، فيزعمون أن عدد القصارين والفسالين في عكره من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفاً، وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس ، كلُّ كرددوس عشرون ألفاً ، أربعة أوجه كل وجه من الكرددوس خمسة آلاف ، ومملكة رهى تعاملهم بالودع، وهو مال البلد، وفي بلده العود والذهب والفضة والثياب التي ليست لغير ورقة ودقة، ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالضر الذي تتخذ منه المذابُّ بنصبِ العاج والفضة يقوم بها الخدم على رؤس الملوك في مجالسها ، وفي بلده الحيوان المعروف بالنشان^(٢) المعلم، وهو الذي تسميه العوام الكركدن، وله في مقدم جبهته قرن واحد، وهو دون الفيل في الخلق وأكبر من الجاموس ، إلى السواد ما هو ، وهو يجترُّ كما تجترُّ البقر وغيرها مما يجترُّ من الحيوان، والفيلة تهرب منه ، وليس في أنواع الحيوان - والله أعلم - أشد منه ، وذلك أن أكثر عظامه أصم ، ولا مفصل في قوائمه ولا يبرك في نيام، وإنما يكون بين الشجر والآجام يستند إليها عند نومه، والهند تأكل لحمه ، وكذلك من في بلادهم من المسلمين؛ لأنه نوع من البقر، والجواميس بأرض السند والهند كثيرة، وهذا النوع من الحيوان وهو النشان^(٢) يكون في أكثر غابات الهند ، إلا أنه في مملكة رهى أكثر، وقرونه أصفى وأحسن، وذلك أن قرنه أبيض ، وفي وسطه صورة سوداء في ذلك البياض إما صورة إنسان أو صورة طاووس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورتها في نفسه أو صورة نوع

وصف
الكركدن

(١) في ب ه ويقاتلهم ملك الجزر ه .

(٢) في ب ه بالنشان ه .

من الحيوان مما يوجد في تلك الديار، فينشر هذا القرن^(١) وتتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحاية من الذهب والفضة فتأبسهاملوك الصين، وخواصها تتنافس في لبسها وتبالغ في أثمانها فتبلغ المنطقة ألفي دينار إلى أربعة آلاف، فيها معاليق الذهب، وذلك في نهاية الحسن والإتقان، وربما تقمع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب، ووجوه تلك الصور مكتّبة بسواد في بياض، وربما يوجد في قرونه بياض في سواد، وليس في كل بلد يوجد في قرون النشان ما ذكرنا من الصور. وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين، وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها، وهذا القول أورده في كتاب «الحيوان»^(٢) على طريق الحكاية والتعجب، فبعثني هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار^(٣) من أهل سيراف و عمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار، فكل يتعجب من قوله إذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه، ويخبرونني أن حملها وفصاله كالبقرة والجواميس، ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ: أمن كتاب نقلها أو مخبر أخبره بها؟.

ولرهمي في ملكه بروبحر، ويلي ملكه ملك [لابجر له] يقال له ملك الكامن^(٤)، وأهل مملكته بيض مخرمو الآذان، لهم فيلة وإبل وخيول، وحسن وجمال للرجال والنساء، ثم بعد هؤلاء، ملك الإفرنج، وله بروبحر، وهو على لسان من البر في البحر، يقع إلى بلده عنبر كثير، وفي بلده فلفل يسير، وهو ذو فيلة كثيرة، وهو ذو بأس بين الملوك وزهو ونخر، وزهوه أكثر من قوته، ونخره أكثر من بأسه، ثم يلي هذا الملك ملك الموجه أهله بيض ذوو حسن وجمال غير مخرمو الآذان، لهم خيل كثيرة، وعدد منيعة، والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلائهم ووصف طبائهم فيما سلف من

الكامن

(١) في ١ «فيشترى هذا القرن» . (٢) في ب «حياة الحيوان»

(٣) في ١ «تولج تلك الديار» . (٤) في ب «الكاسين» .

هذا الكتاب ، وهذه الأمة أشبه بأهل الصين في لباسهم ، وجبالهم^(١) منيعة شواحق بيض ، لا يُعَلَمُ بأرض السند والهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جبال أطول منها ولا أمتع ، ومسكهم موصوف مضاف إلى بلدهم يتعارفه البحر يون ، ممن عنى بحمل ذلك وتجهيزه ، وهو المسك المعروف بالموجهى ، ثم بلى ملك الموجه مملكة الماند^(٢) ، ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة ، وملوكهم تستعمل [الخدم و] الخصيان فى عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الأموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم ، والماند^(٣) مجاورون لمملكة الصين ، والرسل تختلف بينهم بالهدايا ، وبينهم جبال منيعة وعتبات صعبة ، والماند^(٤) البأس العظيم والبطش الشديد والقوة ، وإذا دخل رسال ملك الماند^(٥) مملكة الصين وَكَلَّ ملك الصين بهم ، ولم يتركهم ينتشرون فى بلادهم خوفاً أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم^(٦) ، لكبرة الماند^(٧) فى نفوسهم .

الماند

بعض عوائد الهند والصين

ولن ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الأمم أخلاق وشيم فى المآكل والمشرب والمناكح والملابس والعلاج والأدوية والسكى بالنار وغيره ، وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لأنه داء يؤذى^(٨) ، ولا يخذشون فى إظهارها فى سائر أحوالهم ، وكذلك فعل حكماؤهم ، ورأيهم أن حبسها داء يؤذى ، وأن إرسالها شفاء ينجى ، وأن فى ذلك العلاج الأكبر ، وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور ، وأن فيه داء للسقيم المطحول ، ولا يخذشون من الضرطة ، ولا يحصرون الفسوة ، ولا يرون ذلك عيباً ، وللهند التقدم فى صناعة الطب ، ولهم فيه اللطافة والحدق ، وذكر هذا الخبر عن الهند

(١) فى الأصول و بلادهم و السياق يوجب ما ذكرنا .

(٢) فى ب ه المابد ه . (٣) فى ا ه وعوائد بلادهم ه .

(٤) فى ب ه لكبر المعابد ه . (٥) فى ا ه لأنه داء يردى ه .

أن السعال عندهم أقبح من الضراط ، وأن الجشاء في وزن الفساء، وأن صوت
الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها ، واستشهد هذا المخبر على صحة ما حكاه
عن الهند باستفاضة القول في ذلك في كثير من الناس عنهم ، حتى ذكر ذلك
عنهم في السير والأخبار والنوادر والأشعار ؛ فمن ذلك ما ذكر [أبان بن
عبد الحميد في الأرجوزة المعروفة بذات الحلال ، وهي :

قد قال ذو العلم النصيح الهندي	مقالة أجاد فيها عندي
لا تحبس الضرطة إماماً حضرت	وخلها وافتح لها ما استفتحت
فإن أدوا الداء في إمساكها	والرّوح والراحة في إفكاكها
والقبح في السعال والمخاط	والشؤم في العطاس لا الضراط
أما الجشاء ففساء صاعد	وتنته على الفساء زائد

وأن الريح واحدة في الجوف ، وإنما تختلف أسماؤها باختلاف مخرجها،
فما يذهب صعداً يسمى جشاء ، وما يذهب سفلاً يسمى فساء ، ولا فرق بين
الريحين إلا باختلاف المخرجين ، كما يقال الصنعة واللطمة ، إلا أن اللطمة
في الوجه والصنعة في مؤخر الرأس والقفا ، والجنس واحد، وإنما اختلفت أسماؤها
لاختلاف الموضعين وتباين المكانين ، وأن الحيوان الناطق إنما كثرت عليه،
وترادفت أدواؤه، واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض
بحبس الداء في جوفه وترك إظهاره في حال هيجانه وتفرغ طبيعه لدفعه وإخراجه،
وأن سائر الحيوان غير الناطق إنما بعد عما ذكرنا من الآفات والمعرضات من
العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويشور من الأدواء في أجوافها وعدم احتباسها في
وعائها، وأن الفلاسفة والمتقدمين من الحكماء اليونانيين كديموقريطس وفيثاغورس
وسقراط وديوجانس^(١) وغيرهم من حكماء الأمم لم يكونوا يرون حبس شئ من

(١) في ب «وروحانس» محرفاً

ذلك ؛ لعلمهم بما يتولد من آفاته ، ويؤول إليه من متعقباته ، وأن ذلك يجده في نفسه كل ذى حس ، وأن ذلك يعلم بالطبيعة ، ويدرك بضرورة العقل ، وإنما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع والكتب لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ، ولم يجر ذلك في عاداتهم .

قال المسعودى : وقد أتينا على أخبارهم وما أحكمنا من ذكر شيمهم ومعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والأفاويه مع سائر ملوك الهند ومع القنجب وغيره من ملوك الجبال مما قابل هذه الجزائر كالزابع^(١) وغيرها من بلاد الصين ، وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندورفين^(٢) ، وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الزابع^(١) وغيرها ، وكل ملك تملك بلاد مندورفين^(٢) يسمى القايدى^(٣) ، وسنأتى بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة^(٤) فيما يرد من هذا الكتاب [و] من أخبار ملوك اليمن^(٥) والفرس [والروم]^(٦) واليونانيين والمغرب وأنواع الأحابيش والسودان وملوك [الصين]^(٧) ولد يافث ، وغير ذلك من أخبار العالم ومعجائب الأمم^(٨) .

(١) في ب « الزابع »

(٢) في ب « مندرى »

(٣) في ب « القايدى »

(٤) في ا « والجدى » محرفا

(٥) هكذا تكررت كلمة اليمن في ا ، ب جميعا .

(٦) لا توجد هذه الكلمة في ب . (٧) هذه الكلمة ساقطة من ا

(٨) في ا « ومعجائبه »

ذكر جبل القبيخ^(١) وأخبار الأمم

من اللان [والسريير^(٢) والخزر^(٣)] وأنواع الترك [والبرغز^(٤)] وغيرهم
وأخبار الباب والأبواب ومن حولهم من [الملوكة و] الأمم^(٥)
أما جبل القبيخ^(١) فهو جبل عظيم ، وصقعه صقع جايل ، قد اشتمل على كثير
من الممالك والأمم ، وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة ، كل أمة لها ملك ولسان
بمخلاف لغة غيرها ، وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ، ومدينة الباب والأبواب على
شعب من شعابه ، بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين [بحر] الخزر ،
وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه ماداً إلى البحر ، ثم على
جبل القبيخ^(١) ماداً في أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحواً من أربعين فرسخاً ، إلى أن
ينتهي ذلك إلى قاعة يقال لها طبرستان ، وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا
السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله باباً من حديد ،
وأسكن فيه على كل باب من داخله أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور ، كل
ذلك ليدفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان [وأنواع الترك^(٦)]
والسريير وغيرهم من أنواع الكفار ، وجبل القبيخ^(١) يكون في المسافة علواً وطولاً
وعرضاً نحواً من شهرين ، بل وأكثر ، وحوله أمة لا يحصيهم إلا الخالق عز وجل ،
أحد شعابه على بحر الخزر مما يلي الباب والأبواب على ما ذكرنا ، ومن شعابه مما يلي
بحر مايطس المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكلام الذي ينتهي إليه خليج
القسطنطينية ، وعلى بحر طرابزنده ، وهي مدينة على شاطئ هذا البحر
لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن
وغيرهم من بلاد كاشك^(٧) واما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والأبواب
والسور في البر والبحر والجبل أسكن هناك أمماً من الناس وملوكاً ، وجعل لهم
مراتب [رتبهم عليها]^(٨) ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة ، وحدد له حداً [معلوماً]^(٩)

جبل القبيخ

(٢) زيادة في ب وحدها

(٤) في ب « كسكر »

(١) في ب « الفتح »

(٣) زيادة في او وحدها

على حسب فعل أردشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان ؛ فمن رتب [منهم] أنوشروان من الملوك في بعض هذه البتاع والمواضع مما يلي الإسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ، ومما كتبه مضافة إلى اسمه فيقال له شروان شاه ، وكل ملك يلي هذا الصقع يقال له شروان ، وتكون مملكته في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة — نحواً [من] شهر ؛ لأنه كان تغاب على مواضع لم يكن رسمها له أنوشروان فانضفت إلى ملكه ، والملك في هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد ، وهو من ولد بهرام جور ، لاخلاف في نسبه ، وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور ، وكذلك صاحب خراسان في هذا الوقت المؤرخ من ولد إسماعيل بن أحمد ، وإسماعيل من ولد بهرام جور ، لاخلاف فيما ذكرنا من شهرة أنساب من ذكرنا ، وقد تملك محمد [بن يزيد] هذا وهو شروان على مدينة الباب والأبواب ، وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك بن هشام^(١) ، وكان رجلاً من الأنصار ، وكان فيه إمرة الباب والأبواب ، وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الإسلام في صدر الزمان.

الإيران

وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبيخ يقال لها الإيران ، وملكها يدعى الإيران شاه ، وقد غلب على هذه المملكة في هذا الوقت شروان أيضاً ، وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموقانية ، والمعول في مملكته على مملكة الالكز ، وهي أمة لا تحصى كثرة ساكنة في أعالي هذا الجبل ، ومنهم كفار لا ينقادون إلى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون إلى ملك^(٢) ، ولهم أخبار طريفة في المناكح والمعاملات ، وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج ، وفيه أم لا يعرف بعضهم بعضاً لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه في الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره وأحجاره ، وغلب هذا الرجل المعروف بشروان

(١) في « عبد الله بن هشام » هنا ، وتفوق النسختان فيما يلي على « عبد الملك »

(٢) في ب « لا يرجعون إلى قبلة » .

على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رَسْمها كسرى أنوشروان لغيره ممن رتب هناك ، فأضافها محمد بن يزيد إلى ملكه : منها خراسان شاه وزادان شاه ، وسندكر بعد هذا الموضع تغابه على مملكة شروان ، وقد كان قبل ذلك على الإيران هو وأبوه من قبل ، ثم على سائر الممالك .

وتلى مملكة شروان في جبل القبخ مملكة طبرستان ، ومملكها في هذا الوقت مسلم ، وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب [والأبواب] ، وهي أول الأمم المتصلة بالباب والأبواب .

وبيادى أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها جيدان^(١) ، وهذه الأمة

داخلة في جملة ملوك الخزر ، وقد كانت دار مملكته مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر ، وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر ، وذلك أنها

افتتحت في بدء الزمان ، افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلي رضى الله تعالى عنه ، فانتقل الملك عنها إلى مدينة أمل ، وبينها وبين الأولى سبعة أيام ، وآمل التي

يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز^(٢) وتصب في بحر مايطس ،

وهذه المدينة جانبان ، وفي وسط [هذا] النهر جزيرة فيها دار الملك ، وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة^(٣) ، وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن ،

وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية ؛ فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه ، وكان تهود ملك الخزر في خلافة هرون

الرشيد ، وقد انضاف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم ، وذلك أن ملك الروم [في وقتنا هذا] ، وهو سنة

اثنيتين وثلاثين وثلثمائة ، وهو أرمنوس^(٤) [نقل من كان في ملكه من

(١) في ب « جيدان » .

(٢) في ب « البلغر » .

(٣) في ا « في طرف هذه الجزيرة » .

(٤) وقعت هذه العبارة في ب متأخرة بعد كلمة « وأكرهم » مع شيء من

الاختلاف .

اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم ، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم ، وأعدادهم ، وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ ، قهارب خالق من اليهود من أرض الروم إلى أرضه على ما وصفنا ، وكان لليهود مع ملك الخزر^(١) خبر ليس هذا موضع ذكره . وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا . وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس : منهم الصقالبة ، والروس ، وهم في أحد جانبي هذه المدينة ، ويحرقون موتاهم ودواب ميتهم وآلاته والخلي ، وإذامات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة . وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإذامات [منهم] أعزب زوج بعد وفاته ، والنساء برغبين في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفاً ، إلا أن الهند ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها إلا أن ترى ذلك المرأة ، والغالب في هذا البلاد المسلمون ؛ لأنهم جند الملك ، وهم يعرفون في هذا البلاد بالارسية ، وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم ، وكان في قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع في بلادهم جذب^(٢) ووباء ، فانتقلوا إلى ملك الخزر ، وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه ، وأقاموا في بلاده على شروط بينهم ، أحدها إظهار الدين والمساجد والأذان ، وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم ، والوزير في وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه ، وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يجاربون أهل ملتهم ، ويجاربون معه سائر الناس من الكفار ، ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ومنهم راححة أيضاً على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح ، ولهم قضاة مسلمون ، ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمان بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم

عادة حرق
الموتى وسائر
حوادثهم

(١) في « وكان لليهود ملك الخزر - إلخ » . (٢) في « خرب ووباء »

النصرانية^(۱)، وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهي قضايا عقلية؛ فإذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام، وليس في ملوك الشرق في هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر، وكل مسلم من تلك الديار يعرف بأسماء هؤلاء القوم اللارسية، والروس والصقالبة الذين ذكرنا أنهم جاهلية هم جند الملك وعبيده، وفي بلاده خاق من المسلمين تجار و صناع غير اللارسية فروا إلى بلاده لعدله وأمنه، ولهم مسجد جامع، والمنارة تشرف على قصر الملك، ولهم مساجد أخرى فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن، فإذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة.

مراسم خاقان قال المسعودی : وليس إخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان، وذلك أن

للخزر ملكا يقال له خاقان، وورثه أن يكون في يدي ملك آخر هو وغيره^(۲)، فخاقان

في جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة وللعمامة، ولا الخروج من

مسكنه، معه حرمة، ولا يأمر ولا ينهى، ولا يدبر من أمر المملكة شيئا، ولا تستقيم

مملكة الخزر للملكهم إلا بخاقان يكون عنده في دار مملكته، ومعه في حيزه،

فإذا أجدبت أرض الخزر أو نابت بلدهم نائبة، أو توجهت عليهم حرب لغيرهم

من الأمم، أو فاجأهم أمر من الأمور، نفرت الخاصة والعمامة إلى ملك الخزر،

فقالوا له: قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه، وقد تشاء منابه، فاقتله أو سلمه إلينا نقتله،

فربما سلمه إليهم فقتلوه، وربما تولّى هو قتله، وربما رقى له فدافع عنه؛ لأن قتله

بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه [هذا رسم الخزر في هذا الوقت]^(۳) فليست

أدرى : أفي قديم الزمان كان ذلك أم حدث، وإنما منصب خاقان هذا من

أهل بيت بأعيانهم^(۴) أرى أن الملك كان فيهم قديما، والله أعلم.

(۱) في ۱ « بحكم الإنجيل » . (۲) في ۱ « وورثه أن يكون في يدي ملك غيرهم » .

(۳) زيادة في ب .

(۴) في ب « وإنما يندب نفاقان هذا لأهل بيت وأعيانهم » .

وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار في نهر فوق المدينة يصب إلى نهرها نهر برطاس من أعاليها، يقال له برطاس، عليه أمم من الترك حاضرة داخلية في جملة ممالك الخزر، وعمائرهم متصلة بين مملكة الخزر والبرغز^(١)، يرد هذا النهر من نحو بلاد البرغز، والسمن تختلف فيه من البرغز والخزر.

وبرطاس أمة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم، ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود، والحمر التي تعرف بالبرطاسية، يبلغ الجلد منها مائة دينار، وأكثر من ذلك، وذلك من السود، والحمر أخفض ثمنها، وتابس السود منها ملوك العرب والعجم، وتنافس في لبسه، وهو أغلى عندهم من السمور والفنك^(٢) وما شاكل ذلك، وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف [والدواويج^(٣)] ويتعذر في الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود. وفي أعالي نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر نيطس^(٤)، وهو بحر «الروس» لا يسلكه غيرهم، وهم على ساحل من سواحلها، وهي أمة عظيمة [جاهلية] لا تنقاد إلى ملك ولا إلى شريعة، وفيهم تجار مختلفون إلى ملك البرغز^(٥) وللروس في أرضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذي يجبل بنجهر^(٦) من أرض خراسان.

ومدينة البرغز على ساحل بحر مايطس، وأرى أنهم في الإقليم السابع، وهم نوع من الترك، والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من أرض خراسان، ومن خوارزم إليهم، إلا أن ذلك بين بوادي غيرهم من الترك، والقوافل مخفرة منهم. وملك البرغز في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثين وثلثمائة مسلم، أسلم في أيام المقتدر بالله، وذلك بعد العشر والثلثمائة، وذلك لرؤيا رآها، وقد كان له

(١) في ب « بين ملك الخزر والبلغر » . (٢) في ب « والعبك » محرفا

(٣) زيادة في ا (٤) في ب « إفريطش » .

(٥) في ب « إلى مدينة بحر البلغر » . (٦) في ب « مهجير » .

ولد حَجَّ ، وورد مدينة السلام ، وحمل معه للمقتدر لواء وبنوداً^(١) [ومالا]
ولهم جامع ، وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية في نحو [خمسين^(٢)] ألف
فارس فصاعداً ويشن الغارات حولها إلى بلاد رومية والأندلس وأرض
برجان والجلالقة والإفرنجية ، ومنهم إلى القسطنطينية [نحو من شهرين متصلين
عمائر ومفاوز ، وقد كان المسلمون — حين غزوا من بلاد طرسوس من
الثغر الشامي مع أمير الثغور ثمل الخادم المعروف بالزلفي ومن كان معه من
مراكب الشاميين والبصريين سنة اثنتي عشرة وثلثمائة — قطعوا فم خليج
القسطنطينية وفم]^(٣) خليج آخر من البحر الرومي لا منفذ له ، واتبوا إلى
بلاد فنديبة ، وأتاهم في البحر جماعة من البرغز ينجدونهم ، وأخبروهم أن
ملكهم بالقرب ، وهذا يدل على ما وصفنا أن البرغز متصل سراياها إلى
ساحل بحر الروم ، وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الطرسوسيين ، فأتوا بهم
إلى بلاد طرسوس ، والبرغز أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ، ينقاد إليها من
جاورها من الأمم ، والفارس ممن قد أسلم مع ذلك الملك يقاتل المائة من
الفرسان والمائتين من الكفار ، ولا يمتنع أهل القسطنطينية منهم في هذا الوقت
إلا بسورها ، وكذلك كل من كان في هذا الصقع لا يعتصم منهم إلا بالحصون
والجدران ، والليل في بلاد البرغز في نهاية من القصر في بعض السنة ، ومنهم
من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح ، وقد
ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك من الوجه الفلكي ، وعلة الموضع الذي يكون
الليل فيه ستة أشهر متصلة لانهار فيه ، والنهار ستة أشهر متصلة لاليل فيه ، وذلك
نحو الجدي ، وقد ذكر أصحاب النجوم في الزيجات علة ذلك من الوجه الفلكي .
والروس : أم كثيرة وأنواع شتى ، ومنهم من يقال لهم اللوذعانة^(٣) ، وهم
الأكثر ، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر

الروس
وأجناسهم

(١) في ا لواء وسوادا ومالا . (٢) زياد في ا وحدها

(٣) في ب « اللوذعانة » .

وقد كان بعد الثلاثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب ، في كل مركب مائة نفس ، فدخلوا خليج نيطس المتصل ببحر الخزر ، وهناك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية يصدون من يرد من ذلك البحر ، ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذي شعبه من بحر الخزر متصل ببحر نيطس ، وذلك أن بَوَادِي الترك الغز ترد إلى ذلك البروتشَّتِي هنالك ، فرما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر إلى خليج نيطس ، فتعبر الغز عايه بخيولها ، وهو ماء عظيم ، فلا ينخسف من تحتهم لشدة استحجاره ، فتغير على بلاد الخزر ، وربما يخرج إليهم ملك الخزر إذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم وَمَنَعَهُم العبور على ذلك الجَمَدِ ، وأما في الصيف فلا سبيل للتراك إلى العبور ، فلما وردت مراكب الروس إلى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر في أن يجتازوا البلاد وينحدروا في نهره فيدخلوا نهر الخزر ويتصلوا ببحر الخزر الذي هو بحر جرجان وطبرستان وغيرها من بلاد الأعاجم على ما ذكرنا ، ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هناك من الأمم على ذلك البحر ، فأباحهم ذلك ، فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه ، وساروا مُصْعِدِينَ في تلك الشعبة من الماء ، حتى وصلوا إلى نهر الخزر ، وانحدروا فيه إلى مدينة آمل^(١) [واجتازوا بها وانتهوا إلى فم النهر ومصبه إلى البحر الخزري ، ومن مصب النهر إلى مدينة آمل]^(١) وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس في هذا البحر ، وطرحت سراياها إلى الجليل والديلم وبلاد طبرستان وآسكون ، وهي بلاد على ساحل جرجان وبلاد النفاطة ، ونحو بلاد أذر بيجان ، وذلك أن من بلاد أردبيل من بلاد أذربيجان إلى هذا البحر نحو من ثلاثة أيام ، فسفكت الروس الدماء ، واستباحت النسوان والولدان ، وغنمت الأموال ، وشنت

(١) زيادة في اوحدها

(٢) في ب د من مدينة أردشير .

الغارات، وأخربت، وأحرقت، فضج من حول هذا البحر من الأمم، لأنهم لم يكونوا يعهدون في قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه، وإنما تختلف فيه مراكب التجار والصيد، وكانت لهم حروب كثيرة مع الجليل والديلم مع قائد لابن أبي الساج، قاتنوا إلى ساحل النفاطة من مملكة شروان المعروفة بياكة، وكانت الروس تأوي عند رجوعها من غاراتها إلى جزائر تقرب من النفاطة على أميال منها، وكان ملك شروان يومئذ على بن الهيثم، فاستعد الناس، وركبوا في القوارب، ومراكب التجار، وساروا نحو تلك الجزائر، فمالت عليهم الروس، فقتل من المسلمين وغرق ألوف، وأقام الروس شهوراً كثيرة في هذا البحر على ما وصفنا لا سبيل لأحد ممن جاور هذا البحر من الأمم إليهم، والناس مهتابون لهم^(١)، حذرون منهم؛ لأنه بحر غامر لمن حوله من الأمم، فلما غنموا وسموا ما هم فيه ساروا إلى فم نهر الخزر ومصبه، فراسلوا ملك الخزر وحملوا إليه الأموال والغنائم [على ما اشترط عليهم]، وملك الخزر لا مراكب له، وليس لرجاله بها عادة، ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم آفة عظيمة، وعلم بشأنهم اللارسية ومن في البلاد الخزر من المسلمين، فقالوا لملك الخزر: خلنا وهؤلاء القوم فقد أغاروا على بلاد إخواننا المسلمين، وسفكوا الدماء، وسبوا النساء والذراري، فلم يمكن الملك منعهم، وبعث إلى الروس فأعلمهم بما قد عزم عليه المسلمون من حربهم، وعسكروا، وخرجوا يطلبونهم منحدرين مع الماء، فلما وقعت العين على العين خرجت الروس عن مراكبها [وصافوا المسلمين، وكان مع المسلمين خلق من النصارى من المقيمين بمدينة آمل]^(٢) وكان المسلمون في نحو خمسة عشر ألفاً بالليل والعدد، فأقام الحرب بينهم ثلاثة أيام، ونصر الله المسلمين عليهم، وأخذهم السيف: فمن قتل، وغريق، ونجا منهم نحو خمسة آلاف، فركبوا في المراكب إلى ذلك الجانب مما يلي بلاد برطاس، وتركوا مراكبهم

(١) في ١ « متأهبون لهم » .

(٢) هذه العبارة متأخرة في ١ .

وتغلقوا بالبر ؛ فمنهم من قتله أهل برطاس ، ومنهم من وقع إلى بلاد البرغز إلى المسلمين فقتلوه ، وكان من وقع عليه الإحصاء ممن قتله المسلمون على شاطئ نهر الخزر نحواً من ثلاثين ألفاً ، ولم يكن للروس من تلك السنة عودة إلى ما ذكرنا .

قال المسعودي : وإنما ذكرنا هذه القصة دفعاً لقول من زعم أن بحر الخزر متصل ببحر مايطس وخليج القسطنطينية [من جهة بحر مايطس ونيطس] ولو كان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية من جهة بحر مايطس أو نيطس لكانت الروس قد خرجت فيه ، إذ كان ذلك بحرهما على ما ذكرنا ، ولا خلاف بين من ذكرنا ممن تجاوز هذا البحر من الأمم في أن بحر الأعاجم لا خليج له متصل بغيره من البحار ؛ لأنه بحر صغير يحاط بعلمه ، وما ذكرنا من سراكب الروس فمستفيض في تلك البلاد عند سائر الأمم ، والسنة معروفة ، وكانت بعد الثلاثمائة . وقد غاب عن تاريخها ، ولعل من ذكر أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية يريد أن بحر الخزر هو بحر مايطس ونيطس الذي هو بحر البرغز والروس ، والله أعلم بكيفية ذلك .

وساحل طبرستان على هذا البحر ، وهناك مدينة يقال لها الهام ، وهي فرضة قريبة من الساحل^(١) ، وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار ، وعلى ساحل جرجان ، مما يلي هذا البحر ، مدينة يقال لها آسكون^(٢) ، على نحو من ثلاثة أيام من جرجان ، وعلى هذا البحر الجبل والديلم ، وتختلف المراكب بالتجارات فيه إلى مدينة آمل ؛ فيدخل في نهر الخزر إليها ، وتختلف المراكب فيه بالتجارات من المواضع التي سمينا من ساحله إلى باكة ، وهي معدن النفط الأبيض وغيره ، وليس في الدنيا - والله أعلم - نפט أبيض إلا في هذا

(١) في بوه مدينة يقال لها الهمرجي مرسى للساحل» (٢) في «السكون» محققاً

الموضع ، وهي على ساحل مملكة شروان ، وفي هذه النفاطة أطمّة ، وهي عين من عيون النار^(١) لا تهدأ على سائر الأوقات تتصّرّم الصعداء .

ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر : منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمّة عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة فتظهر منها نار [عظيمة] تذهب في الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الأكثر من هذا البحر ، ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر ، وهذه الأطمّة تشبه أطمّة جبل البركان من بلاد صقاية من أرض الإفرنجية ومن بلاد إفريقية من أرض المغرب ، وليس في آطام الأرض أشد صوتاً ولا أسود دخاناً ولا أكثر تلهباً من الأطمّة التي في أعمال المهراج ، وبعدها أطمّة وادي برهوت ، وهي نحو بلاد سبأ^(٢) وحضرموت من بلاد الشحر ، وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عُمان ، وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة [تقذف من قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويُدرِكُ حسّاً من أميال كثيرة]^(٣) ثم ينعكس سفلاً فيهبى إلى قعرها وحولها ، والجمر الذي يظهر منها حجارة قد احمرت مما قد أحالها من مواد حرارة النار^(٤) ، وقد أتينا على علة تكون عيون النيران في الأرض ، وما سبب موادها ، في كتابنا « أخبار الزمان » .

حديث عن
آطام النيران

وفي هذا البحر جزائر أخرى مقابلة لساحل جرجان ، يصاد منها نوع من البزاة البيض ، وهذا النوع من البزاة أسرع الضواري إجابة ، وأقارب معايشة ، إلا أن في هذا النوع من البزاة شيئاً من الضعف ، لأن الصائد بصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسّمك ، فإذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف ، وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم

حديث
عن البزاة

(١) في ب « من عيون الباب لا تعد على سائر الأوقات » محرفاً .
(٢) في ا « وهي نحو بلاد أسفار وحضرموت » . (٣) زيادة في ا وحدها
(٤) في ب « من سواد حرارة النار » .

والهند والعرب : إن البازي إذا كان إلى البياض في اللون ، فإنه أسرع البزاة وأحسنها وأنبأها أجساماً ، وأجرؤها قلوباً ، وأسهبها رياضة ؛ وإنه أقوى جميع البزاة على السمو في الجو ، وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية في الهواء ؛ لأن فيها من حرف الحرارة^(١) وجراءة القلب ما ليس في غيرها من جميع أنواع البزاة ، وإن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها ، وإن من أجل ذلك خاصت البيض لكثرة الثاج في أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك .

وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك - وهم الملوك المنقادة إلى ملكهم جميع ملوك الترك - أنه قال : إن بزاة أرضنا إذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء^(٢) إلى الفضاء سمت في [آخر] الجو إلى الهواء البارد الكثيف فأنزلت دواب تسكن هناك فتغذيها [بها ؛ فلا تلبث أن تقوى وتهض لإسراع الغذاء فيها ، وأنهم ربما وجدوا في] أوكارها من تلك الدواب أشلاء .

وقد قال جالينوس : إن الهواء [حار رطب ، والبرد يعرض فيه لقوة الرياح المرتفعة ولا يخلو الجو] من نشاء فيه وساكن .

وعن بليناس أنه قال : واجب إذا كان لهذين الأسطقصين - يعني الأرض والماء - خلق وساكن أن يكون للاسطقصين الأعلىين - يعني الهواء والنار - خلق وساكن .

وَوَجَدت في بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم إلى الصيد ببلاد الموصل ، وعلى يده باز أبيض ؛ فاضطرب على يده ؛ فأرسله ؛ فلم يزل يخلق حتى غاب في الهواء ؛ ثم طلع بعد الإياس منه ؛ وقد علق شيئاً فهوى به يشبه الحية أو السمكة ؛ وله ريش كأجنحة السمك ؛ فأمر الرشيد فوضع في طست ؛ فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم : هل تعلمون للهواء ساكناً ؟ فقال مقاتل :

(١) في ١٥ جزء الحرارة وجزؤه الغالب فيها مما ليس في غيرها .

(٢) في ١١ إذا سقطت في العش فراخها من الرعاء .

يا أمير المؤمنين ، روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق ، فيها سكان أقربها منا دَوَاب تبيض في الهواء تفرخ فيه ، يرفعها الهواء الغليظ ويربها حتى تنشأ في هيئة الحيات أو السمك ، لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بأرمينية ، فأخرج الطست إليهم ، فأراهم الدابة ، وأجاز مقاتلا يومئذ .

وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجوحيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق [بيض] ، وأنها تقع على الحيوان [في الأرض] فتقتله^(١) ، وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت ككشر ثوب جديد ، وربما يقول من لا علم له وغيره من البشر^(٢) : هذا صوت ساحرة تطير ، ذات أجنحة من قصب . وللناس كلام كثير فيما ذكرنا ، واستدلوا لهم [على هذا إنما هو] بما يحدث في أسطوخس الماء من الحيوان ، وأنه يجب على هذه القصة^(٣) أن يحدث ذلك بين العنصرين الخفيفين وهما الهواء والنار نشو وحيوان كحدوثه بين الثقيلين وهما الأرض والماء .

وصف البزاة

قال المسعودي : وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة ، وأغربت في الوصف ، وأطنبت في المدح ، فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاع مرید^(٤) وقال كسرى أنوشروان : البازي رفيق يحسن الإشارة^(٥) ولا يؤخر الفرص إذا أمكنت ، وقال قيصر : البازي ملك كريم إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك ، وقالت الفلاسفة : حسبك من البازي سرعة في الطلب وقوة على الرزق وفي السمو إذا طالت قوادمه وبعده ما بين منكبيه فذلك أبعده لغايته وأخف

(٢) في « من النسوان » .

(٤) في « شجاع مؤبد » .

(١) في « فتلفه » .

(٣) في « هذه القضية » .

(٥) في « يحسن الأناة » .

لسرعته ، ألا ترى إلى الصقور لا تزداد في غاياتها إلا بعداً وسرعة وقوة على التكرار ، وذلك لطول قوادمها مع كثافة أجسامها ، وإنما قصرت غاية البازي لقصر جناحيه ورقة جسمه ، فإذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ، ولا تُؤتَى الجوارح إلا من قصر القوادم ، ألا ترى أن الدراج والسيان والحجل وأشباهها حين قصرت قوادمها ، كيف قصرت غاياتها ؛ وقال أرسطجانس^(١) : البازي طير عارى الحجاب ، وما يفوته في كسوره يزيد في أخمصه ورجليه ، وهو أضعف الطير جسماً ، وأقواها قابلاً وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير بالجزء الذي فيه من الحرارة التي ليست في شيء منها ، ووجدنا صدورها منسوجة بالعصب لالحم عايتها وقال جالينوس مؤيداً لما ذهب إليه أرسطجانس : إن البازي لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لفاء مشتبكة بالشوك مختلفة الحجم بين شجر عسى^(٢) طلباً للكن ودفعاً للألم الحر والبرد ، فإذا أراد أن يفرخ بني لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً لا يصل إليه منه طار ولا تاج إشفاقاً على نفسه وفراخه من البرد [والضر] .

وذكر آدم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور الكندي ، وهو أبو كندة ، وأنه وقف يوماً لقانص وقد نصب حبالاً للعصافير فانقضَّ أكَدَرُ على عصفور منها قد عاق ، فعلقه الأكَدَرُ - وهو الصقر - ومن أسمائه أيضاً الأجدل ، فجعل يأكل العصفور وقد علق ، فعجب الملك فأتى به وهو يأكل العصفور ، فرمى به في كسر البيت ، فراه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر ، وإذ رمى إليه طعاماً أكله ، وإذ رأى لثمانهض إلى بد صاحبه ثم دعى فأجاب فطمع على اليد ، وكانوا يتباهون بحمله ، إذ رأى يوماً حماة فطار إليها من يد حامله فعلقها ، فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها ، فبينما الملك يسير يوماً إذ انفجرت

(١) في « ب » أرسيجاس .

(٢) في « ا » من شجر خشن .

أرنب فطار الصقر إليها فأخذها ، فطاب بها الطير والأرانب فقتلها، واتخذها العرب بعده ، ثم استفاضت في أيدي الناس .

أول من اتخذ الشواهين

فأما الشواهين فإن أروستجانس الحكيم ذكر في كتاب كان وجهه به إلى المهدي حمل إليه من أرض الروم أهداه إليه الملك أن ملكاً من ملوك الروم يقال له فسيان^(١) نظر يوماً إلى شاهين يهوي منحدرًا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعًا في الهواء ، حتى فعل ذلك مراراً ، فقال : هذا طير ضارٍ تدلُّنا قوة انحداره على الطير في الماء أنه ضارٍ ، وتدلنا سرعة ارتفاعه في جو السماء على أنه طير أبي ألوف^(٢) ، فلما رأى إلى حسن تكراره أعجبه ، فكان أول من اتخذ الشواهين .

وقد ذكر سعيد بن عيسى^(٣) عن هاشم بن خديج قال : خرج قسطنطين ملك عمورية متصيداً بالبزاة ، حتى انتهى إلى خليج نيطس الجاري إلى بحر الروم فعبر إلى مَرَج بين الخليج والبحر فسيح مديد، فنظر إلى شاهين يتكفأ^(٤) على طير الماء، فأعجبه ما رأى من سرعته وضرأوته ، ولم يدر الخيلة في صيده، فأمر أن يصطاد له فضرأه ، وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين، ونظر إلى ذلك المرج البساط مفروشاً بألوان الزهر ، فقال : هذا موضع حصين بين نهر وبحر ، وله سعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة، فبنى فيه مدينة القسطنطينية، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لملوك الروم قسطنطين بن هالين^(٥) هذا ، وما كان من خبره ، وهو المظاهر لدين النصرانية، وهذا الوجه أحد ما ذكر من السبب الداعي لبناء القسطنطينية .

وقد ذكر ابن غفير^(٦) عن أبي زيد الفهرى أنه كان من رتبة ملوك الأندلس

(١) في ب « سنان » . (٢) في ا ، أنه طير آبق .

(٣) في ب « سعيد بن عفر عن هشام » . (٤) في ا « ينقض » .

(٥) في ب « بن هالان » . (٦) في ب « ابن عمر » .

اللذآرة أنه إذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره ،
 نجمة على موكبها ، تنحدر عليه مرة وترتفع أخرى ، معلمة لذلك ، فلا تزال على
 ما وصفنا في حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله ، إلى أن ركب يوماً ملك منهم
 [يقال له أزرق] وصارت الشواهين معه على ما وصفنا ، فاستثارت طائراً
 فانقضت عليه شاهين فأخذه ، فأعجب بذلك الملك ، وصرّأها على الصيد ؛
 فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الأندلس .

قال المسعودي : وكذلك ذكر جماعة من أهل العلم بهذا الشأن أنه كان
 أول من لعب بالعقبان [من] أهل المغرب ، فلما نظرت الروم إلى شدة أسرها
 وإفراط سلاحها قال حكماؤهم : هذه التي لا يقوم خيرها بشرها .

وذكر أن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً وكتب إليه يُعلمه أنها تعمل
 أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها كسرى فأرسلت على
 ظبي عرض له فدقته ، فأعجبه ما رأى منها ، فانصرف مسروراً ، فجوّعها
 ليصيد^(١) بها ، فوثبت على صبي له فقتلته ، فقال كسرى : وتراًنا قيصر
 في أولادنا بغير جيش ، ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر نمرأ ، وكتب إليه
 أنه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش ، وكتب ما صنعت العقاب^(٢) ، فأعجب
 قيصر حسن النمر ، وطابق صفته بوصف من الفهد ، وغفل عنه ، فافترس
 بعض فتياته ، فقال : صادنا كسرى ، فإن كنا قد صدناه فلا بأس .

هذا ، وقد تغافل بنا الكلام عند ذكرنا لبحر جرجان وجزأره إلى الكلام
 في أنواع الجوارح ، وسند ذكر لعمماً من أخبار البزاة وأعداد أجناس الجوارح
 وأشكالها عند ذكرنا للملك اليونانيين ، فلنرجع الآن إلى ذكر الباب والأبواب
 ومن يلي السور من الأمم وجبل القبيخ^(٣) ، وقد قلنا إن شر الملوك من جاورها من

(١) في « ليضربها » .

(٢) في « وكتب ما صنعت العقاب » .

(٣) في ب « الفتح » .

مملكة جیدان الأم مملكة جیدان^(۱)، وملكهم رجل مسلم يزعم أنه من العرب بن قحطان ويعرف بسلفان في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، وليس في مملكته مسلم غيره وولده وأهله، وأرى أن هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع، وبين مملكة جیدان^(۱) وبين الباب والأبواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيئاً من اللغات غير العربية في آجام هناك وغياض وأودية وأنهار كبار من قرى قد سكنوها، وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من بوادي العرب إليها، فهم مجاورون لمملكة جیدان^(۱)، إلا أنهم ممتنعون بتلك الأشجار والأنهار، وهم على نحو ثلاثة أميال من مدينة الباب والأبواب، وأهل الباب يحذرونهم^(۲).

وبلى مملكة جیدان^(۱) مما يلي جبل القبخ والسرير ملك يقال له برزبان^(۳) مسلم، ويعرف بلده بالكرج^(۴)، وهم أصحاب الأعمدة، وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى برزبان.

مملكة غميق ثم يلي مملكة برزبان مملكة يقال لها غميق^(۵)، وأهلها أناس نصارى لا يتقادون إلى ملك، ولهم رؤساء، وهم مهادنون لمملكة اللان.

مملكة زريكران ثم يليهم مما يلي السرير والجبل مملكة يقال لها زريكران^(۶)، وتفسير ذلك عمال الزرد، لأن أكثرهم يعمل الزرد والياب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد، وهم ذوو ديانات مختلفة: مسلمون، ويهود، ونصارى، وبلدهم بلد خشن، قد امتنعوا بخشونته على من جاورهم من الأمم.

مملكة فيلان شاه ثم يلي هؤلاء مملكة السرير، وملكها يدعى فيلان شاه^(۷)، يدين بدين النصرانية، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنه من ولد بهرام جور، وسمى صاحب السرير لأن يزدجرد - وهو الآخر من ملوك ساسان - حين ولى منهزماً قدم

(۱) في ب ه حيزان ه .

(۳) في ا ه يقال له مدرمان ه .

(۲) في ا ه ينجدونهم ه .

(۵) في ب ه عميق ه .

(۴) في ب ه بالكرخ ه .

(۷) في ب ه قبلان شاه ه .

(۶) في ب ه درلكران ه .

سريه الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام جور ليسير بها إلى هذه المملكة فيحجزها هناك إلى وقت موافاته ، ومضى يزدجرد إلى خراسان فقتل هناك ، وذلك في خلافة عمر رضى الله عنه^(١) على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ، فظن ذلك الرجل في هذه المملكة ، واستولى عليها ، وصار الملك في عقبه ! فسمى صاحب السرير ، ودار مملكته تعرف بـ « بمرج »^(٢) ، وله اثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من شاء ، وبلده بلد خشن منيع نخشوته ، وهو شعب من جبل القبيخ ، وهو يغير على الخزر مستظهاً عليهم ؛ لأنهم في سهل وهو في جبل .

ثم تلى هذه المملكة ملكه اللان ومالكها يقال له كركنداج^(٣) ، وهذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وكذلك فيلان شاه ، فهو الاسم الأعم لسائر ملوك السرير ، ودار مملكة اللان يقال لها معص ، وتفسير ذلك الديانة^(٤) ، وله قصور ومنتزهات في غير هذه المدينة ينتقل في السكنى إليها ، وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت ، وقد تزوج كل واحد منهما بأخت الآخر ، وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الإسلام في الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية . وكانوا قبل ذلك جاهلية ، فلما كان بعد العشرين والثلاثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية ، وطردها من كان قبلهم من الأساقفة والقسيسين ، وقد كان أنفدم إليهم ملك الروم .

وبين مملكة اللان وجبل القبيخ قاعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان ، بنى هذه القلعة ملك في قديم الزمان من الفرس الأوائل يقال له اسبنديار بن يستاسف^(٥) [بن بهراسب] ورتب في هذه القاعة رجالاً يمنعون اللان عن الوصول إلى جبل القبيخ ، ولا طريق لهم إلا على هذه القنطرة من تحت هذه القلعة ، والقلعة على صخرة صماء لا سبيل إلى فتحها والوصول إليها إلا بإذن من فيها ؛ ولهذا القاعة المبنية على أعلى هذه الصخرة

(١) في ١ « وذلك في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه » .

(٢) في ب « بمرج » .

(٣) في ب « كركنداج » .

(٤) في ب « السمائة » .

(٥) في ب « اسبنديار بن كستاسب » .

(١٢ - مروج الذهب ١)

عين من الماء عذبة تظهر في وسطها من أعلى هذه الصخرة ، وهذه القلعة إحدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة ، وقد ذكرت في الفرس في أشعارها ، وما كان لاسبنديار بن يستاسف في بنائها ، ولإسبنديار في الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الأمم ، وهو السائر إلى بلاد الترك ، فخرّب مدينة الصفر^(١) ، وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذي لا يُرام ، وبها تضرب الفرس^(٢) الأمثال ، وما كان من أفعال إسبنديار وما وصفنا فمذكور في الكتاب المعروف بكتاب البنكش^(٣) ، نقله ابن المقفع إلى لسان العرب ، وقد كان مسّلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل إلى هذا الصقع ووطئ أهله أسكن في هذه القلعة أناساً من العرب إلى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع ، وربما يحمل إليهم الرزق [وأقوات] من البر من ثغر تفليس ، وبين تفليس وهذه القاعة مسيرة خمسة أيام ، ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكفار أن يجتازوا بهذا الموضع ؛ لتعاقبها بالجو وإشرافها على الطريق والقنطرة والوادي ، وصاحب اللان يركب في ثلاثين ألف فارس ، وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين^(٤) الملوك ، ومملكته عمارها متصلة ، غير منفصلة ، إذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العائر واتصالها

أمة كشك

ثم يلي مملكة اللان أمة يقال لها كشك^(٥) ، وهم بين جبل القبخ وبحر الروم ، وهي أمة مطيعة^(٦) منقادة إلى دين المجوسية ، وليس فيمن ذكرنا من الأمم في هذا الصقع أنقى أبشاراً ، ولا أصنى ألواناً [ولا أحسن رجالاً] ولا أصبح نساء ، ولا أقوم قدوداً ، ولا أدق أخصاراً ، ولا أظهر أكفالا وأردافاً ، ولا أحسن شكلاً من هذه الأمة ، ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ، ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من

(٢) في ب « ضرب الفرس »

(٤) في ا « من الملوك » .

(٦) في ا « أمة نظيفة » .

(١) في ب « الصعر » .

(٣) في ب « السيكنس » .

(٥) في ب « كشك » .

أنواع الديباج المذهب ، وبأرضهم أنواع من الثياب يصنع من القنب ، فيها نوع يقال له الطلي أرق من الدبقي على الكد ، يبلغ الثوب عشرة دنانير ، ويحمل إلى ما يليهم^(١) من الإسلام ، وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الأمم ، إلا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء .

واللان مستظاهرة على هذه الأمة ، لانتصف هذه الأمة من اللان ، إلا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر ، وقد تنوزع في البحر الذي هم عليه : فمن الناس من يرى أنه بحر الروم ، ومنهم من يرى أنه بحر نيطنس ، إلا أنهم يقربون في البحر من بلاد طرابزنده^(٢) ، والتجارة تتصل بهم منها في المراكب ، وتتجهز من قبلهم أيضاً ، والعلة في ضعفهم عن اللان تركهم أن يملكوا عاينهم ملكاً يجمع كلمتهم ، ولو اجتمعت كلمتهم لم يطبقهم اللان ولا غيرها من الأمم ، وتفسير هذا الاسم وهو فارسي إلى العربية [التيه^(٣)] و[الصائف] ، وذلك أن الفرس إذا كان الإنسان تأنها صافاً قالوا : كشك .

وتلى هذه الأمة التي على هذا البحر أمة أخرى يقال لبلادهم : السبع بلدان ، وهي أمة كبيرة ممتعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ، ولا نعى إلى خبرها في دينها . وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب إلى بحر [الروم ، وقيل : إلى بحر] نيطنس^(٤) ، ويقال لدار مملكه هذه الأمة

إرم ذات العماد ، وهم ذوو خاق عجيب ، وآراؤها جاهلية ، ولهذا البلد على إرم ذات العماد هذا البحر خبر ظريف ، وذلك أن سمكه عظيمة تأتيهم في كل سنة فيتناولون منها ، ثم تعود ثانية فتوجه نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها ، وقد عاد اللحم على الموضع الذي أخذ منه أولاً ، وخبر هذه الأمة مستفيض في تلك الديار من الكفار .

وبلى هذه الأمة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهواء

(١) في ب « إلى ماينهم »

(٢) في ب « طار بنده »

(٣) زيادة في ا وحدها

(٤) الزيادة عن ب ، وفيها « مانطش »

وبين هذه الجبال الأربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء ، في وسط تلك الصحراء دائرة مقورة^(١) كأنها قد خطت ببيكار^(٢) ، وشكل دأرتها خسفة مجوفة^(٣) في حَجَرٍ صَلْدٍ منخسف كما تدور الدائرة ، استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلاً قطع قائم يهوى سفلاً كحائط مبنى من سفلى إلى علو يكون قعره على نحو من مياين ، لاسبيل إلى الوصول إلى مستوى تلك الدائرة ، ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة ، وبالنهار يرى قرى وعمائر وأنهار تجري بين تلك القرى وناس وبهائم ، إلا أنهم يرون لطاف الأجسام لبعدفقر الموضع ، ولا يدري من أي الأم هم ، ولا سبيل لهم إلى الصعود إلى جهة من الجهات ، ولا سبيل لمن فوق إلى النزول إليهم بوجه من الوجوه ، ووراء تلك الجبال الأربعة على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض فيها نوع من القروء منتصبه القامات مستديرة الوجود والأغلب عليها صور الناس وأشكالهم ، إلا أنهم ذوو شعر ، وربما وقع في النادر القرد منها إذا احتيل في اصطياده ؛ فيكون في نهاية الفهم والدراية ، إلا أنه لا لسان له فيعبر بالنطق ؛ ويفهم كل ما يخاطب به بالإشارة ، وربما حمل الواحد منها إلى ملوك الأم من هناك فتعلمه القيام على رؤسها بالمذاب على موائدها [لما في القرد من الخاصة بمعرفة السموم من المأكل والمشرب] ^(٤) ويلقى الملك له من طعامه : فإن أكله أكل الملك منه ، وإن اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه ، وكذلك فعل الأكثر من ملوك السند والهند ^(٥) في القردة ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا على المهدي ، وما ذكروا له [لما] في القرد من منافع ملوكهم به عند الطعام وذكروا خبر القروء باليمن ، واللوح الحديد الذي كتبه سليمان بن داود عهداً للقروء باليمن ، وما كان من

وصف

نوع من القردة

(٢) في « بيركار » .

(١) في « مقورة » .

(٣) في « منعوتة » .

(٤) زيادة في اوحدها ، وبها يتم الكلام (٥) في « ملوك الصين والهند »

أمرهم مع عامل معاوية [بن أبي سفيان] ، وما كتب به في أمرهم ، ووصف القرد العظيم الذي كان في رقبة اللوح الحديد ، وليس في قروء العالم أقطان من هذا النوع ، ولأخبث ، وذلك أن القردة تكون في بقاع الأرض الحارة: فمنها بأرض النوبة وأعلى بلاد الأحابيش مما يلي أعلى مصب النيل [وهي] القروء المعروفة بالنوبية، وهي صغيرة القد صغيرة الوجوه ذات سواد غير حالك كأنه نوبي وهو الذي يكون مع القراءدين، ويصعد على رمح فيصير على أعلاه، ومنها ما يكون في ناحية الشمال^(١) في آجام وغياض نحو أرض الصقالبة وغيرها من هناك من الأمم ، كنحو ما وصفنا من هذا النوع من القروء، وقرب شكله من صورة الإنسان ومنها بخلجانات بلاد الزابج في الصين وفي مملكة المهرج ملك الجزائر، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازي ملك الصين ، وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين ، وهذه القروء مشهورة في هذا الصقع معروفة بالكثرة في هذه الخلجانات ، وهي ذات صورتامة ، وقد كان حمل إلى المقتدر منها، وجاءت في سلاسل عظام^(٢) ، وكان في القروء ذوو لحم وسبال كبار [وشيوخ وشبان]^(٣) مع أنواع من الهدايا من عجائب البحر ، حمل ذلك أحمد بن هلال أمير^(٤) عمان يومئذ ، وهذه القروء أمرها مشتهر عند البحريين من أهل سيراف و عمان ممن يختلف إلى بلاد كلة والزابج ، وكيف تأتي بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء، على أن الجاحظ قد ذكر أن التماسيح لا تكون إلا بنيل مصر ونهر مهران السند وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ما قيل في ذلك، وأخبرنا عن مواضع التماسيح فأما اليمن فلا تناكر بين من دخله في أن القروء منه في مواضع كثيرة لا يحصرها عدد لكثرتها : فمنها في وادي نخلة ، وهي بين بلاد الجند وبلاد زيد التي أميرها

(١) في ب « ناحية الشام » محرفا (٢) في ا « وحيات عظام في سلاسل »

(٣) زيادة في ا وحدها (٤) في ب « أحمد بن أبي هلال » .

في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - إبراهيم بن زياد صاحب الحرملى ، وبين هذا الوادى وبين زبيديوم ، وبينه وبين الجند يوم أو أكثر من ذلك ، وهذا الوادى كثير العائر ، ومصاب المياه إليه كثيرة ، وشجر الموز فيه كثير ، والقروود فيه كثيرة ، وهو بين جبلين ، والقروود قطعان كل قطع منها يسوقه هرز ، والهرز^(١) : الذكرك العظيم كالفحل العظيم المقدم فيها ، وقد تلد القردة في بطن واحدة عدة من القروود نحو العشرة والاثني عشر ، كما تلد الخنزيرة خناييص كثيرة ، وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ، ويحمل الذكرك باقيهن ، ولهن [أندية و] مجالس يجتمع فيها خلق منهن فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهمهمة ، والإناث [كالنساء] متحيزات عن الذكرك ، فإذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال وأشجار الموز ، وذلك بالليل ، لم يشك أنهم أناس لكثرتهم بالليل والنهار ، وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القروود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولاً للتعليم من قردة اليمن ، وأهل اليمن يسمون القرد الرباح ، ولهم جُمم للذكور والإناث قد سرحت [ومنها]^(٢) سود كأسود ما يكون من الشعر ، وإذا جلسوا^(٣) يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ، ويتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ، ومن القردة باليمن ببلاد مأرب بين بلاد صنعاء و [قلعة]^(٤) كهلان ما يكون في برارٍ وجبال هنالك كأنها السحب في تلك البرارى والجبال لكثرتها ، وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفور^(٥) . لك اليمن في هذا الوقت محتجب عن الناس إلا [عن] خواصه ، وهو بقية من ملوك حمير ، وحوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألفاً مرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ، ويدعى وقت القبض

(١) في ب « يسوقه هدر ، والهدر » .

(٢) زيادة في ا وحدها . (٣) في ب « وإذا طلبوا يجلسون »

(٤) في ب « من بلاد صنعاء » وكلمة « قلعة » زائدة فيها وحدها وفي « كهلان »

(٥) في ب ه أسعد بن يعفور »

البركة^(١) ، فيجتمعون هناك [ويتحذرون] وينحذرون من تلك المخاليف ،
 والمخاليف : القلاع ، وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب
 المذبحرة ، وهو علي بن الفضل ، وذلك بعد السبعين والمائتين^(٢) ، وقد كان لعلي
 باليمن شأن عظيم حتى قتل^(٣) ، وتوطأت اليمن لهذا الرجل ، وباليمن للقرودمواضع
 كثيرة ، وكذلك في بقاع من الأرض أعرضنا عن ذكرها ، إذ كنا قد أتينا على
 علة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الأرض وأخبار النسناس في كتابنا
 « أخبار الزمان » وكذلك الأخبار عن المرابيد ، وهو نوع كالحيات تكون ببلاد
 حجر اليمامة فيما زعموا ، واحدها عربد ، وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل حنين
 ابن إسحاق أن يتأني له في حمل أشخاص من النسناس والعربد ، فلم يسلم منهم
 إلى سرٍّ من رأى إلا اثنان من النسناس ، ولم تتأت له الحيلة في حمل العربد من
 اليمامة ، وذلك أن العربد هذا إذا خرج عن اليمامة وصار إلى موضع منها معروف
 المسافة عدم من الوعاء الذي حمل فيه ، وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات
 والعقارب وسائر الهوام ، كنفعة أهل سجستان بالقنفاذ ، ولذلك كان في عهد
 [أهل] سجستان القديم ألا يقتل قنفذ ببلادهم ؛ لأنه بلد كثير الرمال بناه ذو القرنين
 في مطآفه ، وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب ، والبلد
 كثير الأفاعى والحيات جداً ، فلولا كثرة القنفاذ لتلف من هنالك من الناس ،
 وكذلك أهل مصر في صعيدها وغيره ، لهم دويبة يقال لها العرائس^(٤) أكبر من
 الجرذ وأصغر من ابن عرس حمراء بيضاء البطن ، لولا هذه الدويبة لغلّب على أهل
 مصر الثعابين ، وهي نوع من الحيات عظيمة ؛ فينطوى الثعبان على [هذه] الدويبة
 ويلتفّ بها فترخي عليه الريح فينقطع الثعبان من ريحها ، هذه خاصية هذه

(١) في ا « يدعى وقت الفيض النزلة » (٢) ا « بعد التسعين والمائتين »

(٣) في ب « حين قتل » (٤) في ا « يقال لها العرائس »

الدابة ، وفي الشرق أنواع من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته
وجماده ، وكذلك في الغرب واليمن^(۱) وهو الجنوب ، والجدى^(۲) وهو
الشمال ، وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الأرباع ؛ ففي ذكرها في هذا
الباب خروج عن الغرض الذي يممنا نحوه .

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً من ذكر الأمم المحيطة بالبواب والأبواب
والسور وجبل القبج وبلاد الخزر واللان ، فنقول :

إنه يلي بلاد الخزر [واللان] فيما بينهم وبين المغرب أمم أربع : ترك ترجع
إلى أب واحد في بدء أنسابهم ، حَضْر وبدو ، وذوو مَنَعَة وبأس شديد ، لكل
أمة منها ملك ، مسافة مملكته أيام ، متصلة بممالكهم بعضها ببحر نيطنس ،
وتتصل عماراتهم^(۳) بمدينة رومية ، وما يلي بلاد الأندلس ، مستظهرة على سائر
ما هنالك من الأمم ، وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة ، وكذلك مع صاحب
اللان ، وديارهم تتصل ببلاد الخزر ، فالجيل الأول منهم يقال له ينجي^(۴) ،
ثم تليها أمة ثانية يقال لها بجفرد^(۵) ، ثم تليها أمة يقال لها يجنك ، وهي أشد
هذه الأمم الأربعة بأساً ، ثم تليها أمة ثانية يقال لها نوكرده^(۶) وملوكهم بدو ،
وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة ، أوفيهما ، وقد كان للروم
في تخوم أرضهم فيما يلي من ذكرنا من هذه الأجناس الأربعة مدينة عظيمة يونانية
يقال لها ولندر^(۷) ، فيها خلق من الناس ومَنَعَة بين الجبال والبحر ، فكل من فيها
ما نفع لمن ذكرنا من الأمم ، ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل إلى أرض الروم لمنع الجبال
والبحر^(۸) إياهم ، ومن في هذه المدينة ، وكان بين هؤلاء الأجناس حروب لخلاف

(۱) في ا « واليمن وهو الجنوب »

(۲) في ب « والحرمي » (۳) في ا « وتتصل غاراتهم ببلاد رومية »

(۴) في ب « يقال له ينجي » (۵) في ب « يقال لها جفرد »

(۶) في ب « يقال لها البوكرده »

(۷) في ب « يقال لها ولندر » (۸) في ب « والشجر » محرفاً

وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض أردبيل : كان نازلاً على أرض بعضهم ، فاستضافه ناس من الجبل الآخر ، فاختلفت الكلمة ، وأغار من في ولندر^(١) من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف ، فسبوا كثيراً من الثرية ، وساقوا كثيراً من الأموال ، ونمى ذلك إليهم وهم مشاغيل في حربهم ، فاجتمعت كلمتهم ، وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء ، واعد القوم^(٢) جميعاً نحو مدينة ولندر^(١) ، فساروا إليها في نحو من ستين ألف فارس ، وذلك على غير احتفال منهم ولا تجتمع ، ولو كان ذلك لكانوا في نحو من مائة ألف فارس ، فلما نمى خبرهم إلى أرمنوس^(٣) ملك الروم في هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — سار إليهم اثني عشر ألف فارس من المنتصرة على الخيول بالرمح في زى العرب ، وأضاف إليهم خمسين ألفاً من الروم ، فوصلوا إلى مدينة ولندر^(١) في ثمانية أيام ، وعسكروا وراءها ، ونازلوا القوم ، وقد كانت الترك قتلت من أهل ولندر^(١) خلقاً [كثيراً] من الناس ، وامتنع أهلها بسورهم إلى أن أتاهم هذا المدد ، ولما صح عند الملوك الأربعة من سار إليهم من المنتصرة والروم بعثوا إلى بلادهم فجمعوا من كان قباهم^(٤) من تجار المسلمين ممن يطرأ إلى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم ، وفي هؤلاء الأجناس الأربعة من قد أسلم ، وهم غير مخالطين لهم إلا عند حروب الكفار ، فلما تصاف القوم وبرزت المنتصرة أمام الروم خرج إليهم من كان قبيل الترك من التجار [المسلمين] فدعوم إلى ملة الإسلام ، وأنهم إن دخلوا في أمان الترك أخرجوهم من بلادهم إلى أرض الإسلام ، فأبوا ذلك ، وتواقف الفريقان في ذلك الوقت ، فكانت للمنتصرة والروم على الترك ؛ لأنهم كانوا في الكثرة أضعاف الترك ، وباتوا على مصافهم ، وتشاور ملوك

(١) في ب « يقال لها وليدر »

(٢) في ا « وحمل القوم »

(٣) في ب « أرميوس »

(٤) في ا « من كان معهم »

الترك الأربعة فقال لهم ملك بجنالك : قلدوني التدبير في غداة غد ، فأنعموا له بذلك ، فلما أصبح جعل في جناح اليمينه كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف ، وكذلك في جناح اليسرة ، فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية اليمينه^(١) فرشقت في قاب الروم فصارت إلى اليسرة ، وخرجت كراديس اليسرة فرشقت في قلب الروم فصارت إلى موضع من خرج من جناح اليمينه ، واتصل الرمي ، واتصل^(٢) الكراديس كالرحى ، والقلب واليمينه واليسرة للترك ثابتة ، والكراديس تعمل عليها في اللفيق^(٣) ، وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمينتهم كان يتدى فيرمى في جناح اليسرة الروم ويمر بميمينتهم فيرمى وينتهي إلى القلب ، وما يخرج من كراديسهم من جناح اليسرة يرمى في جناح ميمينه الروم ، وينتهي إلى اليسرة فيرمى ، وينتهي إلى القلب . فيرمى ، فيكون ملتي الكراديس في القاب دأراً على ما وصفنا ، فلما انتصرت الروم إلى ما لحقهم من تشوش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حلوا على القوم مشوشين في مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة فأخرجت لهم الكراديس ، فرشقتهم الترك كلها رشقاً واحداً ، فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم ، وعقبهم الترك^(٤) بعد الرشق بالجملة على صفوفهم وهم غير متشوشين عما كانوا عليه من التعبه ، وركضت الكراديس من اليمين والشمال ، وأخذ القوم السيف ، وأسود الأفق ، وكثر صياح الخيل ، فقتل من الروم والمنتصرة نحو من ستين ألفاً حتى كان يصعد إلى سور المدينة على جثهم ، فافتتحت المدينة ، وأقام السيف يعمل فيها أياماً ، وسبى أهلها ، وخرج عنها الترك بعد ثلاثة [أيام] يؤمون القسطنطينية ، ثم توسطوا العماير والمروج والضياع قتلاً وأسراً وسبياً ، حتى نزلوا على سور القسطنطينية ، فأقاموا عليها نحواً من أربعين

(١) في « من جناح اليمينه » (٢) في « وتواترت الكراديس »

(٣) في ب « ألف ألف » (٤) في « وغلبت الترك بعد الرشق - إلخ »

يوماً يبيعون المرأة والصبي منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير ،
وبذلوا السيف [في الرجال] فلم يبقوا على أحد منهم ، وربما قتلوا النساء
والولدان ، وَشَدُّوا الفارات في تلك الديار ، فاتصلت غاراتهم بأرض الصقالبة
ورومية ، ثم اتصلت غاراتهم [في هذا الوقت] إلى نحو بلاد الأندلس^(١)
والإفرنجية والجلالقة ، فغارات من ذكرنا من الترك متصلة إلى أرض
القسطنطينية وما ذكرنا من الممالك إلى هذه الغاية .

فلنرجع الآن إلى ذكر جبل القبيخ والسور والباب والأبواب ؛ إذ كنا
قد ذكرنا جملاً من أخبار الأمم القاطنة في هذا الصقع ، فمن ذلك أن أمة تلي
بلاد اللان يقال لها الأبخاز^(٢) منقادة إلى دين النصرانية ، ولها ملك في هذا
الوقت [وملك اللان مستظهر عليهم ، وهم متصلون بجبل القبيخ ، ثم يلي
ملك الأبخاز ملك الجورية ، وهي أمة عظيمة منقادة إلى دين النصرانية تدعى
خزران ، ولها ملك في هذا الوقت]^(٣) يقال له الطبيعي ، وفي مملكة هذا
الطبيعي موضع يعرف بمسجد ذي القرنين ، وكانت الأبخاز والخزرية تؤدي
الجزية إلى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون إلى أيام
التوكل^(٤) ؛ فإنه كان بها رجل يقال له إسحاق بن إسماعيل ، وكان مستظهماً
بمن معه من المسلمين على من حوله من الأمم ، وهم منقادون إلى طاعته وأداء
الجزية إليه ، وعلا أمر من هناك من الأمم حتى بعث التوكل بعثاً فنزل على
ثغر تفليس ، وأقام عايبها محارباً حتى افتتحها بالسيف ، وقتل إسحاق بن
إسماعيل ؛ لأن إسحاق بن إسماعيل كان متغاباً على الناحية ، وكانت له
أخبار يطول ذكرها ، وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني
بأخبار العالم ، وأراه رجلاً من قريش من بني أمية أو مولى لاحقاً ، فانخرقت
هية المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت إلى هذه الغاية ، فامتنع من

(١) في ١ « إلى نحو ثغور الأندلس » . (٢) في ب « يقال لها الأبخاز »

(٣) سقط هذا الكلام كله من ب . (٤) في ب « في أيام التوكل »

جاورهم من الممالك من الإذعان لهم بالطاعة ، واقتطعوا الأكثر من ضياع
تفليس ، وانقطع الوصول من بلاد الإسلام إلى ثغر تفليس بين هؤلاء الأمم
من الكفار ؛ إذ كانت محيطة بذلك الثغر ، وأهلها ذوو قوة وبأس شديد ،
وإن كان ما ذكرنا من الممالك محيطاً بهم .

مملكة
النصارية

ثم تلى مملكة خزران مملكة يقال لها الصمصغى^(١) ، نصارى وفيهم
جاهلية لا ملك لهم ، ثم تلى مملكة هؤلاء الصمصغية بين ثغر تفليس وقلعة
باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها النصارية^(٢) ، وملكهم يقال له
كركسوس ، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وينقادون إلى دين النصرانية ،
وهؤلاء النصرانية^(٣) يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد ، من مضر ،
وأنهم نخذ من عقيل ، سكنوا هنالك من قديم الزمان ، وهم هناك مستظهرون
على كثير من الأمم ، ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناساً من عقيل
مخالفة لمذحج^(٤) ، لا فرق بينهم وبين أحلافهم^(٥) ؛ لاستقامة كلمتهم ،
فيهم خيل كثيرة ومنعة ، وليس في اليمن كلها قوم من نزار بن معد غير
هذا الفخذ من عقيل ، إلا ما ذكر من ولد أنمار بن نزار بن معد ، ودخولهم
في اليمن حسب ما ورد به الخبر ، وهو ما كان من خبر جرير بن عبد الله
البحلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان من خبر بجيلة ، والنصارية
يزعمون أنهم افترقوا في قديم الزمان هم ومن سميينا من عقيل ببلاد مأرب
في خبر طويل .

ثم تلى مملكة النصارية مملكة شكين^(٥) وهم نصارى ، وفيهم خلق من
المسلمين من التجار وغيرهم [من ذوى المهن] ، ويقال للمكهم في هذا
الوقت المؤرخ به كتابنا آزر بن نبيه بن مهاجر^(٦) .

(١) في ب « الصمصغية » .

(٢) في ب « النصارية » .

(٣) في ا « مخالفة لمذحج » .

(٤) في ا « أحلافهم » .

(٥) في ا « أدرنسه بن هام » .

(٦) في ا « أدرنسه بن هام » .

ثم تابعهم مملكة قبيلة^(١) وما حوت المدينة منها مسلمون ، وما حولها من مملكة قبيلة العمار والضياع نصارى ، ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبة الأعور ، وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدُّعَّار .

ثم تلى هذه المملكة مملكة الموقان^(٢) ، وهي التي قدمنا ذكرها ، وأنها متغلب^(٣) عليها ، وأنها مضافة إلى مملكة شروان شاه ، وليس هذا البلد المعروف بالموقانية هو [الملك] الذي على ساحل بحر الخزر ، وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك الإيران شاه هو ومن سلف من آباءه ، وكان ملك شروان شاه على بن المهيم ، فلما هلك على تغلب محمد على شروان شاه على حسب ما ذكرنا آنفاً ، بعد أن قتل عمومة له واحتوى على ما ذكرنا من الممالك ، وله قاعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبيخ .

وللباب أخبار كثيرة من أخبار الأبنية العجيبة التي بناها كسرى بن قباد ابن فيرور — وهو أبوكسرى أنوشروان — في الموضع المعروف بالمسقط من المدينة بالحجارة والحيطان التي بناها ببلاد شروان المعروف بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد بردعة — أعرضنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا .

وأما نهر الكرفيتديء من بلاد خزران من مملكة جرجين^(٤) ، ويمر ببلاد أبخاز^(٥) حتى يأتي نهر تفليس ، ويشق في وسطه ، ويجرى في بلاد السياوردية^(٦) حتى ينتهي على ثمانية أميال^(٧) من بردعة ، ويجرى إلى برداج^(٨)

(١) في ب « قبله » . (٢) في ا « ثم تصل هذه المملكة بمملكة الموقانية »

(٣) في ب « وأنها متغلبة عليها » (٤) في ب « جرجير »

(٥) في ب « بلاد الخان » (٦) في ب « بلاد السلورية »

(٧) في ا « ثلاثة أميال » (٨) في ب « وداج »

[من أعمال بردعة] ثم يصب فيه مما يلي الصنارة نهر الرس ، ويظهر من أقاصي بلاد الروم من نحو مدينة طرابزنده حتى يحيى إلى الكرك ، وقد صار فيه نهر الرس ، فيصب في بحر الخزر ، ويجرى الرس بين بلاد البدين — وهي بلاد بابك الخرمي — من أرض أذربيجان وجبل أبي موسى من بلاد الران ، ويمر ببلاد ورثان ، وينتهي إلى حيث وصفنا ، وقد أتينا على وصف هذه الأنهار أيضاً ، والنهر المعروف بأسبذروج^(١) [وتفسير ذلك النهر الأبيض على التقديم والتأخير بين اللغتين وهي الفارسية والعربية ، وممره]^(٢) وجريانه في أرض الديلم نحو قلعة سلار ، وهو ابن أسوار [الديلمي]^(٣) بعض ملوك الديلم [وقد ظهر في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا تغلب بلاد أذربيجان] ثم يمر هذا النهر من الديلم إلى الجليل ، ويصب فيه نهر آخر في بلاد الديلم ، يقال له : شاهان رود^(٤) ، فينتهي مصب الجميع إلى بحر الجليل ، وهو بحر الديلم والخزر وغيرهم ممن ذكرنا من الأمم المحيطة بهذا البحر ، وعلى هذه الأنهار أكثر هؤلاء الديلم والجيل الذين قد ظهروا وتغلبوا على كثير من الأرض .

فإذ قد قدمنا من أخبار بلاد جبل القبخ وما فيه وما حوله من الأمم وأخبار الباب والأبواب وبحر الخزر .

فانذكر الآن ملوك السريان ، وهم أول من يعد في كتب الزيجات والنجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ، ثم ملوك الموصل ونيوى ، ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الأرض ، وشقوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، وطعموا الثمار ، ومهدوا الوعر ، وسهلوا الطريق ، ثم تتبع ذلك بالفرس الأولى ، وهم المعروفون بالخداهان^(٥) إلى ملك أفريدون ، ثم الإسكان إلى دارا [وهو داريوس]^(٦) بن دارا وهم السكون^(٧)

(١) في ب ، ونهر أسيدروود «
 (٢) زيادة في ا وحدها
 (٣) في ب « سلام بن سوار »
 (٤) في ا زيادة « وتفسيره ملك الأنهار
 ليأضه ورقته وصفاته »
 (٥) في ب « بالخدان »
 (٦) زيادة في ا وحدها
 (٧) في ب « السكون »

ثم ملوك الطوائف ، ثم الفرس الثانية ، ثم اليونانيين ، ثم الروم ، ونذكر من يتلوم من ملوك العرب والأمم والسودان ومصر والإسكندرية وغير ذلك من بقاع الأرض إن شاء الله تعالى .

ذكر ملوك السريانيين ، ولمع من أخبارهم

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان، وقد تنوزع فيهم وفي النَّبَط: فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط، ومنهم من رأى أنهم إخوة لودماش^(١) بن نبيط، ومنهم من رأى غير ذلك.

وكان أول من ملك منهم رجل يقال له «شوسان» وكان أول من وضع التاج على رأسه [في تاريخ السريانيين والنَّبَط] ، وانقادت له ملوك الأرض، وكان ملكه ست عشرة سنة باغياً في الأرض ، مفسداً للبلاد ، سفاكاً للدماء .

ثم ملك ولد له يقال له «بربر^(٢)» وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة . ثم ملك «سماسير» بن آوت^(٣) ، سبع سنين^(٤) .

ثم ملك بعده «أهريمون^(٥)» عشر سنين ، نخط الخطط، وكوّر الكور ، وجدّ في أمره ، وإتقان ما كره، وعمارة أرضه ، فلما استقامت له الأحوال وانتظام له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانيين من القوة وشدة العارة ، وأنهم يحاولون الممالك ، وقد كان هذا الملك من ملوك الهند غالباً على ما حوله من ممالك الهند، وانقادت إلى ساططانه ، ودخلت في أحكامه ، وقيل : إن ملكه كان مما يلي [بلاد] السند والهند، فسار نحو بلاد بسط وغزنين ولمس^(٦) وبلاد الداور

(١) في ب « لولدماش »

(٢) ب « بزندس »

(٣) في ب « بن أول »

(٤) في ا « سبع سنين »

(٥) في ب « أهرتمور »

(٦) في ب « وعزبن وتغير »

على النهر المعروف بنهر الهرمند^(١) ، وهو نهر سجستان ينتهي جريانه على أربع فراسخ منها ، وهذا النهر عليه أهل سجستان وضياعهم ونخلهم وجبالهم ومنتزهاتهم [في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة]^(٢) ، وهذا النهر يعرف بنهر بسط ، وتجري فيه السفن من هناك إلى سجستان فيها الأقوات وغير ذلك [ومن بسط إلى سجستان نحو من مائة فرسخ]^(٣) ، وبلاد سجستان هي بلاد الرياح والرمال ، وهو البلد الموصوف بأن الرياح به تدير الأرحية وتسقي الماء من الآبار وتسقي الجنان ، وليس في الدنيا بلد - والله أعلم - أكثر منه استعمالاً للرياح .

نهر الهرمند

وقد تنوزع في مبدأ هذا النهر المعروف بنهر الهرمند^(١) : فمن الناس من رأى [أنه من عيون جبال السند والهند ، ومنهم من رأى]^(٢) أن مبدأه من مبدأ نهر الكنك ، وهو نهر الهند ، ويمر بكثير من جبال السند ، وهو نهر حاد الانصباب والجريان ، عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتفرقها زهداً في هذا العالم ورغبة في النقلة عنه ، وذلك أنهم يقصدون موضعاً في أعلى هذا النهر المعروف بالكنك ، وهو جبال عالية ، وأشجار عادية ، ورجال جلوس ، وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر ، وقطع من الخشب ، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية ، فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه ، فيطرحون أنفسهم من أعلى تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة ، فينقطعون قطعاً ، ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء ، وما ذكرنا فوصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك .

وصف نوع
عجيب
من الشجر

وهناك شجر من إحدى عجائب العالم ونوادره والفرائب من نباته ، يظهر من الأرض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق ، فتستقيم في الجو

(٢) زيادة في ا وحدها

(١) في ب لا بنهر ميد ه

(٣) زيادة في ب وحاها

سأبعد ما يكون من طوال النخل ، ثم ينحنى جميع ذلك منعكساً فيعود في الأرض مندساً ، ويهوى في قعرها سفلاً على المقدار الذي ارتفع به في الهواء [صُعداً] ، حتى يغيب عن الأبصار ، ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا في الأول فذهب صُعداً ، ثم تنقطر منعكسة ، ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منه تحت الأرض ويتوازي تحت الثرى ، فلولا أن الهند قد وكلت بقطعه من يراعيه من أمره لأمر يذكرونه ، وخطر في المستقبل يصفونه ؛ لطبق على تلك البلاد ولفشى تلك الأرض ، ولهذا النوع من الشجر أخبار بطول ذكرها ، يعرفها من طراً إلى تلك البلاد ورآها ، أو نعى إليه خبرها .

أنواع من
تعذيب الهند
أنفسهم

والهند تعذب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب من دون الأمم ، وقد تيقنت أن ما ينالها من النعيم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفته^(١) من تعذيب أنفسها في هذه الدار معجلاً ، ومنهم من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراقه نفسه ، فيدور في الأسواق وقد أُجِّجَت له النار العظيمة وعايها من قد وكل بإيقادها ، ثم يسير في الأسواق وقدامه الطبول والصنوج ، وعلى بدنه^(٢) أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه ، وحوله أهله وقرابته ، وعلى رأسه إكليل من الريحان ، وقد قشر جلده عن رأسه ، وعايها الجمر وعايها^(٣) الكبريت والسندروس ؛ فيسير وهامته [تحترق] يروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل ، والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصفر ما يكون من ورق الأترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل ، وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلاً من الطين^(٤) ، ويكون

(١) في « هو ما أسلفته وعذبت به أنفسها » وما هنا عن ب أحسن نسقا .

(٢) في ب « وعلى يديه » . (٣) في ا « وقد جعل عليها الكبريت » .

(٤) في ب « بدلاً من الطيب » .

عند الصنادلة^(۱) للورم وغير ذلك، وهذا إذا مضغ على ما ذكرنا بالورق والنورة شدَّ
اللثة، وقوى عمود الأسنان، وطيب النكهة، وأزال الرطوبة المؤذية، وشهى
الطعام، وبعث على الباء، وحرر الأسنان حتى تكون كأحر ما يكون من حب
الرمان، وأحدث في النفس طرباً وأريحية، وقوى البدن، وأثار من النكهة
روائح طيبة [خمرة]، والهند خواصها وعوامها تستقبح من أسنانه بيض، وتجنب
من لا يمضغ ما وصفنا، فإذا طاف هذا المذب لنفسه بالنار في الأسواق وانتهى
إلى تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير في مشيته ولا متهيّب في خطوته، ففيهم من
إذا أشرف على النار وقد صارت جمرًا كالتل العظيم يتناول بيده خنجراً
- ويدعى الجرى^(۲) عندهم - فيضعه في لبتة، وقد حضرتُ ببلاد صيمور من
بلاد الهند من أرض اللار من مملكة الباهرا، وذلك في سنة أربع وثلاثمائة، والملك
يومئذ على صيمور المعروف بجاج^(۳)، وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف
قاطنين بياسرة وسيرافين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار
من قد تأهل وقطن في تلك البلاد، وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى
ابن إسحاق الصندالوني^(۴) وعلى الهزيمة^(۵) يومئذ أبو سعيد، معروف بن زكريا،
وتفسير الهزيمة^(۵) يراد به رآسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون
أحكامهم مصروفة إليه، ومعنى قولنا بياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض
الهند، يُدعَوْنَ بهذا الاسم، واحدهم بيسر، وجمعهم بياسرة، فرأيتُ بعض فتیانهم
وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على
فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فحذب منها قطعة وهو يتكلم
فقطمها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاوناً بالموت ولذة بالنقلة، ثم هوى

(۱) في « عند الصنادلة ». (۲) في ب « ويدعى الحرمى » .

(۳) في « المعروف بجاج ». (۴) في ب « موسى وإسحاق الصيدا بوري »

(۵) في ب « وعلى الهزيمة » .

بنفسه في النار ، وإذا مات الملك من ملوكهم أو قتل^(١) نفسه حرقَ خلق من الناس أنفسهم لموته ، يدعون هؤلاء البلاخرية ، واحدهم بلاخرى^(٢) ، وتفسير ذلك المصادق لمن يموت ؛ فيموت بموته ، ويحيا بحياته .

وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس : من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الأبدان ، وتتشعر منها الأبخار^(٣) ، وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان » .

فلنرجع الآن إلى خبر ملك الهند ومسيره إلى بلاد سجستان ، وقصده مملكة السريانيين ، ونعدل عما احتدنا من أخبار الهند ، فنقول :

كان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل ، وكل ملك يلي هذا الباد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكان بين الهند وملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة ، فقتل ملك السريانيين ، واحتوى ملك الهند على الصقع ، وهلك جميع ما فيه ، فسار إليه بعض ملوك العرب ، فأتى عليه ، وملك العراق ، ورد ملك السريانيين ، فلكوا عليهم رجلا منهم يقال له : « تستر^(٤) » وكان ولد المقتول ، فكان ملكه إلى أن هلك ثمان سنين .

أهريمون ثم ملك بعده « أهريمون » وكان ملكه اثنتي عشرة سنة .

هوريا ثم ملك بعده ابن يقال له « هوريا » فزاد في العمارة ، وأحسن في الرعاية ، وغرس الأشجار ، وكان ملكه إلى أن هلك اثنتين وعشرين سنة .

ماروب ثم ملك بعده « ماروب^(٥) » واستولى على الملك ، وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة ، وقيل : ثلاثة^(٦) وعشرين سنة .

(١) في ب « وقتل نفسه » (٢) في ب « البلاخرية ، واحدهم بلاخرى »

(٣) في ب « ويصفر من ذكرها الإنسان » .

(٤) في ب « يقال له سيرا » . (٥) في ب « مارث » .

(٦) في أ « وقيل اثنتين وعشرين سنة » .

أزور
وخلنجاس

ثم ملك بعده «أزور» و«خلنجاس» ويقال : إنهما كانا أخوين ؛ فأحسنا السيرة ، وتعاظدا على الملك ، ويقال : إن أحد هذين الملكين كان جالساً ذات يوم إذ نظر في أعلى قصره إلى طائر قد أفرخ هناك ، وإذا هو يضرب بجناحيه ويصيح ، فتأمل الملك ذلك فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر صاعدة لأكل فراخ الطائر ، فدعا الملك بقوس فرمى به الحية فصرعها ، وسلمت فراخ الطائر ، فجاء الطائر بعد هنيهة يصفق بجناحيه وفي منقاره حبة وفي مخاليبه حبتان ، وجاء إلى الملك وألقى ما كان في منقاره ومخاليبه ، والملك يرمقه ، نوقع الحب بين يدي الملك فتأملته ، وقال : لأمر ما ألقى هذا الطائر ما ألقى ، لاشك أنه أراد مكافأتنا على فعلنا به ، فأخذ الحب وجعل يتأمله فلم يعرف مثله في إقليمه ، فقال جالس من جاسائه حكيم وقد نظر إلى حيرة الملك في الحب : أيها الملك ، ينبغي أن يودع النبات أرحام الأرض فإنها تخرج كئنه ما فيه ، فنقف على الغاية منه ، وأداء ما في مخزونه ومكثونه ، فدعا بالأكرّة وأمرهم بزرع الحب ومراعاه ، وما يكون منه ، فزرع ، فنبت وأقبل يلتف بالشجر ثم حصرم وأعنب ، وهم يرثمقونه ، والملك يراعيه ، إلى أن انتهى في البلوغ وهم لا يقدمون على ذوقه خوفاً أن يكون متلفاً ، فأمر الملك بعصر مائه ، وأن يودع في أواني ، وإفراد حبّ منه وتركه على حاله ، فلما صار في الآنية عصيراً هدّر وقذف بالزبد وفاحت له روائح عبقة ، فقال الملك : على بشيخ [كبير فان] ^(١) فأتى به ، فلدد له من ذلك في إناء فرآه لوناً عجيباً ، ومنظراً كاملاً ، ولوناً يافوتياً أحمر ، وشعاعاً نيراً ، ثم سقوا الشيخ فما شرب ثلاثاً حتى مال ^(٢) ، وأرخى من مآزره الفضول [وصفق بيديه] ^(٣) وحرك رأسه ، ووقع برجليه على الأرض ، فطرب ، ورفع عقبرته يتغنى ، فقال الملك : هذا شراب يذهب بالعقل ، وأخاف ^(٣) أن يكون قاتلاً ، ألا ترى إلى الشيخ كيف عاد في حال الصبا

أول من
شرب الخمر

(٢) في « حتى صال » .

(١) زيادة في ا وحدها .

(٣) في « وأخلق به أن يكون قاتلاً » .

وسلطان الدم وقوة الثياب ؟ ثم أمر الملك به فزيد ، فسكر الشيخ ، فنام ، فقال الملك : هلك ، ثم إن الشيخ أفاق وطاب الزيادة من الشراب ، وقال : لقد شربته فكشف عني الغموم ، وأزال عن ساحتي الأحزان [واهموم] ، وما أراد الطائر إلا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف ، فقال الملك : هذا أشرف شراب أهل الأرض ، وذلك أنه رأى شيخاً قد حسن [لونه]^(١) ، وقوى حيله ، وانبسط في نفسه ، وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم ، وجاد هضمه ، وجاءه النوم ، وصفا لونه ، واعتزته أريحية ، فأمر الملك [أن يكثر من غرس الكرم ، فكثر الفرس للكرم ، وأمر]^(١) أن يمنع العامة من ذلك ، وقال : هذا شراب الملوك ، وأنا السبب فيه ، فلا يشربه غيري ، فاستعمله الملك بقية أيامه ، ثم نما في أيدي الناس واستعملوه ، وقد قيل : إن نوحاً أول من زرعها ، وقد ذكرنا الخبر حين سرقها إبليس منه حين خرج من السفينة واستولى على الجودي في كتاب المبدأ وغيره من الكتب .

ذكر ملوك الموصل و نينوى (وم الأثوريون)^(١)

ولمع من أخبارهم (وسيرهم)

نينوى : هي مقابلة الموصل ، وبينهما دجلة ، وهي بين قردى وما زندي مدينة نينوى من كور الموصل ، و نينوى في وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — مدينة خراب فيها قرى ومزارع لأهلها ، وإلى أهلها أرسل الله يونس بن متى ، وآثار الصور فيها [بينة واضحة ، و]^(١) أصنام من حجارة مكتوبة على وجوهها ، وظاهر المدينة تل عايه مسجد ، وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عايه الصلاة السلام ، وبأوى إلى هذا المسجد النُّسَّاك والعباد والزهاد .

(١) زيادة في ا وحدها .

وكان أول ملك بني هذه المدينة ، وسور سورها : ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ، ويقال له بسوس بن بالوس^(١) ، فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة .

بسوس

وكان بالموصل ملك آخر محارب لهذا الملك ، وكانت بينهما حروب ووقائع ، ويقال : إن ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن .

ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة ، يقال لها « سميرم^(٢) » فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل ، وملكها من شاطيء دجلة إلى بلاد أرمينية ومن بلاد أذربيجان إلى حد الجزيرة والجودي ، وجبل التيتل^(٣) إلى بلاد الزوزان ، وغيرها من أرمينية ، وكان أهل نينوى ممن سمينا نبيطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وإنما بان النبط عنهم بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة .

سميرم

ثم ملك بعد هذه المرأة « الأرسيس^(٤) » ويقال : إنه كان ابنها ، وكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، ورجعت إليه الأرمن^(٥) ، وقد كانت الحروب بينهم سجالاتاً في ملكه ، ثم غلبوا على أهل نينوى ؛ فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل .

الأرسيس

ويقال : إن هذا الملك آخر ملوك نينوى ، [وقيل : إنه ملك بعده^(٦) عشرون] وكان يؤدي الضريبة^(٧) إلى ملك أرمينية ، ولهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط .

(١) في ب « سينوس بن بالوس » . (٢) في ب « سميرم » .

(٣) في ب « النيل » . (٤) في ب « رسيس » .

(٥) في أ « وزحفت إليه ملوك الأرض » . (٦) زيادة في أ وحدها .

(٧) في أ « وإن ملكاً من ملوك نينوى كانوا يؤديون الضريبة » .

ذكر ملوك بابل ، وم ملوك النبط وغيرهم

[المعروفين بالكلدانيين]^(١)

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ، ومن ذوى العناية بأخبار ملوك العالم أن ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مَهَّدُوا الأرض بالعمارة ، وأن الفرس الأولى إنما أخذت الملك من هؤلاء ، كما أخذت الروم الملك من اليونانيين .

وكان أولهم « نمرود »^(٢) الجبار ، وكان ملكه نحواً من ستين سنة ، وهو نمرود الجبار الذى احتفر أنهاراً بالعراق ، آخذة من الفرات ؛ فيقال : إن من ذلك نهر كوثى يطريق من طرق الكوفة ، وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد ، لاخفاء تلخيره وشهرته ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيراً من أنهار العراق ، عند ذكرنا للملوك الفرس الأولى والثانية ، وغيرهم من ملوك الطوائف ، وإنما الغرض فى هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم ، والتنبية على ما سلف من كتبنا .

وملك بعده « بولوس »^(٣) نحواً من سبعين سنة ، وكان عظيم البطش ، بقية ملوك بابل متجبراً فى الأرض ، وكانت فى أيامه حروب ، ثم ملك بعده « فيومنوس »^(٤) نحواً من مائة سنة ، باغياً فى الأرض على أهلها ، ثم ملك بعده « سوسوس »^(٥) نحواً من تسعين سنة ، ثم ملك بعده « كورش » نحواً من خمسين سنة ، ثم

(١) زيادة فى اوحدها . (٢) فى ا « نمرود » بالدال مهملة .

(٣) فى ب « أندلس » . (٤) فى ب « مرمونوس » .

(٥) فى ب « سوسوس » ، وفى هذه الأسماء اختلاف كثير ، وقد اكتفينا بالتنبيه على أكثر هذا الاختلاف ، ولم نستوعبه لأنه لا طائل تحته .

ملك بعده « أذفر^(١) » نحواً من عشرين سنة ، ثم ملك بعده « سملا^(٢) » نحواً من أربعين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، ثم ملك بعده « بوسميس^(٣) » نحواً من سبعين سنة ، ثم ملك بعده « أنيوس » نحواً من ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « أفلاوس^(٤) » خمس عشرة سنة ، ثم ملك بعده « الحلوس » نحواً من أربعين سنة ، ثم ملك بعده « أو مرنوس^(٥) » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « كلوس^(٦) » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « سيفروس^(٧) » نحو أربعين سنة ، وقد قيل دون ذلك ، وهلك ، ثم ملك بعده « مارنوس » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « وسطالم^(٨) » أربعين سنة ، ثم ملك بعده « أمنوطوس^(٩) » نحو ستين سنة^(٩) ، ثم ملك بعده [« تباوليوس » نحواً من خمسين سنة ، ثم ملك بعده]^(١٠) « العداس » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « أطيروس » نحو ستين سنة ، ثم ملك بعده « ساوساس » نحو عشرين سنة ، ثم ملك بعده « فاربنوس » نحو خمسين سنة ، وقيل : خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك بعده « سوسا درينوس » نحو أربعين سنة ، فغزاهم ملك من ملوك فارس ، من عقب دارا ، ثم ملك بعده « مسروس » نحو خمسين سنة ، ثم ملك بعده « طاطايوس » نحو ثلاثين سنة ، ثم ملك بعده « طاطاوس » نحو أربعين سنة ، ثم ملك بعده « أفروس » نحو أربعين سنة ، ثم ملك بعده « لاوسيس » نحو خمسين سنة ، وقيل : خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك بعده « أفريقريس » نحو ثلاثين سنة^(١١) ثم ملك بعده « منظوروس » نحواً من عشرين سنة ، ثم ملك بعده « قولا قسما » نحواً

- (١) في ب « أتمر »
 (٢) في ب « شبرم » .
 (٣) في ب « فرسميس »
 (٤) في ب « إبلاوس » .
 (٥) في ب « أو مرنوس » .
 (٦) في ب « بتكلوس » .
 (٧) في ب « سفروس » .
 (٨) في ب « أميرطوس » .
 (٩) في ا « نحواً من خمسين سنة » . (١٠) زيادة في ا .
 (١١) في ا « نحواً من خمسين سنة ، وقيل : اثنان وأربعين سنة » .

من ستين سنة ، ثم ملك بعده «هنقلس» خمساً وثلاثين سنة ، وقيل : خمسين سنة ، وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابثة ، وكذلك ذكر في كتاب التاريخ القديم ، ثم ملك بعده «مرجد»^(١) نحو ثلاثين سنة^(٢) ، ثم ملك بعده «مردوح» أربعين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «سنجاريب»^(٣) ثلاثين سنة ، وهو الذي أتى بيت المقدس ، ثم ملك بعده «نشوه منوشا»^(٤) ثلاثين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «بختنصر» الجبار خمساً وأربعين سنة ، ثم ملك بعده «فرمودج»^(٥) نحو سنة ، ثم ملك بعده «بنطسفر»^(٦) نحو ستين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «منسوس»^(٧) نحو ثمان سنين ، وقيل : عشرًا ، ثم ملك بعده «معوسا» سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، ثم ملك بعده «داونوس» إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من^(٨) ذلك ، ثم ملك بعده «كسرجوس» عشرين سنة ، ثم ملك بعده [«مرطياسة» تسعة أشهر وقليل ، ثم ملك بعده] «فنجست» إحدى وأربعين سنة ، ثم ملك بعده «أحترست» ثلاث سنين ، وقيل : سنتين وشهرين ، ثم ملك بعده «شعرياس» سنة ، وقيل : تسعة أشهر ، ثم ملك بعده «داريوس» عشرين سنة ، وقيل : تسع عشرة سنة ، [ثم ملك بعده «أطحست» تسعا وعشرين سنة] ثم ملك بعده «دارو اليسع» خمس عشرة سنة ، وقيل : عشر سنين .

قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم ، وأسمائهم ، ومدة مملكتهم ، وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة ، وهم الذين

- | | |
|------------------------|--------------------------------|
| (١) في ا « سيموجد » . | (٢) في ا « نحو ثلاث سنين » . |
| (٣) في ب « سنخاريب » . | (٤) في ب « سوسا » . |
| (٥) في ب « قرمودج » . | (٦) في ب « نيطر » . |
| (٧) في ب « منون » . | (٨) في ا « وقيل أقل من ذلك » . |

أعمال ملوك
بابل
شيدوا البنيان، ومدنوا المدن، وكوروا الكور، وحفروا الأنهار، وغرسوا
الأشجار، واستنبطوا المياه، وأثاروا الأرضين، واستخرجوا المعادن من
الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك، وطبعوا السيوف، وأخذوا عدة
الحرب، وغير ذلك من الحيل والمكايد، ونصبوا قوائين الحرب بالقلب
واليمين والميسرة والأجنحة، وجعلوا ذلك مثالا لأعضاء جسد الإنسان،
ورتبوا لكل جزء نوعا من الأمة لا يوازيها غيرها؛ فجعلوا أعلام القلب
على صورة النقي [والتنين]^(١) وما عظم من أجناس الحيوان، وجعلوا
أعلام اليمين والميسرة على صورة السباع على حسب عظامها واختلافها في
أنواعها، وجعلوا في الأجنحة صور ما لطف من السباع كالنمر والذئب،
وجعلوا صور أعلام الكبد^(٢) على صور الحيات والعقارب^(٣)، وما خفي
فعله من هوام الأرض، وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد وغيره
من الألوان الستة، وهي: السواد^(١) والبياض، والصفرة [والحمر]^(١)
والخضرة، ولون السماء.

بحث في الألوان
وقد ذكر قوم أن الألوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها، ومنعوا أن
تكون الحمر تشوب شيئا من ذلك إلا ما لطف من أجزائها داخلها في جملة
الأكثر من أشباه الحيوان من تلك الأعلام، وزعموا أن قضية القياس توجب
أن تكون سائر أعلام الحرب حمراء؛ إذ كانت أليق وأشكل بلون الدم، وأكثر
ملاءمة، إذ كان لونها واحدا، لكن منع من ذلك استعمالها في حال الزينة والطرب
وأوقات السرور، واستعمال النساء والصبيان لها، وفرح النفوس بها، وأوجب ترك
ذلك، وإن حس البصر مشاكل للون الحمر، إذ كان من شأنه أنه إذا أدركها
انبسط نوره في إدراكها، وإذا وقع البصر على اللون الأسود اجتمع نوره ولم ينسبط

(١) زيادة في اوحدها .

(٢) في ب « الكيمياء » .

(٣) في ب « والعقبان »

في إدراكه انبساطه في الحمرة ، وأن النسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين لون
 لحمرة الاشتراك ، والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون السواد .
 وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الألوان من الحمرة والسواد والبياض
 وغيرها ، ومرتبات الأنوار ، وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة ، والحد
 المشترك بين نورية حس البصر وبين لون الحمرة والبياض ، والضد المبين
 بين السواد وبين نور البصر ، دون سائر الألوان من الحمرة والخضرة
 والصفرة والبياض ، وتفاغل القوم في هذه المعاني إلى ما علا من الأجسام
 السماوية من النيرين والخمسة ، واختلافها في ألوانها ، وإلى غير ذلك من
 الأشخاص العلوية .

وقد أتينا على ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا ، وأتينا على سير
 هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم^(١) في كتابنا « أخبار الزمان » ، وفي
 الكتاب الأوسط .

وقد ذهبت طائفة من الناس إلى أن هؤلاء الملوك كانوا من النبط
 وغيرهم من الأمم ، وأنه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان
 مقياً ببلخ ، والأشهر ما قدمناه ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعاً
 من أخبار النبط وأنسابهم .

(١) في آله وأخلاقها

ذكر ملوك الفرس الأولى

وجمل من سيرهم [وأخبارهم]^(١)

أصل الفرس الفرس تخبر - مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أنسابها ، ينقل ذلك باقٍ عن ماضٍ ، وصغير عن كبير - أن أول ملوكهم « كيومرث » ثم تنازعوا فيه ؛ فمنهم من زعم أنه ابن آدم ، والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم - وهم الأقلون عدداً - أنه أصل النسل وينبوع الدرء ، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، لأن أميا أول من حلَّ بفارس من ولد نوح ، وكان كيومرث ينزل بفارس ، والفرس لا تعرف طوفان نوح ، والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا ، ولم يكن عليهم ملك ، بل كانوا في مسكن واحد ، والله أعلم بذلك .

أصل الفرس

كيومرث أول الملوك
وكان كيومرث أكبر أهل عصره ، والمقدم فيهم [وكان أول ملك نصب في الأرض - فيما يزعمون -]^(٢) ، وكان السبب الذي دعا أهل ذلك العصر إلى إقامة ملك ونصب رئيس أنهم رأوا أكثر الناس قد جُبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ، ورأوا أن الشرير منهم لا يصلحه إلا الرهبة ، ثم تأملوا أحوال الخليقة ، وتصرف شأن الجسم ، وصورة الإنسان الحساس الدراك ، فرأوا الجسم في بنيته وكونه قدرتب بخواص^(٣) تؤدي إلى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما تورده إليه من أخلاقها^(٤) في مداركها ، وهو معنى في القلب فرأوا صلاح الجسم بتدييره ، وأنه متى فسد تدييره فسد سائرته ، ولم تظاهر أفعاله المتقنة المحكمة ، فلما رأوا^(٥) هذا العالم الصغير الذي هو جسد الإنسان المرئي^(٦) لا تستقيم أموره ولا تنتظم أحواله إلا باستقامة الرئيس الذي قدمنا ذكره - علموا أن الناس لا يستقيمون إلا بملك ينصفهم ،

(١) زيادة في ا وحدها . (٢) زيادة في ب . (٣) في ا « بحواس » .

(٤) في ا « مع اختلافها » . (٥) في ا « فلما رأوا » . (٦) في ا « المردي » .

ويوجه^(١) العدل عليهم ، وينفذ الأحكام على ما يوجهه العقل بينهم ، فساروا إلى كيومرث بن لاوذ^(٢) ، وعرفوه حاجتهم إلى ملك وقيم ، وقالوا : أنت أفضلنا ، وأشرفنا ، وأكبرنا ، وبقية أئبنا ، وليس في العصر من يوازيك ، فرُدَّ أمرنا إليك ، وكن القائم فينا ؛ فإننا تحت سمعك وطاعتك ، والقائلون بما تراه ، فأجابهم إلى مادعوه إليه ، واستوثق منهم بأكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه ، فلما وضع التاج على رأسه ، وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض ، [قام خطيباً و] قال : إن النعم لا تدوم إلا بالشكر ، وإنا نحمد الله [على أياديه] ونشكره على نعمه ، ونرغب إليه في مزيده ، ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه ، وحسن الهداية إلى العدل الذي به يجتمع الشمل ويصفو العيش ، فثتموا بالعدل منا ، وأنصفونا من أنفسكم بوردكم إلى أفضل ما في هممكم ، والسلام .

فلم يزل كيومرث قائماً بالأمر ، حسن السيرة في الناس ، والحال آمنة ، والأمة ساكنة طول مدته إلى أن مات .

ولهم في وضع التاج على الرأس أسرار يذكرونها أعرضا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط . وذكروا أن كيومرث أول من أمر بالسكوت^(٣) عند الطعام ؛ لتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء ، وتسكن النفس عند ذلك ، فتدبر كل عضو من الأعضاء تدبيراً يؤدي إلى مافيه صلاحه من أخذ صفو الطعام ، فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها ، ومافيه صلاحها ؛ فإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التقدير^(٤) إلى حيث انصباب الهمة ووقوع الاشتراك ، فأضر

(١) في « ويوجب العدل بهم » . (٢) في ب « كيومرث بن آدم »

(٣) في « بالسكون » (٤) في « وجزء من التغذية » .

ذلك بالأنفس الحيوانية والقوى الإنسانية ، وإذا كان ذلك أدى إلى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئي ، وفي ذلك ترك للحكمة ، وخروج عن الصواب .

ولهم في هذا الباب سر لطيف من أسرار السبب الذي بين النفس والجسم ليس هذا موضعه ، وقد أتينا على ذكره في الكتاب المترجم « بسر الحياة » وفي كتاب « الزلف » عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامية والنفس الحسية والمخيلة والزراعية^(١) ، وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم .

وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا ؛ فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة ، وقيل : دون ذلك ، وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه مبدأ النسل ، وأنه نبت من نبات الأرض ، وهو الرياس^(٢) ، هو وزوجته ، وهما شابة ومنشابة^(٣) وغير ذلك مما يفحش إيراد ، وما كان من خبره مع إبليس ، وقتله إياه ، وكان ينزل إصطخَرَ فارس ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقيل : أقل من ذلك .

ثم ملك بعده « أوشهنج^(٤) » بن فروال بن سيامك بن يرنيق بن كيومرث الملك ، وكان أوشهنج ينزل الهند ، وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقد تنوزع فيه ؛ فمنهم من رأى أنه أخ لكيومرث بن آدم ، ومنهم من رأى أنه ولد الملك الماضي .

ثم ملك بعده « طهمورث^(٥) » بن نوبجهان بن أرغشذ بن أوشهنج ، وكان ينزل سابور ، وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له « بوداسف » أحدث مذاهب الصابئة ، وقال : إن معالي الشرف الكامل ، والصالح الشامل ، ومعدن الحياة ، في هذا السقف المرفوع ، وإن الكواكب هي المدبرات والواردات

(١) في ا « والنفس الغضبية والنفس الحسية والنفس الشهوانية » .

(٢) في ا « وأنه نبت مثل نبات الأرض ، وهو الرياس » .

(٣) في ب « شانة ومشانة » (٤) في ب « هوشنج » .

(٥) في ب « طهمورث بن أنوجهان بن استحاين هوشنج » .

والصادرات ، وهي التي بمرورها في أفلاكها وقطعها مسافاتهما واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة يتم ما يكون في العالم من الآثار : من امتداد الأعمار وقصرها ، وترك البسائط ، وانبساط المركبات ، وتتميم الصور ، وظهور المياه وغيبها ، وفي النجوم السيارة [و] في أفلاكها التدبير الأكبر ، وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والإيجاز ، واحتذى به جماعة من ذوى الضعف في الآراء ؛ فيقال : إن هذا الرجل أول من أظهر آراء الصابئة من الحرائين والكيمايين^(١) ، وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرائين في محلّتهم ، وديارهم بين بلاد واسط^(٢) والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام ، فكان ملك طهمورث إلى أن هلك ثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده أخوه « جمشيد^(٣) » ، وكان ينزل بفارس ، وقيل : إنه كان في زمنه طوفان ، وذهب كثير من الناس إلى أن النيروز في أيامه أحدث وفي ملكه رسم ، على حسب ما نوردته فيما يرد من هذا الكتاب ، كذلك ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر المعروف بكسرى ، وكان هذا الرجل ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى ، وكان ملك جمشيد^(٣) إلى أن هلك ستائة سنة ، وقيل : تسعمائة سنة^(٤) وستة أشهر ، وأحدث في الأرض أنواعا من الصناعات والأبنية [والمهن] وادعى الإلهية .

ثم ملك بعده « بيوراسب » بن أرواداسب بن^(٥) رستوان بن نياداس بن طاح بن فروال بن ساهر فرس بن كيومرث ، وهو الدهآك ، وقد عربت أسماؤه جميعاً فسماه قوم من العرب الضحاك ، وسماه قوم بهراسب^(٦) وليس هو كذلك ، وإنما اسمه

(١) في ا « والكيمايين » (٢) في ب « في بلاد وسط - إلخ » .

(٣) في ا « جم » (٤) في ا « وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر » .

(٥) في ا « بن ريدوان بن هاباس بن طاح بن فروال بن سيامك بن برس

ابن كيومرث » (٦) في ا « بهراسف » .

على ما وصفنا بيوراسب ، وقتل جمشيد^(١) الملك ، وقد تنوزع فيه : أمن الفرس كان أم من العرب ؟ فزعمت النرس أنه منها ، وأنه كان ساحراً ، وأنه ملك الأقاليم السبعة ، وأن ملكه كان ألف سنة ، وبغى في الأرض [وتمرد]^(٢) ، وللفرس فيه خطب طويل ، وأزه مقيد مغال في جبل دباوند^(٣) بين الري وطبرستان ، وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدم وتأخر ، وقد افتخر أبو نواس به ، وزعم أنه من اليمن ؛ لأن أبان نواس مولى لسعد العشيرة من اليمن ، فقال :

وكان مِنَّا الضحَّاكُ تَعْبُدُهُ الْجَاملُ والوحشُ في مسارِها^(٤)

ثم ملك بعده « أفريدون » بن أثنابان بن جمشيد^(٥) ملك الأقاليم السبعة ، فأخذ بيوراسب ، فقيده في جبل دباوند^(٣) على حسب ما ذكرنا ، وقد ذكر كثير من الفرس ومن عني بأخبارهم مثل عمر كسرى وغيره أن أفريدون جعل هذا اليوم الذي قيد فيه الضحاك عيداً له ، وسماه المهرجان ، على حسب ما نوردته بعد هذا

المهرجان

الموضع من هذا الكتاب ، وما قيل في ذلك ، وكانت دار مملكة أفريدون بابل وهذا الإقليم يسمى باسم قرية من قرأه يقال لها بابل ، على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض العراق ، على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ، ونهر النرس ، وإليه تضاف الثياب النرسية ، وفي هذه القرية جب يعرف بحب دانيال النبي عليه السلام ، تقصده النصارى واليهود في أوقات من السنة في أعيادهم ، وإذا أشرف الإنسان على هذه القرية تبين فيها آثاراً عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كالروابي ، وذهب كثير من الناس إلى أن بها هاروت وماروت ، وهما الملكان المذكوران في القرآن على حسب ما قص الله تعالى من تسمية هذه القرية ببابل . وكان ملك أفريدون خمسمائة سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، وقيل : أكثر ، وقسم الأرض بين ولده [الثلاثة]^(٣) ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء ممن سلف :

(١) في « جم » . (٢) زيادة في ١ . (٣) في ١ « دباوند » .
 (٤) الجامل : جماعة الجمال ، ووقع في ب « يعبد الحائل » محرفاً .
 (٥) في ١ « أفريدون بن اتقياد بن جم » .

من أبناء الفرس بعد الإسلام يذكر ولد أفريدون الثلاثة :

وَقَسَمْنَا مَلِكْنَا فِي دَهْرِنَا قِسْمَةَ اللَّحْمِ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَّ^(١)
 وَجَعَلْنَا الشَّامَ وَالرُّومَ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى الْفَطْرِيْفِ سَلْمِ^(٢)
 وَأَطُوْجَ جَعَلْنَا التَّرْكَ لَهُ فِإِلَادِ التَّرْكِ يَحْوِيهَا ابْنُ عَمِّ^(٣)
 وَإِإِرَانَ جَعَلْنَا عَنُوَّةَ فَارِسِ الْمَلِكِ وَفَرْنَا بِالنَّعْمِ
 وَلِلنَّاسِ فِيمَا ذَكَرْنَا خَطْبَ طَوْبِلِ ، وَأَنَّ بِلَادَ بَابِلَ أَضِيْفَتْ إِلَى وَدِ
 أَفْرِيدُونَ وَهُوَ إِيرَاجُ^(٤) ، وَقَتْلَهُ أَخُوهُ فِي حَيَاةِ أَفْرِيدُونَ ، وَهَلَكَ ، وَلَمْ
 يَخْلُصَ لَهُ الْمَلِكُ فَيَعْدَّ فِي مَلُوكِ .

وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية إضافة هذا الإقليم إلى إيراج^(٣)
 وإسقاطهم الجيم ، وجعلهم النون بدلا منها ، فقالوا : إيران شهر ،
 والشهر : الملك .

ثم ملك بعد أفريدون «منوجهر»^(٤) بن إيران بن أفريدون ، على حسب ملك منوجهر
 ما ذكرنا من التنازع في نسبه وإخاؤه بإيران بن أفريدون ، وكان ملكه عشرين
 سنة ، وكان ينزل ببابل ، وقد قيل : إنه في زمانه كان موسى بن عمران ،
 ويوشع ابن نون عليهما السلام ، وكان لمنوجهر^(٤) حروب مع عميه اللذين قتلا
 أباه ، وهما أطوج وسلم ، وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا .
 ثم ملك بعد منوجهر^(٤) «سهم» بن أبان بن أثقبان بن يود بن منوجهر^(٤) ،
 فنزل ببابل ، وملك ستين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وكانت له حروب كثيرة
 وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » .

ثم ملك بعده « فراسياب » بن أطوج بن ياسر بن راهي بن آرس بن بورك . ملك فراسياب

(١) « إلى الفطري سلم » وفي « العطريف سلم » وكلاهما تحريف .

(٢) في « ولطوح جعل الترك » وفيها « يحويها برغم » .

(٣) في « وهو أيرج » . (٤) في « منو شهر » .

(٥) في « سهم بن أبان بن اتقياد بن نوذر بن منو شهر » .

(١٥١ - مروج الذهب)

ابن ساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوح بن أفریدون^(۱) الملك ، وكان مولد فراسياب ببلد الترك^(۲)؛ فذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره فزعم أنه تركي ، وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنتي عشرة سنة ، وعمره عند كثير من الناس أربعمئة سنة .

ولاثنتي عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زوبن بهاست بن كجهور ابن عداسة بن رايرج بن راع بن ماسر بن يود بن منوجهر الملك^(۳) ، فهزمه وقتل أصحابه بعد حروب كثيرة ، وعمر ما خربته فراسياب .

وقد تنوزع في المقدار الذي ملك فيه : فقيل ثلاث سنين ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان مسكنه بيبابل ، وللفرس كلام طويل في قتل فراسياب ، وكيفية قتله وحروبه ، وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات ، وما كان قتل سیاوخس وخبر رستم بن دستان ، هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين^(۴) ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية ، وخبر اسفنديار بن كشتاشب بن بهراسب^(۵) وقتل رستم بن دستان [له] ، وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم ، وغير ذلك من عجائب الفرس الأولى وأخبارها ، وهذا الكتاب تعظمه الفرس ؛ لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم ، وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا . وقد قيل : إن أول من نزل من الملوك ببلخ وانتقل عن العراق كيكاووس^(۶) وقد كان سار نحو اليمن - بعد أن كان له بالعراق تمرّد على الله ، وبنیان بناه لحرب

(۱) في ا « فراسياب بن باسير بن راى أرسن بن بورك بن سانياسب بن رسب بن نوح بن دور شرين بن طوح بن أفریدون » .

(۲) في ب ه الزل » .

(۳) في ا ه زو بن بهاسف بن كجهور بن هراسف بن رايدنج بن رع بن باسير

بن نوذر بن منوشهر » (۴) في ا « السكيران » .

(۵) في ا « اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف » . (۶) في ا « كيقاوس »

السماء - وكان ملك اليمين الذي سار إليه كيكاووس^(١) في ذلك الوقت شمر ابن فريقس^(٢) نخرج إليه شمر فأسره وحبسه في أضيق محبس ، فهويته ابنة لشمر يقال لها: سعدى ، كانت تحسن إليه في خفية من أبيها ، وإلى من كان معه من أصحابه ، ومكث في محبسه أربع سنين ، حتى أسرى رستم بن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف ، فقتل ملك اليمين شمر بن فريقس^(٣) واستنقذ كيكاووس^(١) ، وردّه إلى ما-كه ، وسعدى معه ، فاعتلت عليه ، وأغرته بولده سیاوخش^(٤) ، حتى كان من أمره مع فراسياب التركي [ما قد شهر من] استئمانه إليه وتزوجه بابنته حتى حملت منه بكيخسرو ، وما كان من قتل فراسياب لسياوخش^(٤) ابن كيكاووس^(١) ، وقتل رستم بن دستان لسعدى ، وأخذ بطائلة سیاوخش^(٤) ، فقتل من قتله من وجوه الترك ، وعند الفرس على ما في كتاب السكيكين^(٥) أن كيخسرو كان قبله على الملك جده لأبيه ، وهو كيكاووس^(١) [ولم يعلم ممن هو] ولم يكن لكيخسرو عقب ؛ فجعل الملك في بهراسف ، وهؤلاء القوم كانوا يكتنون بلخ ، وكانت دار مملكتهم ، وكان يدعى نهر بلخ - وهو جيحون - بلغتهم كالف ، وكذلك يسميه كثير من أعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم .

فلم يزالوا كذلك إلى أن صار الملك إلى «حاي» ابنة بهمن^(٦) بن إسفنديار ابن يستاسف بن بهراسف ، فانتقلت إلى العراق ، وسكنت نحو المدائن .

ثم كان بعد كيخسرو بن سیاوخش^(٤) بن كيكاووس^(١) الملك إلى «لهراسب» بن قنوج بن كيمس بن كيناسس بن كيناسة بن كيقباز الملك^(٧) ، فعمر البلاد ، وأحسن السيرة لرعيته ، وشملهم عدله .

(١) في ١ « كيقاوس » . (٢) في ١ « شمر بن يرعش » .

(٣) في ١ « يرعش » (٤) في ١ « سیاوخش »

(٥) في ١ « السكيران » . (٦) في ١ « حاية بنت بهمان » .

(٧) في ١ « بهراسف بن قيوجي بن كيمش بن كيناسين بن قباز الملك » .

ولسنتين^(١) خلت من ملكه نال بني إسرائيل منه مِحْنٌ ، وَشَتَّتْهُمْ
في البلاد ، وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها .

وذكر في بعض الروايات من أخبار الفرس أنه بنى بلخ الحسناء ؛ لما
فيها من المياه والشجر والمروج .

وكان ملكه مائة وعشرين سنة ، وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان
منهم في حصاره وَمَنْ أَخَذَ بَثْرَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ فِي كِتَابِ قَدَمَاءِ الْفَرَسِ .

وقد ذكر كثير ممن عني بأخبار الفرس أن يختصر مرزبان العراق

والمغرب كان من قِبَلِ هَذَا الْمَلِكِ ، وهو الذي وطىء الشام ، وفتح بيت

المقدس ، وسبى بني إسرائيل ، وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر ،

والعامة تسميه البخت ناصر^(٢) ، وأكثر الإخباريين وَالْقُصَّاصُ يغالون في

أخباره ، ويبالغون في وصفه ، والمنجمون في زيجاتهم وأهل التواريخ في كتبهم

يجعلونه ملكاً [برأسه] ، وإنما كان مرزباناً على ما وصفنا الملوك ممن

ذكرنا ، وتفسير مرزبان يراد به صاحب رُبْعٍ مِنَ الْمَمْلَكَةِ [وقائد عسكر

ووزير]^(٣) وصاحب ناحية [من النواحي] ، وواليتها ، وقد كان حمل

سبأيا بني إسرائيل إلى الشرق ، وتزوج منهن امرأة يقال لها دينار^(٤) ،

فكانت سبب ردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس .

وقيل : إن دينار^(٤) أولدها لهراسب بن كشتاسب^(٥) ، وقيل غير ذلك

من الوجوه ، وإن حماة^(٦) من نسل بني إسرائيل من أمها .

وقيل : إن بهراسف قد كان أنفذ سنجازيب وكان خليفته على العراق -

إلى حرب بني إسرائيل فلم يصنع شيئاً ، فعقب بعده بالبخت نصر ، وقيل

(١) في ا هـ ولستين خلت من ملكه هـ .

(٢) في ا هـ البخت نصر هـ . (٣) زيادة في ا

(٤) في ا هـ يقال لها دينا زاد هـ .

(٥) في ا هـ وقد قيل : إن دينار زاد ولدها بهراسف بن يستاسف هـ .

(٦) في ب حنای هـ مع أن فيها من قبل هـ حای هـ .

في البخت نصر غير ما ذكرنا مما سنورده بعد هذا الموضع في ذكر ملك بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف .

وقد أرخ بطليموس صاحب كتاب المجسطى تاريخ كتابه من عهد بخت نصر مرزبان المغرب ، وأرخ ثاون صاحب كتاب القانون في النجوم من مملكة الإسكندر بن فيلبس المقدوني .

ثم ملك بعده ابنه يستاسف ، وكان منزله بلخ ، ولثلاثين سنة خلت من

ملكه أتاه زرادشت بن أسبمان ، وقيل : إنه زرادشت بن بورشف بن

فدراسف بن أريكساف بن مجدسف بن ححيش بن باتير بن أرحدس بن

هردار بن أسبمان بن واندست بن هايزم بن أرج بن دورشرين بن منوشهر

الملك ، وكان من أهل أذربيجان ، والأشهر من نسبه أنه زرادشت بن

أسبمان ، وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام

الناس ، واسمه عند المجوس بستاه^(١) وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات

للعقول ، وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات

والجزئيات ، والكليات هي الأشياء العامة ، والجزئيات : هي الأشياء الخاصة ،

مثل زيد يموت يوم كذا ، ويمرض فلان في وقت كذا ، ويولد لفلان

في وقت كذا ، وأشبه ذلك ، ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفاً

من أحرف المعجم ، وليس في سائر اللغات أكثر حروفاً من هذا ، ولهم

خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابينا « أخبار الزمان » والكتاب

الأوسط ، وأتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن إيراد مثلها ،

ولا يدركون كنه مرادها ، وسندكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب

ما أتى به زرادشت^(١) ، وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير ، وكتب

هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب ، فيه وعدو وعيد ، وأمر ونهي ،

وغير ذلك من الشرائع والعبادات ؛ فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب

(١) في ب و نياه ، (٢) في ا ه ما أبانه زرادشت .

زرادشت
المجوسى

إلى عهد الإسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا ، فأحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب .

ثم صار الملك بعد الطوائف إلى أردشير بن بابك ، فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إسناد ؛ فالفرس [والمجوس] إلى هذا الوقت لا يقرؤن غيرها ، والكتاب الأول يسمى بثناه^(۱) .

ثم عمل زرادشت تفسيراً عند مجزهم عن فهمه ، وسموا التفسير زندا ، ثم عمل للتفسير تفسيراً ، وسماه بازند ، ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لسائر ما ذكرنا ، وسموا هذا التفسير بارده ؛ فالمجوس إلى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل ، فصار علماؤهم وموابذتهم^(۲) يأخذون كثيراً منهم بحفظ أسباع من هذا الكتاب وأرباع وأثلاث ، فيبتدئ [كل] واحد بما حفظ من جزئه فيتلوه ، وابتدئ الثاني منهم فيتلو جزءاً آخر ، والثالث كذلك ، إلى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب ؛ لعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال ، وقد كانوا يقولون : إن رجلاً [منهم] بسجستان بعد الثلاثمائة مستظهر بحفظ هذا الكتاب على الكمال . وكان ملك يستأسف إلى أن تمجس ثم هلك عشرين ومائة سنة ، وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمساً وثلاثين سنة ، وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة .

خاناس خليفة زرادشت ولما هلك زرادشت ولي مكانه « خاناس »^(۳) العالم ؛ وكان من أهل أذربيجان وهذا أول موبذ قام فيهم بعد زرادشت ، نصبه لهم يستأسف الملك . ثم ملك بعده « بهمن » بن إسفنديار بن يستأسف بن بهراسف ، وكان له حروب كثيرة مع رستم صاحب سجستان إلى أن قتل رستم ووالده دستان ، وقيل : إن أم بهمن كانت من بني إسرائيل من ولد طالوت الملك ، وإنه هو الذي بعث

(۱) في ب « نسيه » .

(۲) في ب « حابذهم » .

(۳) في ا « وهرايذتهم » .

بالبختنصر مرزبان العراق إلى بنى إسرائيل ، فكان من أمرهم ما وصفنا ، وكان ملك بهمن إلى أن هلك مائة واثنى عشرة سنة ، وقيل : إنه في ملكه ردّ بقايا بنى إسرائيل إلى بيت المقدس ، فكان مقامهم ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس سبعين سنة ، وذلك في أيام كورش^(١) الفارسي المملك على العراق من قبل بهمن ، وبهمن يومئذ يبلغ ، وقد قيل : إن أم كورش^(١) كانت من بنى إسرائيل ، وكان دانيال الأصغر خاله ، وكانت مدة ملك كورش^(١) ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي وجه آخر من الروايات أن كورشاً^(١) كان ملكاً برأسه لا من قبل بهمن ، وذلك بعد انقضاء ملك بهمن ، وأن كورشاً^(١) من ملوك الفرس الأولى ، وليس هذا عاماً في كتب التواريخ القديمة ، ودانيال الأكبر كان بين نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام ، وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الأزمان إلى أن تنقضي الأرض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور [والأيام]^(٢) من الحوادث ، ودلائل ذلك في الأفلاك [وإليه ينسب كتاب الجفر]^(٣) ، ولما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبئت فيها من الأرض على ما قدمنا .

ثم ملكت «حمایة»^(٣) بنت بهمن بن إسفنديار بن يستاسف [بن بهراسف] حمایة
وكانت تعرف بأماها شهر زاد ، ولهذا الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الأرض ، وكانت حسنة السياسة لأهل مملكها ، وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك^(٤) .

ثم ملك [بعدها] أخ لها يقال له «دارا» بن بهمن بن إسفنديار ، وكان دارا
ملكه اثنتي عشرة سنة ، وكان ينزل ببابل .

ثم ملك «دارا» بن دارا بن بهمن بن إسفنديار [بن يستاسف بن بهراسف] دارا بن دارا

(١) في ب « كورس » . (٢) زيادة في ا وحدها .

(٣) في ب « حمای » . (٤) في ا « وقيل أكثر من ذلك » .

والفرس تسمى دارا هذا باللغة الأولى من لغاتهم داريوس^(۱) ، وهو الذي قتله الإسكندر بن فابيس المقدوني ، وكان ما-كه إلى أن قتل ثلاثين سنة . وقد ذكر أن منوشهر - حين انهزم من حرب فراسياب التركي - سار إلى جبل^(۲) طبرستان فتحصن به ، ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل ، فحارب فراسياب التركي ، وقد وطىء العراق ، وغلب على الأقاليم ، فهرب إلى أرض الترك ، وأن الملك صار بعد منوشهر إلى أخوين ، وقيل : بل كانا شريكين في الملك متظاهرين متعاونين على عمارة الأرض وما خرّبه فراسياب : أحدهما « بهماسف » بن كنجهر بن ورزق بن هومسف بن واحدسك بن دوس بن منوشهر ، والآخر « كرشاسف » ابن يمار بن طهاسف بن آشك بن فرسين بن أرج بن منوشهر ، وكان كرشاسف محاربا لفراسياب ، ومتازلا له ، والآخر وهو زاب بالعراق : يعمر ما خرّبه فراسياب من الأرض ، واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير ، على ما قدمنا من ذكرهما في هذا الكتاب ، الخارجين من بلاد أرمينية الصائبين في دجلة : الأكبر بين الموصل والحديثة ، والآخر ببلاد السن^(۳) وسماها باسمه ، وحفر بسواد العراق نهراً آخر وسماها بالزاب ، وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طساسيج^(۴) من الضياع والمائر وأسمائها الزوابي ، وما ذكرنا فهو باقٍ إلى هذه الغاية ، وأن مملكتيها كانت ثلاث سنين ، وأن كيوخس لما قتل جده ببلاد السرو^(۵) والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن بشنك بن نبت بن نشمر ابن ترك^(۶) ، وترك هذا جد سائر الترك عند طائفة من الناس من ولد يسب بن طوح بن أفريدن ، وقد قدمنا وجهاً من الرواية في نسبه فيما سلف من هذا

(۱) في ب « دارابنوس » . (۲) في ا « جبال طبرستان فتحصن بها »

(۳) في ب « الصين » . (۴) في ب « طساسيم » .

(۵) في ب « بلاد السن والران » .

(۶) في ب « وهو فراسياب بن سيمك بن نبت بن ديشهر بن ترك » .

الكتاب ، وسار كيخسرو في البلاد ، ووطىء الممالك ، واتهى إلى بلاد الصين ؛ فبنى هناك مدينة عظيمة ، وسماها كندر ، وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم أنموأ وغيرها من مدنهم ، وقد قيل : إن كندر هي أنموأ بعينها ، وقد قيل : إن كيقاوس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بأرض السند^(١) ، وإن سياوخس^(٢) بنى في حياة أبيه كيقاوس مدينة القندهار^(٣) من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب .

قال المسعودى : ولما ذكرنا من هؤلاء الملوك أخبار وسير قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا ، وإنما تذكر في هذا الكتاب جوامع ، مُنْبِهِينَ^(٤) بها على ماسلف من مبسوطها ، وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ؛ ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا ، وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه ، وبالله التوفيق ، ومنه الإعانة .

(١) في « بأرض الهند » . (٢) في ب « سياوخس » .

(٣) في ب « مدينة المهرجان » . (٤) في ب « نبي بها » .

ذكر ملوك الطوائف

وهم بين الفرس الأولى والثانية

أصل ملوك
الطوائف

قال المعدي : وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف : أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب ؟ فحكى جماعة من الأخباريين ممن عني بأخبار الماضين أنه لما قتل الإسكندر بن فليس دارا بن دارا تغلب كل رئيس ناحية على ناحيته ، وكاتبهم الإسكندر ، فمنهم فرس ونبط وعرب ، وكان مراد الإسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزيبهم ، وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به ، فينعدم^(١) نظام الملك ، والانتقاد إلى ملك واحد يجمع كلمتهم [ليرجع إليه الأمر] ، إلا أن أكثرهم كانوا يتقادون إلى الأشغانيين^(٢) ، وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمدان وماسبدان^(٣) وأذربيجان ، وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الأعم أشغان ؛ فقبل لسائر ملوك الطوائف « الأشغانيون » إضافة لهم إلى ملك هذا الصقع لانتقادهم إليه .

وقد حكى محمد بن هشام الكلابي عن أبيه وغيره من علماء العرب أنهم قالوا : أول ملوك الدنيا الأسكيا^(٤) ، وهم من سميئا من ملوك من سلف من الفرس الأولى إلى دارا بن دارا ؛ ثم الأردوان ، وهم ملوك النبط ، وكانوا من ملوك الطوائف ، وكانوا بأرض العراق مما يلي قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين وسورا وأحمد آباد والنرس إلى حنبا وتل فخر^(٥) والطفوف وسائر ذلك الصقع ، وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار ، والنصرية من بني نصر من اليمن وغيرهم من فحطآن لهم ملوك ، وقد نصبت كل طائفة لها ملكا ؛ لعدم ملك يجمع كلمتهم ،

(١) في ا « فيعدم نظام الملك ، ولا يتقاد إلى ملك واحد »

(٢) في ب « وماسبدان » .

(٣) في ب « الأشغانيين »

(٤) في ب « جيلوتل فخر »

(٥) في ب « الكينان »

وذلك أن الإسكندر أشار عليه مُعَلِّمَهُ وهو وزيره أرسطاطاليس، في بعض رسائله إليه بذلك، وكاتب الإسكندر ملك كل ناحية، وَمَلَّكَه على ناحيته، وتوجَّه وَحَبَّاه، فاستبد كل واحد منهم بناحية، فصار ملكه من بعده في عقبه، مما نفا عما في يده، وطالبا للازدياد من غيره.

وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عُني بأخبار الماضين، ومعرفة سنيهم : خمائة سنة وسبع عشرة سنة، وذلك من ملك الإسكندر إلى أن ظهر أردشير بن بابك [بن ساسان] فغلب على ملوك الطوائف، وقتل أردوان الملك بالعراق، ووضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله [في] مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم يعدُّ منه ملك أردشير لاستيلائه على ملوك الطوائف، وتمهدت له البلاد، واستقامت دعائمها^(١) بملكه، فمن ملوك الطوائف من قتل أردشير ابن بابك، ومنهم من انقاد^(٢) إلى ملكه وأجاب دعوته.

وملوك الطوائف بين الفرس الأولى ممن سمينا، وبين الفرس الثانية، وهم الساسانية.

وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي^(٣) عن عمر كسرى في كتاب له عدة ملوك الطوائف في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم من سلف وخلف، وأخبارهم، وخطبهم وتشعب أنسابهم، و [وصف] ما بنوه من المدن، وكوروه من الكور، واحتفروه من الأنهار، وأهل البيوتات منهم، وما وسم به كل فريق منهم، من الشهارجة وغيرهم : أن أول ملك من ملوك الطوائف « أشك » بن أشك بن أردوان ابن أشغان بن آس الجبار بن سیاوش بن كيقاوس الملك عشرين سنة، ثم ملك بعد أشك « سابور »^(٤) بن أشك الملك ستين سنة، وفي إحدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بإيبايا، ثم ملك ظهور المسيح

(٢) في ب « من قاده »

(١) في ب « دعائها »

(٣) في ا « اليمنى » (٤) في ا « ثم ملك بعده أشك سابور بن أشك » محرفا

« جودرز » بن أشك بن أردوان بن أشغان عشر سنين ، ثم ملك « نيزر »^(۱) بن سابور الملك بن أشك الملك إحدى وعشرين سنة ، وقيل : إنه في أيامه سار تطوس ابن أسفانيوس^(۲) ملك رومية إلى إيليا ، وذلك بعد ارتفاع المسيح بأربعين سنة فقتل [وأسر] وسبي وخرّب ، ثم ملك بعد نيزر بن سابور ابنه « جودرز » ابن نيزر تسع عشرة سنة ، [ثم ملك بعد جودرز نرس بن نيزر أربعين سنة]^(۳) ثم ملك بعده أخوه « هرمنز » بن نيزر عشرين سنة^(۴) ، ثم ملك « أردوان » ابن هرمنز بن نيزر خمس عشرة سنة ، ثم ملك بعد أردوان ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة ، ثم ملك بعد كسرى ابنه بلاس بن كسرى أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعد بلاس ابنه أردوان بن بلاس ثلاث عشرة سنة^(۵) .

قال المسعودی : فهذا وجه آخر غير ما قدمنا [ذكره] ، وقد قيل في تاريخ سني ملوك الطوائف غير ما وصفنا ، وإن مدتهم كانت أقل مما وصفنا ، والأول أشهر وأصح في مقدار ما ملكوا من السنين ، مع تباين التواريخ [واختلافها] وتضاد ما فيها ، غير أن الذي حكيناه ما أخذناه عن علماء الفرس ، وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم ؛ لأن الفرس تدين بما وصفنا قولاً وعملاً ، وغيرهم من الناس يقول ذلك [قولاً] ولا ينقاد إليه عملاً ؛ لتباين أهل الشرائع ، وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الفرر من أخبار الطوائف وسيرهم وباللّه التوفيق .

(۲) في ب « نطوس بن أسفانوس »

(۱) في ب « نيزر »

(۳) لا توجد هذه الزيادة في ب . (۴) في ا « خمساً وعشرين سنة »

(۵) وقع في نسخة ب في هذا الموضع نقص كثير في عدد الملوك وتغيير أسمائهم ؛

فاعتمدنا على ا

ذكر أنساب فارس ، وما قاله الناس في ذلك

تنازع الناس في الفرس وأنسابهم : فمنهم من رأى أن فارس ابن ياسور^(١) ابن سام بن نوح ، وكذلك النبط من ولد نبيط بن ياسور^(١) بن سام بن نوح ، وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه وغيره من علماء العرب ؛ فنارس ونييط أخوان [وهما] ابنا ياسور^(١) ، ومنهم من زعم أنه من ولد يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم ، ومنهم من ذكر أنه من ولد إرم^(٢) بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ولد [له] بضعة عشر رجلا كلهم كان فارساً شجاعاً فسموا الفرس بالفروسية ، وفي ذلك يقول حطان بن المعلى^(٣) الفارسي :

وَبِنَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ فُرْسًا نَا ، وَمِنَّا مَنَاجِبُ الْفُرْسَانِ
وَكَهُولٌ طَوَاهِمُ الرَّكْضِ وَالْكِرْكَمِلُ الْكِرَاتِ يَوْمَ الطَّعَانِ
وقد زعم قوم أن الفرس من ولد لوط من ابنتيه ، زهي ورغوى ، ولأصحاب التوراة في هذا خبر طويل ، وذكر آخرون أنهم من ولد بوان ابن [إيران بن] الأسود بن سام بن نوح ، وبوان هذا هو الذي ينسب إليه شعب بوان من بلاد فارس ، وهو أحد المواضع المشهورة في العالم بالحسن ، وكثرة الأشجار ، وتدفق المياه ، وكثرة أنواع الأشجار ، وقد ذكره بعض الشعراء فقال :

فشعب بوان فوادي الراهب قَمَّ نُلْقَى أَرْحَلَ النجائب^(٤)
ومنهم من رأى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، وقد قدمنا في صدر

(١) في ب « ناسور »

(٢) في ا « هدرام بن إرفخشذ »

(٣) في ا « خطاب بن المعلى »

(٤) وقع في ب « شعيب بوان فدار الراهب . . . راحة النوايب » وفي « فشعب

بوان ووادي النوايب » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

هذا الكتاب أخبار ولد أفريدون حين قسم الأرض بينهم ، وما قاله الشاعر في ذلك من قوله :

ولإيران جعانا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعمة^(١)

فأضيف الفرس إلى ذلك، وإيران تسميه النرس أيرج^(٢) إذا عرفوا اسمه ، ولاتناكر بين الفرس جميعاً في أنها من ولد أيرج جميعاً، وأيرج هو إيران بن أفريدون هذا هو المستفيض بينهم ، والأغلب عليهم : أنهم من آل أيرج، ومن الناس من ذهب إلى أن سائر أجناس الفرس وأهل كور الأهواز من ولد عيلام، ولا خلاف بين الفرس في أن الجميع منهم من ولد كيومرث [وهذا هو الأشهر ، وكيومرث هو قبل أيرج بن أفريدون، وأيرج بن أفريدون هو الذي ترجع إليه فارس من ولد كيومرث]^(٣) ومن الناس من ذهب إلى أن الفرس الثانية - وهم الساسانية - دون من سلف من الفرس الأولى هم من ولد منوشهر بن [أيرج بن] أفريدون، ومنهم من ذهب إلى أن منوشهر^(٤) هو ابن مشجر بن فريقس بن ويرك ، وويرك هو إسحاق بن إبراهيم الخليل، وسار مشجر إلى أرض فارس، وكان بها امرأة مملكة يقال لها كورك^(٥) ابنة أيرج ، فتزوجها ، فولدت له منوشهر الملك ، وكثر ولده ، فملكوا الأرض ، وغلبوا عليها ، وهابتهم الملوك؛ لما هم عليه من الشجاعة والفروسية، ودثرت الفرس الأولى كدثور الأمم الماضية والعرب العاربة . قال المسعودی : وأكثر حكام العرب من نزار بن معد يقول هذا، ويعمل عليه في بدء النسب ، وينقاد إليه كثير من الفرس، ولا ينكرونه ، وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد، وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس، وأنها من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، فقال في ذلك إسحاق بن سويد

(١) في « فارس الروم »

(٢) في ب « إيراج »

(٣) هذه الزيادة في ب ووحدها

(٤) في ب « هو ابن مسعر بن أفيريس ، وترك هو - إلخ »

(٥) في ا « كودك »

المدوى عدى قريش :

إذا افتخرت قحطان يوماً بسؤددٍ أتى نخرنا أعلى عليها وأشوداً
ملكناهم بدءاً بإسحاق عمنا وصاروا لناغراً ما على الدهر أعبداً^(١)
فإن كان منهم تُبَّعُ وابن تبع فأملاكمهم كانوا لأملا كنا يدا
ويجمعنا والفرّ أبناء سارة أبٌ لا يبالي بعده من تفرداً^(٢)
هم ملكوا شرقاً وغرباً ملوكهم وهم منحوم بعد ذلك سؤوداً

وفي ذلك أيضاً يقول جرير بن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بأن
الفرس والروم من أولاد إسحاق ، والأنبياء من ولد يعقوب بن إسحاق بن
إبراهيم عليهم السلام ، من كلمة طويلة يقول فيها :

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا حمائل موت لابسين السنوراً
إذا افتخروا عدوا الصبيذ منهم وكسرى وعدو الهرمز أن وقيصراً
وكان كتاب الله فيهم ونوره وكانوا ياضطخروا الملوك وتسترأ
ومنهم سليمان النبي الذي دعا فأعطى بنيانا وملكاً مقدرأ
أبونا أبو إسحاق ، يجمع بيننا أبٌ كان مهدياً نبياً مطهراً^(٣)
[بنى قبلة الله التي يهتدى بها فأورثنا عزاً وملكاً معمرأ]^(٤)
[وموسى وعيسى والذي خر ساجداً وأنبت زرعاً مع عيذه أخضراً]^(٥)
[ويعقوب منهم ، زاده الله حكمة وكان ابن يعقوب نبياً مطهراً]^(٥)
ويجمعنا والفرّ أبناء فارس أبٌ لا يبالي بعده من تأخراً
أبونا خليل الله ، والله ربنا ، رضينا بما أعطى الإله وقدرأ

(١) في ا « بإسحاق جدنا » وفيها « وصاروا لنا عوناً »
(٢) في ا « ويجمعنا والفرّ » (٣) في ب « مهدياً وملكاً معمرأ » محرفاً
(٤) هذا البيت لا يوجد في ب (٥) سقط هذان البيتان من ا

وفي ذلك بقول بشار بن برد :

نمتني الكرام بنو فارس قُرَيْشٌ ، وقومي قُرَيْشُ العجم
وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنه من ولد إسحاق ، وأن إسحاق هو
المسمى ويرك ، على حسب ما قدمنا قبل ، من كلمة له :

أبونا ويرك ، وبه أسامي إذا نخر المفاخر بالولادة^(١)

أبونا ويرك عبد رسول له شرف الرسالة والزهادة^(٢)

فمن مثلي إذا افتخرت قرون وبيتي مثل واسطة القلادة؟

ومن الفرس من يزعم أن ويرك هو ابن أيرك بن بورك^(٣) ابن سبع
نسوة تولدن من غير ذكر إلى أن يلحقن في نسبهن بأيرج بن أفريدون ،
وهذا مما يدفعه العقل ، وبأباه الحس ، ويخرج عن العادة ، وتنبؤ عنه
المشاهدة ، إلا ما خص الله تعالى به السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام
ليرى^(٤) آياته ودلائله الخارجة عن العادة ، وعما ذكرنا من المشاهدات .

وللفرس ههنا منازعات في نسب منوشهر ، واضطراب في كيفية إلقائه
بأفريدون وفي وطء أفريدون لبنت أيرج ، ووطئه بنت البنت إلى السبع منهن .
وقد كان بين ملك منوشهر على ما ذكرنا وبين ملك أفريدون مدة
خلت من الدهر ، وعدة من الملوك ؛ لتخرب كان بإقليم بابل ، وعدم ذى همة
تفقاد إليه المماكة ، ويستقيم له الملك ، وتجتمع عليه الكلمة ، فانتقل الملك
من ولد أفريدون إلى ولد إسحاق .

فإن كان كل ما ذكرنا هو المعول عليه من قول هذه الطائفة فيجب —
على ما يوجب الحساب — أن من كيومرث إلى انتقال الملك إلى ولد إسحاق
ألفاً وتسعمائة واثنين وعشرين سنة ، كذلك وجدت في كتب تواريخ هذه
الطائفة بأرض فارس وبلاد كرمان .

(١) في ب « أبونا وترك وبه أحاجي » (٢) في ا « شرف الرسالة والرفاهة »

(٣) في ا « أنو ترك ابن أبريك وأن أبريك - إلخ » (٤) في ب « ليؤدى »

قال المسعودي : وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده
إسحاق بن إبراهيم الخليل ، على ولد إسماعيل ، بأن الذبيح كان إسحاق دون
إسماعيل ، فقال من كلمة له :

قُلْ لِبَنِي هَاجِرٍ أَبْنَتْ لَكُمْ ما هذه الكبرياء والعظمة ؟
ألم تكن في القديم أمكم لأننا سارة الجمال أمه ؟
وَأَلَمَّا كُنَّا فِينَا وَالْأَنْبِيَاءَ لَنَا إن تُنْكِرُوا ذَاكَ تَوَجَدُوا ظَالِمَهُ
إسحاق كان الذبيح ، قد أجمع الناس عليه إلا ادعاء له
حتى إذا ما محمد أظهر الدين وجلى بنوره الظلمه

قاتم : قريش الأحساب مفخرة أصل لنا ، إن كنتم بنيه فمه^(١)
[أما بنو يعرب فليسوا كمن أسكنه الله آمنا حرمه]^(٢)
[ولا كأبناء فارس ، وهم في الأرض مثل الأسود في الأجمه]^(٣)

وهي قصيدة طويلة ، ذكر فيها كلاماً كثيراً لم يسعنا ذكره ، وقد أجابه
عبد الله بن المعتز ، وكان قائل هذه القصيدة في عصره ، وعمر إلى أن مضت
الثمانيه ، يناقضه في أبيات منها ؛ فمن ذلك قوله :

أسمع صوتاً ولا أرى أحداً من ذا الشقي الذي أباح دمه ؟
حاشا لإسحاق أن يكون لكم أبا ، وإن كنتم بنيه فمه
قولا لكلب يرى لبطشته قد ففر الليث للفراس فمه^(٣)

والفرس لا تنقاد إلى القول بأن الملك كان فيها لأحد غير ولد أفريدون
في عصر من الأعصار فيما سلف وخاف إلى أن زال عنهم الملك ، إلا أن يكون
دخل عليهم داخل على طريق الفصب بغير حق .

(١) وقع هذا البيت في اهكذا :

قلتم قريش والفخر في الدين لا الـ أحساب ، إن كنتم بنيه فمه

(٢) سقط هذان البيتان من ا (٣) في ا « يرى لفطته »

(١٦) - سراج الذهب (١)

الفرس
یحجون البيت

وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به ، تعظيماً له ،
ولجدها إبراهيم عليه السلام ، وتمسكا بهديه ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر
من حج منهم ساسان بن بابك [وهو] جد أردشير بن بابك ، وهو أول ملوك
ساسان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع ملوك الروانبة إلى مروان بن الحكم ،
وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب ، ولم يل الفرس الثانية أحد إلا
من ولد أردشير بن بابك هذا ، فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم
على بئر إسماعيل ، فقيل : إنما سميت زمزم لزمزمته عليها ، هو وغيره من فارس ،
وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر ، وفي ذلك يقول
الشاعر في قديم الزمان :

زَمَزَمَتِ الْفُرسِ عَلَى زَمَزَمِ

وذاك من سالفها الأقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك ، فقال

من كلمة :

وما زلنا نحج البيت قديماً وُلنقى بالأباطح آميناً^(۱)

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق يطوف دينا^(۲)

فطاف به ، وزمزم عند بئر لإسماعيل تُروى الشارينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان ، وجواهر ،
وقد كان ساسان بن بابك [هذا] أهدي غزاليين من ذهب وجوهر أوسيوفاً
وذهباً كثيراً فقذفه^(۳) في زمزم .

وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك

(۱) في ۱ « وُلنقى بالأباطح » .

(۲) في ۱ « لنصر دينا » .

(۳) في ۱ « فدفن في زمزم » .

كان لجرم حين كانت بنكة ، وجرم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها ،
ويحتمل أن يكون لغيرها ، والله أعلم .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما كان من فعل عبد المطلب بهذه
الأسياف وغيرها مما أودع في زمزم .

وللناس في [هذه] الأنساب تنازع في بدئها وأشعبها ، وقد ذكرنا من ذلك
جملاً ، وأوردنا منه جوامع يكتفى ذو المعرفة بالإثراف عاينها عن كثير
من مبوطها .

ذكر ملوك الساسانية ، وهم الهرم الثانية [وأخبارهم]^(١)

كان أول من نسب إليه ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا
أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهاوند بن دارا بن ساسان
ابن بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف [على حسب ما قدمنا من نسب
بهراسف ، وقيل : إنه أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان أردشير بن بابك
ابن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهراسف]^(٢)
ولا خلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوشهر ، وكان مما حفظ من قوله يوم ملك
وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال : الحمد لله
الذي خصنا بنعمه ، وشمانا بفوائده وقسمه ، ومهد لنا البلاد ، وقاد إلى طاعتنا العباد
نحمده حمد من عرف فضل ما آتاه ، ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه ، ألا
وإننا ساعون في إقامة [منازل]^(١) العدل ، وإدرار الفضل ، وتشيد المآثر ،
وعمارة البلاد ، والرأفة بالعباد ، ورَمَ أقطار المملكة ، ورد ما انخرم في سائر
الأيام منها ، فايسكن طائركم ، أيها الناس ، فإني أعمُّ بالعدل القوى
والضعيف ، والدنيء والشريف ، وأجعل العدل سنة محمودة ، وشريعة مقصودة ،
وستردون في سيرتنا إلى ما تحمدوننا عليه ، وتصديق أفعالنا أقوالنا ، إن شاء
الله تعالى ، والسلام .

(٢) زيادة في ا وحدها .

(١) زيادة في ب .

قال السعدي : وأردشير بن بابك المتقدم في ترتيب طبقات القدماء ، وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء ، وكان يرى أن ذلك من السياسة ، ومما يدعم^(١) عمود الرياسة ؛ فكانت طبقات خاصته ثلاثاً : الأولى الأساورة وأبناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك ، على نحو من عشرة أذرعٍ ، وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم ، وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الأولى ، وهم جوه المرآزة وملوك الكور والقيمون بباب أردشير ، و[المرآزة وهم] الإصبهيدية من كانت مملكة الكور^(٢) في أيامه ، والطبقة الثالثة كانت رتبها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية ، وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل ، غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ، ولا وضع القدر ، ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش الطول أو القصر ، ولا مؤف ، ولا رمى بأبنة ، ولا ابن ذي صناعة دينئة كابن حائك أو حجّام ، ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلاً .

وكان أردشير يقول : ماشيء أضر على نفس ملكٍ أو رئيس أو ذي معرفة صحيحة من معاشرة سخيّف أو مخالطة وضعي ؛ لأنه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الأريب الحسيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس ، حتى يقدح ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها ، وكما أن الريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً تحيا به النفوس وتتقوى به جوارحها^(٣) ، كذلك إذا مرت بالنتن فحملته أمت به النفس ، وأضر بأخلاقها إضراراً تاماً ، والفساد أسرع إليها من الصلاح ؛ إذ كان الهدم أسرع من البناء ، وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهراً فساد عقله دهرًا .

وكان أردشير يقول : يجب على الملك أن يكون فائض العدل ، فإن [في] العدا

(١) في « وما يرم عموم الرياسة » .

(٢) في ب « الكون » . (٣) في ا « وتقوى به جوارحها » .

جماع الخير ، وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتخرمه ، وإن أول مخايل الإدبار في الملك ذهب العدل منه ، وأنه متى خَفَّتْ رايات الجور في ديار قوم كاحتها عقاب العدل فردتها على العقب ، وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الأخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح^(١) وغرائب التنف من النديم ، حتى إنه لِيَحْتَاج^(٢) أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ، ومع عفاف النَّسَّاك مجون الفتاك ، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث ، وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر إليها في حال لا يحسن أن يجلب غيرها^(٣) وإلى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي ينادمه ، على حسب ما يبلوه من خلائقه ، ويعلم من معاني لحظه وإشاراته ما يعينه على شهوته ، ولا يكون نديماً حتى يكون له جمال ومروءة ؛ فأما جماله فنظافة ثوبه ، وطيب رائحته ، وفصاحة لسانه ، وأما مروءته فكثرة حياته في انبساطه إلى الجميل ، ووقاره في مجاسه ، مع طلاقة وجهه في غير سخف ، ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة .

مراتب
رجال الدولة

ورتب أردشير المراتب فجماها سبعة أفواج^(٤) : فأولها الوزراء ، ثم الموبدان وهو القائم بأمور الدين ، وهو قاضي القضاة ، وهو رئيس الموابذة^(٥) ، ومعناها القوَّام بأمور الدين في سائر المملكة ، والقضاة المنصوبون للأحكام ، وجعل الإصبيذيين أربعة : الأول بخراسان ، والثاني بالمغرب ، والثالث ببلاد الجنوب ، والرابع ببلاد الشمال^(٦) ؛ فهؤلاء الأربعة هم أصحاب تدير الملك ، كل واحد منهم

(١) في ١ « وأفاضل الآداب وطرائف الملح »

(٢) في ١ « حتى إنه يحتاج »

(٣) في ١ « حال لا يحسن أن يجانبه غيرها »

(٤) في ب « سبعة أوزاح »

(٥) في ١ « رئيس الموابذة »

(٦) في ب « بلاد الشام »

قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة ، فكل واحد منهم صاحب ربع منها ، ولكل واحد من هؤلاء أمر زبّان ، وهم خلفاء هؤلاء الأربعة ، ورتب أردشير الطبقات الأربعة من أصحاب التدبير ومن إليهم أزمته الملك وحضور المشورة^(١) في إيراد الأمور وإصدارها ، ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوي الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طراً بعده من ملوك آل ساسان إلى بهرام جور ؛ فإنه قرر^(٢) مراتب الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنسك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها ، وغير طبقات المغنين ، فرفع من كان بالطبقة الوسطى إلى الطبقة العليا ، والطبقة الدنيا إلى الوسطى ، وغير المراتب على حسب إعجابه بالمطرب له منهم ، وأفسد مراتبه أردشير بن بابك في طبقات الملحين ، فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك ، حتى ورد كسرى أنو شروان فرد مراتب المغنين إلى ما كانت عليه في عهد أردشير بن بابك .

وقد كانت ملوك الأعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء ، وكان [يكون] بين الملك وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً ؛ لأن الستارة التي على الملك تكون منه على عشرة أذرع ، ومن الطبقة الأولى على عشرة أذرع ، وكان الموكل بالستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له خرم باش ، فإذا غاب^(٣) هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الأساورة وذوي التحصيل ، وسمى بهذا الاسم ، وهذا الاسم عام لمن رتب في هذه الرتبة ووقف هذا الموقف ، وتفسير ذلك كن فرحاً مسروراً ، وكان خرم باش هذا إذا جالس الملك لندمائه ومُعاذريه^(٤) أمر رجلاً أن يرتفع على أرفع مكان في دار الملك ، فيرفع عقيرته ويُفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : يا لسان احفظ رأسك ، فإنك تجالس في هذا اليوم الملك ، ثم ينزل ، وكان ذلك فعاهم في يوم جلوس الملك للهوه وطربه ، فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة

(١) في ١ « وحصول المشورة » .

(٢) في ١ « فإنه أقر » .

(٣) في ١ « فإذا مات هذا الرجل »

(٤) في ١ « ومعاشرتهم » .

أصواتها ، غير مثيرة بشئ من جوارحها ، حتى يطلم الموكل بالستارة ، فيقول : غنَّ أنت يافلان كذا وكذا ، واضرب أنت يافلان كذا وكذا ، من طريقة كذا وكذا ، من طرائق الموسيقى ، وقد كانت الأوائل من بني أمية لا تظهر للندماء ، وكذلك الأوائل من بني العباس .

وَكُوْرَ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابِكِ كُوْرًا ، وَمَدَّنَ مُدْنًا ، وله عهد في أيدي الناس . زهد أردشير ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة ، واستقامت له الأرض ، ومهداها ، وصال^(١) على الملوك فانقادت إلى طاعته ، زهد في الدنيا ، وتبين [له] عوارها ، وما هي عاياه من الغرور والعناء^(٢) ، وقلة المكث ، وسرعة الغيلة منها إلى من أمنها ، ووثق بها ، واطمأن إليها ، وبان لها أنها غرارة وضرارة خاتلة زائلة بائدة ، وما أعدوذب منها جانب لامرئ ، وحلًا لإتمرر منها عليه جانب [وأوئبي] ورأى أن من بني قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشًا وأشد جنودًا وأتم عديداً قد صار رميا هشيا ، وتحت التراب مقيا ؛ فأثر التفرد^(٣) عن المملكة ، والتترك لها ، واللحاق بيوت النيران ، والانفراد بعبادة الرحمن ، والأنس بالوحدة ، فنصب ابنه «سابور» إمامته ، وتوجّه بتاجه ، وذلك أنه رآه أرجح ولده حلماً ، وأكاهم علماً ، وأشدهم بأساً ، وأجزلمهم مراساً ، فعاش بعد ذلك في حال تزهده ، وخلوه بربه ، وكونه في بيوت النيران سنة ، وقيل شهرا ، وقيل : أكثر مما ذكرنا .

وأقام أردشير اثنتي عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف ؛ فمنهم من يكاتبه فينقاد إلى ملكه رهبة من صوّلته ، ومنهم من يمتنع عليه فيسير إلى داره ويأتى عليه ، وكان آخر من قتل منهم ملكا للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن بردينا^(٤) صاحب قصر ابن هبيرة ، ثم أردوان الملك ، وفي هذا اليوم سمى شاهنشاه ، وهو ملك الملوك .

(١) في « مال على الملوك » .

(٢) في « الغرور والعناء » .

(٣) في « فأثر التبرؤ من المملكة » .

(٤) في ب « بابا بن بردينا » .

وأُمُّ ساسان الأكبر من سبايا بني إسرائيل ، وهي بنت سانال^(١) ،
ولأردشير ابن بابك أخبار في بدء ملكه مع زاهد من زهادهم وأبناء ملوكهم
يقال له يبشر^(٢) وكان أفلاطوني المذهب على رأي سقراط وأفلاطون ،
أعرضنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار
الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، مع ذكر سيره وفتوحه ، وما كان من
أمره ، ولأردشير بن بابك كتاب يعرف بكتاب « الكرنامج^(٣) » فيه ذكر
أخباره وحرره به ومسيره في الأرض وسيره .

من وصايا
أردشير وكتبه
وكان مما حفظ من وصية أردشير لابنه سابور عند نصبه إياه لذلك أن
قال له : يا بني ، إن الدين والملك أخوان ، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه ؛
فالدين أس الملك ، والملك حارسه ، وما لم يكن له أس فهدوم^(٤) ، وما لم
يكن له حارس فضائع .

وكان مما حفظ من مكاتباته — أعني أردشير — إلى خواص من أنواع
رعيته وعماله : من أردشير [بن] بهمن ملك الملوك ، إلى الكتاب الذين
بهم تدبير المملكة ، والفقهاء الذين هم عماد الدين ، والأساورة الذين هم
حماة الحرب ، وإلى الحرث الذين هم عمرة البلاد ، سلام عليكم ، نحن
بحمد الله صالحون ، وقد رفعنا إتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ،
ونحن كاتبون إليكم بوصية فاحفظوها ؛ لا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم
العدو ، ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط ، وكونوا لأبناء السبيل
مأوى ترووا غداً في المعاد ، وتزوجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأقرب
للنسب ، ولا تركنوا للدنيا فإنها لا تدوم لأحد ، ولا تهتموا لها فلن يكون
إلا ما شاء الله ، ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لاتنال إلا بها .

وكتب أردشير إلى بعض عماله : باغني أنك تؤثر اللين على الغلظة ، والمودة
على الهيبة ، والجبن على الجراءة ، فليشتد أولئك ، وليان آخرك ، ولا تخلين قلباً

(١) في ب « سامات » .

(٢) في ب « يقال له تيس » .

(٣) في ب « الكريامج » .

(٤) في ا « فمعدوم » .

من هيبة، ولا تعطائه من مودة، ولا يبعد عليك ما أقول [لك] فإنهما يتجاوران.

ثم ملك بعد أردشير ابنه سابور ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة ،
وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم ، وبني كوراً ، ومصر مدناً
نسبت إليه ، كما نسب من الكور والمدن إلى آبائه ، والعرب تلقبه سابور
الجندي^(١) ، وفي أيامه ظهر ماني ، وقال بالآيتين^(٢) ، فرجع سابور عن المجوسية
إلى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة ، ثم عاد بعد ذلك إلى
دين المجوسية ، ولحق ماني بأرض الهند ؛ لأسباب أوجبت ذلك قد أتينا
على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

وكتب ملك الروم إلى سابور بن أردشير : أما بعد ، فقد بلغني من
سياستك لجنديك ، وضبطك ماتحت يدك ، وسلامة أهل مملكتك بتديرك—
ما أحبت أن أسلك فيه طريقتك ، وأركب مناهجك .

فكتب إليه سابور : نلت ذلك بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهى
قط ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً قط ، وحاربت اللغني لا للهوى ، واجتابت
قلوب الناس ثقة^(٣) بلا كره ، وخوفاً بلا مقت ، وعاقبت للذنب لا للغضب ،
وعملت بالقوت ، وحسنت الفضول .

ويقال : إن سابور كتب إلى بعض عماله : إذا استكتبت^(٤) رجلاً
فأسن رزقه ، وشدَّ بصالح الأعوان عضده ، وأطلق بالتدبير يده ؛ ففي إسناء
رزقه حسم طمعه ، وفي تقويته بالأعوان ثقل وطأته على أهل العدوان ،
وفي إطلاقه بالتدبير^(٥) ما أخافه عواقب الأمور ، ثم قفه من أمره على ماله
قدمته^(٦) ليمثله إماماً ويحفظه كلاماً ، فإن وقع أمره بما رسمت فأوله غرضك ،

(١) في « سابور الجنود »

(٢) في « بالآيتين »

(٣) في ب « مقه » والمقه : المحبة

(٤) في « إذا استكتبت رجلاً » (٥) في « وفي إطلاق يده بالتدبير »

(٦) في « على ماله ندبته ليمثله إماماً »

وأوجب زيادته عليك ، وإن حادَ عن أمرِكَ علقته حجتك ، وأطلقتَ بالعقوبة عايه يدك ، والسلام .

وعهد سابور إلى ولده هرمز وَمَنْ تلاه من الملوك بعده ، فقال : اجعلوا علو أخلاقكم كعلو أخطاركم ، وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم ، وفضل سعيكم كفضل جدكم .

وقيل : إن ملك سابور كان إحدى وثلاثين سنة ونصفاً وثمانية عشر يوماً . ثم ملك بعد سابور ابنه « هرمز » [بن سابور] الملقب بالبطل ، وكان ملكه سنة ، وقيل : اثنين وعشرين شهراً ، وبني مدينة رامهرمز من كور الأهواز .

هرمز

وكتب إلى بعض عماله : لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وإبرام الأمور وتديير الأقاليم إلا رجل تكاملت فيه خمس خصال : حزم يتيقن به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات إلا عند تجلي فرصتها ، وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائنحها ، وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما ، وجود يهون عليه بتديير^(١) الأموال في حقها .

ثم ملك بعده بهرام بن هرمز ثلاث سنين ، وكانت له حروب مع ملوك الشرق .

بهرام

وقد ذكرنا أن بهرام أتاه ماني بن يزيد تلميذ قاردون^(٢) فعرض عليه مذاهب الثنوية [فأجابه احتيالا منه عليه إلى أن أحضر دعائه المتفرقين في البلاد من أصحابه الذين يدعون الناس إلى مذاهب الثنوية]^(٣) فقتله ، وقتل الرؤساء من أصحابه ، وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي إليه أضيف الزنادقة ، وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن أسبيان — على حسب ما قدمنا من نسبه فيما

الزندقة

(١) في ب « وجود يهريق عليه تديير الأموال في حقها » .

(٢) في ب « ماني بن فديك تلميذ ماردون » (٣) زيادة في ا وحدها

سأف من هذا الكتاب - بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية، وعمل له التفسير، وهو الزند، وعمل لهذا التفسير شرحاً سماه البازند، على حسب ما قدمنا، وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل، وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند، قالوا: هذا زندي، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التزويل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق، وعربوه، والثنوية هم الزنادقة، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم، وأبى حدوث العالم.

بهرام
ابن بهرام

ثم ملك بعده « بهرام » بن بهرام، وكان ملكه سبع عشرة سنة، وقيل غير ذلك، وأقبل في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة، لا يفكر في ملكه، ولا ينظر في أمور رعيته، وأقطع الضياع لخواصه ومن لا ذبه من خدمه وحاشيته، فخربت الضياع، وخت من عمارها، وسكنوا الضياع المتعززة، فقلت العمارة إلا ما أقطع من الضياع، وسقطت عنهم المطالبة بالخراج بممايلة الوزراء خواص الملك، وكان تدير الملك مفوضاً إلى وزراءه؛ فخربت البلاد، وقلت العمارة وقل ما في بيوت الأموال، فضعف القوى من الجنود، وهلك الضعيف منهم، فلما كان في بعض الأيام ركب [الملك] إلى بعض منتزهاته وصيده، فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن، وكانت ليلة قمرًا، فدعا بالموبدان^(١) لأمر خطر يباله فلحق به وسأله، وأقبل على محادثته^(٢)، مستخبراً له عن سير أسلافه، فتوسطوا في سيرهم خربات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مملكته، ولا أنيس بها إلا البوم، وإذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخربات، فقال الملك للموبدان: أرى أحداً من الناس أعطى فهمً منطلق هذا الطير المصوت في هذا

(١) في « فدعا بالمويذ ».

(٢) في « وأقبل عليه بحادثه ».

الليل الهادي؟ فقال له الموبدان : أنا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك ، فاستفهمه الملك عما قال ، فأعلمه أن قوله صحيح ، فقال له : فما يقول هذا الطائر؟ وما الذي يقول الآخر؟ قال الموبدان : هذا يوم ذكرى يخاطب بومة، ويقول لها : أمتعيني من نفسك حتى يخرج منا أولاد يسبحون الله ، ويبقى لنا في هذا العالم عقبٌ يكثرُونَ ذكرنا [والترحم علينا] فأجابته البومة : إن الذي دعوتني إليه هو الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر ، في العاجل والآجل ، إلا أنني أشرت عليك خصلاً إن أنت أعطيتنيها أحببتك إلى ما دعوتني إليه، فقال لها الذي ذكر : وما تلك الخصال؟ قالت : أولها إن أنا أبحتك نفسي وصرت إلى ما إليه دعوتني تضمن لي أن تعطيني من خربات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد ، فقال له الملك : فما الذي قال لها الذي ذكر؟ قال الموبدان : كان من قواه لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك^(١) مما يخرب من الضياع ألف قرية ، فما تصنعين بها؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل ، وكثرة الولد ، فنقطِع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخربات ، قال لها الذي ذكر : هذا أسهل أمر سألتنيهِ^(٢) ، وأيسر أمر طلبته^(٣) مني ، وقدمت لك الوعد وأنا مليء بذلك ، فهاتي ما بعد ذلك ؛ فهدأ سمع الملك هذا الكلام من الموبدان عمل في نفسه ، واستيقظ من نومه ، و فكر فيما خوطب به ، فنزل من ساعته ، وترجّل للناس ، و خلا بالموبدان فقال له : أيها القيم بالدين ، والناصح للملك ، والمنبه على ما أغفاه من أمور ملكه ، وأضاعه من أمر بلاده ورعيته، ما هذا [الكلام] الذي خاطبتني به؟ فقد حركت مني ما كان ساكناً، وبعثتني على علم ما كنت عنه غائباً ، قال الموبدان : صادفت من الملك السعيد جده وقت سعدٍ للعباد والبلاد ، فجعلت الكلام مثلاً وموقظاً على لسان الطائر عند طلب الملك

(١) في ا « أقطعتك » .

(٢) في ب « أردتبه » والوجه في العربية « أردته » .

(٣) في ا ، ب « طلبته » والوجه في العربية « طلبته » بكسر التاء بدون ياء

منى جواب ما سأل ، ثم قال له الملك : أيها الناصح ، اكشِفْ لى عن هذا الغرض الذى إليه رميت ، والمعنى الذى له قصدت ، ما المراد منه ؟ وإلى ماذا يؤول ؟ قال الموبدان : أيها الملك السعيد جده ، إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية والقيام لله تعالى بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز الملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة ، نصبه الربُّ وجعل له قِيماً^(١) ، وهو الملكُ ، قال الملك : أما ما وصفت فحق ، فأين لى عما تقصد ، وأوضح لى فى البيان ، قال الموبدان : نعم أيها الملك ، عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمَّارها ، وهم أرباب الخراج وَمَنْ تُوخَذُ مِنْهُمُ الْأَمْوَالُ ، فأقطعها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم ، فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها ، واستعجلوا المنفعة ، وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصاح الضياع ، وسومحوا فى الخراج ؛ لقربهم من الملك ، ووقع الخيفُ على من بقى من أرباب الخراج وعمار الضياع ، فأنجلوا عن ضياعهم ، ورحلوا عن ديارهم^(٢) ، وآووا إلى ما تعزز من الضياع [بأربابها] فسكنوه ، فقات العمارة ، وخربت الضياع ، وقات الأموال ، فهلكت الجند والرعية ، وطمع فى ملك فارس مَنْ أطاف بها من الملوك والأمم ؛ لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك ، فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبدان أقام فى موضعه ذلك ثلاثاً ، وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين ، وأحضرت الجرائد ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية ، وردَّتْ إلى أربابها ، وجروا على رسومهم^(٣) السالفة ، وأخذوا فى العمارة ، وقوى من ضعف منهم ، فعمرت الأرض ، وأخصبت البلاد ، وكثرت الأموال عند جباية الخراج^(٤) .

(١) فى ب « وجعله قديماً وهو الملك » وليس بشيء .

(٢) فى ا « واخلوا ديارهم » (٣) فى ا « وحملوا على رسومهم السالفة »

(٤) فى ا « جباية الخراج » .

وقويت الجنود ، وقطعت مواد الأعداء ، وشجنت الثغور ، وأقبل الملك يباشر الأمر بنفسه فى كل وقت من الزمان ، وينظر فى أمر خواصه وعوامه ، فحسنت أيامه ، وانتظم مملكه ، حتى كانت تدعى أيامه أعياداً ؛ لما عم الناس من الخصب [والإفضال] وشملهم من العدل .

جماعة من ملوك الفرس

ثم ملك بعده بهرام بن الملك بهرام بن بهرام [فكان ملكه إلى أن هلك] أربع سنين ، وأربعة أشهر^(١) . ثم ملك بعده نرسی بن بهرام الملك ابن بهرام البطل ، وكان ملكه سبع سنين [وقيل] ونصفاً . ثم ملك بعده هرمز بن نرسی بن بهرام ، على ما ذكرنا من النسب ، وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر . و ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر كسرى أن كل من ذكرنا من ملوك [آل] ساسان إلى هذا الملك — وهو هرمز ابن نرسی — كانوا ينزلون جنديسابور من بلاد خوزستان ، وقد كان يعقوب بن الليث الصفار أراد سكنى جنديسابور متشبهاً بمن مضى من ملوك ساسان ، إلى أن مات بها . وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه إياها ووفاته فيها .

سابور ذوالأكتاف

ثم ملك بعد هرمز بن نرسی ابنه سابور بن هرمز ، وهو سابور ذو الأكتاف ، وكان ملكه إلى أن هلك اثنين وسبعين سنة . وخلفه والده حملاً ، فغابت العرب على سواد العراق ، وقام الوزراء بأمر التدبير ، وكانت جمهرة العرب ممن غلب على العراق ولد إياد بن نزار ، وكان يقال لها « طبق » لإطباقها على البلاد ، وملكها يومئذ الحارث بن الأغر الإيادى ، فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعدَّ أساورته بالخروج إليهم^(٢) والإيقاع بهم ، وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق ، وكان فى حبس سابور^(٣) رجل منهم يقال له لقيط ، فكتب إلى إياد شعراً ينذرهم به ، ويعلمهم خبر من يقصدهم ، وهو :

(١) الزيادة فى اوحدها ، وفيها « أربعة أشهر » دون « أربع سنين »

(٢) فى ا « للخروج إليهم والإيقاع بهم »

(٣) فى ا « فى جيش سابور »

سلام في الصحيفة من لقيط على من في الجزيرة من إياد
 بأن الليث يأتيكم دلافا فلا يحسبكم شوك القتاد
 أتاكم منهم سبعمون ألفاً ينجرون الكتاب كالجراد^(١)
 على خيل ستاتيكم ؛ فهذا أوان هلاككم كهلاك عاد^(٢)
 فلم يعبوا بكتابه ، وسراياه تكرر نحو العراق وتغير على السواد ، فلما
 تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتاباً يخبرهم [فيه] أن القوم قد عسكروا ،
 وتحشدوا لهم^(٣) ، وأنهم سارون إليهم ، وكتب لهم شعراً أوله :
 يادار عمرة من تذاكرها الجرعا هيجت لي الهم والأحزان والوجعا^(٤)
 أبلغ إياداً وحلل في سراتهم أنى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا
 ألا تخافون قوماً لا أبا لكم مشوا إليكم أمثال الدبى سرعاً
 لو أن جمعهم راموا بهدتهم شم الشمارىخ من شهالان لانصدعا
 قتلوا أمرم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
 فأوقع بهم ، فعمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ،
 وخاع بعد ذلك أكتاف العرب ، فسمى بعد ذلك سابور ذا الأكتاف .
 وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق من تميم ليثبوا بعلى
 ابن أبي طالب رضى الله عنه ! فبلغ ذلك علياً رضوان الله عليه ، فقال في بعض
 مقاماته في كلام له طويل :

إن حيا يرى الصلاح فسادا أو يرى النى في الأمور رشادا^(٥)
 لقريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد إيادا

(١) في ا ه يزجون الكتاب كالجراد .

(٢) في ا ه على خيل تيتكم .

(٣) في ا ه وحشدوا لهم .

(٤) في ا ب « يادار عملة » وفيها « الجزعا » وهما تحريف ما أثبتناه .

(٥) في ب « إن خبا » محرفاً ، وفي ا ه « أو يرى النى في الأمور

سداداً .

وقد كان سابور في مسيره في البلاد أتى على بلاد البحرين ، وفيها يومئذ بنو تميم ، فأمن في قتلهم ، وفرت بنو تميم ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر ، وله يومئذ ثلثمائة سنة ، وكان يعاقب في عمود البيت في قفة قد أخذت له ، فأرادوا حمله ، فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم ، وقال : أنا هالك اليوم أو غداً ، وماذا بقي لي من فسحة العمر ؟ ولعل الله ينجيك بي من صولة هذا الملك المسلط على العرب ، فخلوا عنه ، وتركوه على ما كان عليه ، فصبحت خيل سابور الديار ، فنظروا إلى أهلها وقد ارتحلوا ، ونظروا إلى قفة معاقبة في شجرة ، وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها ، وهممة الرجال ، فأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه ، وجاءوا به إلى سابور ، فلما وُضع بين يديه نظر إلى دلائل الهرم ومرور الأيام عليه ظاهرة^(۱) ، فقال له سابور : مَنْ أنت أيها الشيخ الفاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مر^(۲) ، وقد باغت من العمر ما ترى ، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل وشدة عقوبتك إياهم ، وآثرتُ الفناء على يدك ليبقى مَنْ مضى من قومي ، ولعل الله ملك السماوات والأرض يُجري على يدك فرجهم ، ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم ، وأنا سائلك عن أمر إن أذنت لي فيه ، فقال له سابور : قل يُسمع^(۳) منك ، فقال له عمرو : ما الذي يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب ؟ فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلاذى وأهل مملكتي ، فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم ، فلما بلغت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ، قال سابور : أقتلهم لأنا ملوك الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب سُتدال علينا ، وتكون لهم الغلبة على ملكنا ، فقال عمرو : هذا أمر تتحققه أم تظنه^(۴) ، قال : بل أتحققه ولا بد أن يكون ذلك ، قال له عمرو : فإن كنت تعلم ذلك فلم تسيء إلى العرب ؟ والله لأن تُبقي على العرب جميعاً

(۲) في ا « بن مرة » وليس بشيء

(۱) في ا « بينة » .

(۴) في ب « تستحقه أو تظنه » محرفاً

(۳) في ا « قل نسمع منك » .

وَمَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فَيَكْفُتُونَ عِنْدَ إِدَالَةِ الدَّوْلَةِ لَمْ قَوْمَكَ بِإِحْسَانِكَ، وَإِنْ أَنْتَ طَالَتْ بِكَ الدَّهْرَ كَأَفْئُوكَ عِنْدَ مَصِيرِ الْمَلِكِ إِلَيْهِمْ ، فَيَبْقُونَ عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ حَقًّا - كَمَا تَقُولُ - فَهُوَ أَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ ، وَأَنْفَعُ فِي الْعَاقِبَةِ، وَإِنْ كَانَ بِاطِّلَا فَلَمْ تَتَعْجَلِ الْإِثْمَ وَتَسْفِكَ دِمَاءَ رَعِيَّتِكَ ؟ فَقَالَ سَابُورُ : الْأَمْرُ صَحِيحٌ، وَهُوَ كَأَنَّ لَكُمْ ، وَالرَّأْيَ مَا قُلْتَ ، وَلَقَدْ صَدَقْتَ فِي الْقَوْلِ، وَنَصَحْتَ فِي الْخُطَابِ، فَنَادَى مَنَادِي سَابُورُ بِأَمَانِ النَّاسِ ، وَرَفَعَ السِّيفَ ، وَالْكَفَّ عَنِ قِتَالِهِمْ ، وَيُقَالُ : إِنْ عَمِرَ بَقِي فِي هَذَا الْعَالَمِ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَقِيلَ : أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَسَارَ سَابُورُ نَحْوَ بِلَادِ الشَّامِ ، فَانْفَتَحَ الْمَدِينُ ، وَقَتَلَ خَلَائِقَ مِنَ الرُّومِ، ثُمَّ طَالَبَتْهُ نَفْسُهُ بِالْدُخُولِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ مَتَنَكِرًا لِيَعْرِفَ أَخْبَارَهُمْ وَسِيرَهُمْ، فَتَنَكَّرَ، وَسَارَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَصَادَفَ وَلِيمَةَ لَقِيصَرٍ قَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ فِي جَمَلَتِهِمْ ، وَجَاسَ عَلَى [بَعْضِ] مَوَائِدِهِمْ، وَقَدْ كَانَ قِيصَرٌ أَمْرًا مَصُورًا أَتَى عَسْكَرَ سَابُورٍ فَصَوَّرَهُ لَهُ، فَلَمَّا جَاءَ قِيصَرٌ بِالصُّورَةِ أَمْرًا بِهَا فَصَوَّرَتْ عَلَى آتِيَةِ الشَّرَابِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَتَى مِنْ كَانَ عَلَى الْمَائِدَةِ الَّتِي عَلَيْهَا سَابُورُ بِكَأْسٍ ، فَنَظَرَ بَعْضُ الْخُدَمِ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي عَلَى الْكَأْسِ وَسَابُورٍ مُقَابِلَ [لِ] عَلَى الْمَائِدَةِ، فَمَجَّبَ مِنْ اتِّفَاقِ الصُّورَتَيْنِ، وَتَقَارَبَ الشَّكْلَيْنِ ^(١) ، فَقَامَ إِلَى الْمَلِكِ، فَأَخْبَرَهُ، فَأَمْرًا بِهِ ، فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ خَبْرِهِ ، فَقَالَ : أَنَا مِنْ أَسَاوَةِ سَابُورٍ اسْتَحَقَّقْتُ ^(٢) الْعُقُوبَةَ لِأَمْرٍ كَانَ مِنِّي ، فَدَعَانِي ذَلِكَ إِلَى الدُّخُولِ إِلَى أَرْضِكُمْ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَقَدَّمَ إِلَى السِّيفِ فَأَقْرَّ ، فَجَعَلَهُ فِي جِلْدِ بَقْرَةٍ، وَسَارَ قِيصَرٌ فِي جُنُودِهِ حَتَّى تَوَسَّطَ الْعِرَاقَ ، وَانْفَتَحَ الْمَدَائِنَ ، وَشَنَّ الْفَارَاتَ، وَعَضَّدَ النَّخْلَ ^(٣) ، وَانْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ

(١) فِي ١ هـ الشَّيْبَانِ .

(٢) هَكَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ١ ، وَوَقَعَ فِي ب هـ اسْتَحَقَّقْتُ .

(٣) فِي ١ هـ وَعَقَرَ النَّخْلَ .

جندی سابور، وقد تحصن بها وجوه فارس، فنزل عليها وحضر عيد لهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها، فأغفل الموكلون أمر سابور، وأخذ الشراب منهم، وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس، فخطبهم أن يحل بعضهم بعضاً، وشجعهم، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاً من الزيت كانت هناك ففعلوا، فلان عليه الجلد وتخلص، وأتى المدينة وهم يتحارسون على سورها فخطبهم، فعرفوه ورفعوه بالحبال إليهم، ففتح أبواب خزائن السلاح، وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش، والروم غارون مطمئون^(١)، فكبس الجيش عند ضرب النواقيس، فأنوه بقيصر أسيراً، فاستحياء وأبقى عليه، وضم إليه من أفلت من القتل من رجاله، ففرس قيصر بالعراق الزيتون بدلًا مما عضده من النخل فيها، ولم يكن يُعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك، وبنى شاذروان مدينة تتر^(٢) لنهرها، والشاذروان هو المسناة العظيمة، والكر من الحجر والحديد والرصاص، وعمر ما أخرّب، في أخبار بطول ذكرها، وانصرف قيصر نحو الروم. وقد ذكر في بعض الأخبار أن سابور ربق قيصر^(٣)، وقطع أعصاب عقبه أو رقها، وأن الروم لا تربق دوابها، ولاتابس الخفاف المعقبة، وفي ذلك يقول الحارث بن جندة المعروف بالهرمزان :

هُمُ مَلِكُوا جَمِيعَ النَّاسِ طَرَا وَهُمْ رَبَقُوا هَرَقَلًا بِالسَّوَادِ
وَهُمْ قَتَلُوا أَبَا قَابُوسَ غَضَبًا وَهُمْ أَخَذُوا الْبَسِيطَةَ مِنْ إِيَادِ
وَفِي فِعْلِ سَابُورٍ وَتَفْرِيرِهِ بِنَفْسِهِ فِي دَخُولِهِ إِلَى أَرْضِ عَدُوهِ مَتَجَسِّسًا يَقُولُ

بعض المتقدمين من شعراء أبناء فارس :

وَكَانَ سَابُورٌ صَفْوًا فِي أَرُومَتِهِ اخْتِيرَ عَنْهَا فَأُضْحِيَ غَيْرَ مُخْتَارِ
إِذْ كَانَ بِالرُّومِ جَاسُوسًا يَجُولُ بِهِ حَزَمَ الْمَنِيَةَ مِنْ ذِي كَيْدِ مَكَارِ

(١) في الأ والروم قارون مطمئون .

(٢) في الأ تتر .

(٣) في الأ ربق قيصر .

فاستأسروه وكانت كبوة عجباً وزلة سبقت من غير عذار^(١)
 فأصبح الملك الرومي معترضاً أرض العراق على هول وأخطار^(٢)
 فراطن الفرس بالأبواب فافترقوا كما تجاوب أسد الغاب في الغار^(٣)
 فجذ بالسيف أمر الروم فامتتحقوا لله درك من طلاب أوتار^(٤)
 إذ يفرسون من الزيتون ماعضدوا من النخيل وما حفوا بمنشار^(٥)
 وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة رآمد وغيرها من بلاد الروم ، ونقل
 خلقاً من أهلها ، وأسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور
 الأهواز ، فتناسلوا وقطنوا تلك الديار ، فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري
 وغيره من أنواع الحرير يعمل بتستر ، والنخز بالسوس ، والستور والفرش
 ببلاد نصيبين ، ومكث إلى هذه الغاية ، وقد كان من قبله من ملوك
 الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الأولى يسكن بطيسون^(٦) ، وذلك
 بغربي المدائن من أرض العراق ، فسكن سابور في الجانب الشرقي من
 المدائن ، وبني هناك الإيوان المعروف بإيوان كسرى إلى هذه الغاية ، وقد
 كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الإيوان ، وقد كان الرشيد
 نازلاً على دجلة بالقرب من الإيوان ، فسمع بعض الخدم من وراء السرادق
 يقول لآخر : هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه
 إلى السماء ، فأمر الرشيد بعض الأستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصاً ،
 وقال لمن حضره : إن الملك نسبة ، والملوك به إخوة ، وإن الغيرة بعثتني
 على أدبه لصيانة الملك ، وما يلحق الملوك للملوك .
 وذكر عن الرشيد بعد القبض على البرامكة أنه بعث إلى يحيى بن خالد بن

(١) كذا في ب ، ووقع في ا « من غير غمار » .

(٢) في ا « وأصبح الملك الرومي مقترباً » .

(٣) في ا « فراطن الفرس بالإيوان » .

(٤) في ا « جذ بالسيف أصل الروم » .

(٥) في ا « ما عقروا من النخيل » . (٦) في ب « بطيسون » .

برمك ، وهو في اعتقاله ، يشاوره في هدم الإيوان ، فبعث إليه : لا تفعل ، فقال الرشيد لمن حضره : في نفسه لجوسية ، والخنو عليها ، والمتع من إزالة آثارها ، فشرع في هدمه ، ثم نظر فإذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة ، فأمسك عن ذلك ، وكتب إلى يحيى يعلمه ذلك ، فأجابه بأن ينفق في هدمه ما بلغ من الأموال ، ويحرص على فعله ، فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره ، فبعث إليه يسأله^(١) عن ذلك ، فقال : نعم ، أما ما أشرتُ به في الأول فإني أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعْدُ الصيت ، وأن يكون من يردُّ في الأعصار ويطرأ من الأمم في الأزمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول : إن أمة قهرت أمة هذا بنيانها فأزالت رسومها واحتوت على ملكها لأمة عظيمة شديدة منيعة ، وأما جوابي الثاني فأخبرت أنه قد شرع في هدمه ثم عجز عنه ، فأردت نفي العجز عن أمة الإسلام ؛ لئلا يقول من وصفت ممن يرد في الأعصار : إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس^(٢) ، فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال : قاتله الله تعالى ! فما سمعته قال شيئاً قط إلا صدق فيه ، وأعرض عن هدمه ، وسابور هو الذي بنى [مدينة] نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق .

أردشير

ثم ملك بعد [سابور بن هرمز] أخوه أردشير بن هرمز ، وكان ملكه إلى أن خلع أربعين^(٣) سنة ، ثم ملك بعده سابور بن سابور ، خمس سنين [وقيل : وأربعة أشهر] ، وكانت له حروب كثيرة مع إياد بن نزار وغيرها من العرب ، وفيه يقول شاعر إياد :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قبابُ إيادٍ حولها الخليل والنعم
ويقال : إن هذا الشعر قاله نفر قد لحقوا بأرض الروم حين أوقع بهم سابور ذو الأكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا إلى ديارهم ، وانضافوا إلى

(١) في ب « يسأله » .

(٢) في ب « بنتها فارس » .

(٣) في ا « أربع سنين » .

ربيعة من ولد بكر بن وائل ، وإن ربيعة كانت قد غابت على السواد ،
وشنت الغارات في ملك سابور بن سابور ، فقال شاعر إياد في ذلك
ما وصفنا ، وهم داخلون في جملة ربيعة ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم
بالصحيح منه .

ثم ملك بعده بهرام بن سابور ، وكان ملكه عشر سنين^(١) ، وقيل : بهرام
إحدى عشرة سنة .

ثم ملك بعده يزدجرد بن سابور ، المعروف بالأثيم ، وكان ملكه إلى أن
هلك إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقيل : اثنتين
وعشرين سنة غير شهرين .

ثم ملك بعده بهرام بن يزدجرد [وهو بهرام جور] ، فكان ملكه
ثلاثاً وعشرين سنة [وقيل : تسع عشرة سنة] ومَلَكَ وهو ابن عشرين
سنة ، وغاص هو وفرسه في حومة حماة في بعض أيام صيده ، فجزعت عليه
فارس ، لما [كان] نَمَّهاً من عدله ، وشملها من إحسانه ورأفته برعيته ،
واستقامة الأمور في أيامه ، وقد كان خرج في أيامه خاقان ملك الترك إلى
الصفد ، وشن الغارات في بلاده ، وقيل : إنه أتى إلى بلاد الري ، وإن
بهرام كتب أجناده وتنكب الطريق في اليسير من جريدة أصحابه حتى أتى
على خاقان في جنوده ، وسار نحو العراق برأسه ، فهابته ملوك الأرض ،
وهادنه قيصر ، وحمل إليه الأموال ، وقد كان بهرام قبل ذلك دخل إلى
أرض الهند متنكراً ، ولأخبارهم متعريفًا ، واتصل بشيرمة ملك من ملوك
الهند ، فأبلى بين يديه في حرب من حروبه ، وأمكنه من عدوه ، فزوجه
ابنته على أنه بعض أساورة فارس ، وكان نشؤه مع العرب بالحيرة ، وكان
يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات ، وكان على خاتمه مكتوب :
بالأفعال تعظم الأخبار . وله أخبار في أخذه الملك بعد أبيه وتناوله التاج^(٢)
والراية . وقد وضعنا بين سبْعَيْنِ^(٣) وأخبار غير ذلك . وسير بطول ذكرها .

(١) في ب ٥ عشرين سنة . (٢) في ا ٥ التاج والبدنة .

(٣) في ب ٥ وضعنا بين يديه .

ولأية علة سمي بهرام جور . وما أحدث من الرمي بالتشاب في أيامه . ومن
النظم^(١) في داخل القوس وخارجها . وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا
« أخبار الزمان » والكتاب الأوسط . وما قالت الفرس والترک في بنية
القوس ، وأنها مركبة على الطبائع الأربع كطبائع الإنسان ، وما ذهبوا
إليه من أنواع الرمي وكيفية ، ومما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم
ظفره بخاقان وقتله له :

أقول له لما فضضت جموعه كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإني حامي ملك فارس كلها وماخير ملك لا يكون له حام ؟
وقوله أيضاً :

لقد علم الأنام بكل أرض بأنهم قد أضحوا لي عبدا
ملكتم ملوكهم ، وقهرت منهم عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تُقعى حذارى وترهب من مخافتى الورودا^(٢)
وكنت إذا تشاوس ملك أرض عبأت له الكتاب والجنودا^(٣)
فيعطيني المقادة أو أوافي به يشكو السلاسل والقيودا
وله أشعار كثيرة بالعربية والفارسية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع
طلباً للإيجاز .

ثم ملك بعده يزدجرد بن بهرام ، وكان ملكه تسع عشرة سنة . وقيل :
ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقد كان بنى حائطاً باللين
والطين بناحية الباب والأبواب على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب في ذكرنا للباب والأبواب وجبل القبخ^(٤) ، وأحضر يزدجرد بن
بهرام رجلاً من حكماء عصره كان في أقصى مملكته آخذاً من أخلاقهم
ومقتبس الرأي منه يسوس به رعيته ، فقال له يزدجرد وقد مثل بين يديه :

(١) في ١ « ومن النظر في داخل القوس » . (٢) في ١ . تبغى حذارى .

(٣) في ١ ، تشاوش ملك أرض . . . (٤) في ب « جبل القبخ » .

أيها الحكيم الفاضل ، ما صلاح الملك ؟ فقال : الرفق بالرعية ، وأخذ الحق منهم من غير مشقة ، والتودد إليهم بالعدل ، وأمن السبل ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، قال : فما صلاح أمر الملك ؟ فقال : وزراؤه وأعوانه ؛ فإنهم إن صلحوا صلح ، وإن فسدوا فسد ، وقال له يزدجرد : إن الناس قد أكثروا في أسباب الفتن ، فصف لي ما الذي يَسْبُها وينشئها ، وما الذي يسكنها ويدفعها^(١) ، قال : يَسْبُها ضغائن [و] ينشئها جرأة عامة ولداها استخفاف بخاصة ، وأكدها انبساط الألسن بضائر القلوب ، وإشفاق موسر ، وأمل مُعسر ، وعفلة ملتذ ، وبقظة محروم ، والذي يسكنها أخذ العدة لما يُخَاف قبل حلوله ، وإيثار الجذ حين يلتذ الهزل ، والعمل بالحزم في الغضب والرضا. ثم ملك بعده هرمز بن يزدجرد ، فنازعه أخوه فيروز ، فقتله وولى الملك ، وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام ، وكان ملك فيروز إلى أن هلك على يدى ملك الهياطلة أخشنواز^(٢) بمرور الروذ من بلاد خراسان سبعمائة وعشرين سنة^(٣) ، والهياطلة هم الصغد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

بلاس

ثم ملك بلاس بن فيروز الملك ، وكان ملكه أربع سنين .

قباد

ثم ملك قباد بن فيروز ، وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق ، وإليه تضاف المزدكية ، وله أخبار مع قباد ، وما أحدثه في العامة من النواميس والحيل إلى أن قتله أنوشروان في ملكه ، وكان ملك قباد إلى أن هلك ثلاثاً وأربعين سنة .

أنوشروان

ثم ملك بعده ولده أنوشروان بن قباد بن فيروز ثمانياً وأربعين سنة ، وقيل : سبعمائة وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد كان قباد خلع من ملكه وأجلس بدله أخ له يقال له جاماسب^(٤) نحواً من سنتين ، لأمر كان من مزدك وأصحابه ، فظاهر أنوشروان بزرجهر بن سرحو^(٥) حتى أعيد قباد إلى ملكه في خبر طويل ، ولما ملك أنوشروان قتل مزدك وأتبعه ثمانين

(١) في ا ه ويدفعها . (٢) في ب « باحمران .

(٣) في ا ه تسعاً وعشرين سنة . (٤) في ب « جاماست .

(٥) في ا ه فسافر أنوشروان لزر مهر بن سوجرى .

ألفاً من أصحابه ، وذلك بين حادر والنهروان^(۱) من أرض العراق ، فسمى من ذلك اليوم أنوشروان ، وتفسير ذلك جديد^(۲) الملوك ، وجمع أهل مملكته على دين المجوسية ، ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل^(۳) ، وسار نحو الباب [والأبواب] وجبل القبخ^(۴) لما كان من غازات من هنالك من الملوك على بلاده ، فبنى السور [في البحر] على أزقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص ، فكلما ارتفع البناء نزلت تلك الأزقاق إلى أن استقرت في قرّار البحر ، وقد ارتفع السور على الماء ، وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين إلى تلك الأزقاق فشققتها ، وتمكن السور على وجه الماء في قرّار البحر ، وهو باقٍ إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ويسمى هذا الوضع من السور في البحر الصد^(۵) مانعاً للمراكب في البحر إن وردت من بعض الأعداء ، ثم مد السور في البر^(۶) ما بين جبل القبخ^(۴) والبحر ، وجعل فيه الأبواب مما يلي الكفار ، ثم مد السور على جبل القبخ^(۴) على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار جبل القبخ^(۴) والباب ، وكان لأنوشروان خبر مع ملوك الخزر إلى أن تأتي له هذا البناء ، وقيل : إنه بنى ذلك بالرهبة وإذعان من هنالك من الأمم [له] .

وانصرف أنوشروان إلى العراق ، ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك ، وكان فيمن وفد إليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا وألطف ، فنظر الرسول إلى إيوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه ، فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعاً ، فقيل له : إن عجوزاً لها منزل من جانب الاعوجاج منه ، وإن الملك أرادها على بيعه ، وأرغبها ، فأبّت ، فلم يكرهها الملك ، وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى ، فقال الرومي : هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء .

(۱) في « بين جازر والنهروان » . (۲) في « جديد الملك » .

(۳) في « الحجاج في الملك » . (۴) في « جبل القبخ » .

(۵) في « القيد » . (۶) في « مد السور في البحر » .

وسار أنوشروان في بلاده ، ودار مملكته^(١) ، فأحكم البنيان ، وشيد القلاع والحصون ، ورتب الرجال [وغدر بقيصر ، فسار نحو الجزيرة ، فافتتح ما هنالك من المدن ، وانتهى إلى الفرات]^(٢) فعبّر إلى الشام فافتتح بها المدن ، وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وقامية ، وهي بين أنطاكية وحمص ، وسار إلى أنطاكية وحاصرها ، وفيها [ابن] أخت لقيصر ، فافتتحها ، وافتتح مدينة عظيمة كثيرة العمران عجبية البنيان كانت في ساحل أنطاكية رسوما بينة إلى هذه الغاية ، وأثرها قائم ، تدعى سلوقية ، وأقبل ينتح المدائن بالشام وأرض الروم ، ويقتم الغنائم والجواهر والأموال ، وبذل السيف ، وبث عساكره وسراياه ، فهادنه قيصر ، وحمل إليه الخراج والجزية ، فقبل ذلك منه ، ونقل من الشام المرمر [والرخام] وأنواع الفسيفساء والأحجار ، والفسيفساء : هي شيء يطبخ من الزجاج والأحجار ذو بهجة وألوان يدخل فيما فرش من الأرض والبنيان كالنصوص ، ومنه على هيئة الجمامات شاف^(٣) ، وحمل ذلك إلى العراق ، فبنى مدينة نحو المدائن سماها برومية ، وجعل بيئاتها وما داخل سورها بما ذكرنا من أنواع الأحجار ، يحكى بذلك أنطاكية وغيرها من المدن في الشام ، وهذه المدينة سورها من طين قائم إلى هذا الوقت خراب ، وباق يعرف بما ذكرنا ، وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه ، وهادته ملوك الهند والشمال والجنوب وسائر الممالك ، وحملت إليه الهدايا ، ووفدت إليه الوفود خوفاً من صولته وكثرة جنوده وعظم مملكته ، ولما ظهر^(٤) من فعاه بالممالك ، وقتله الملوك ، وانقياده إلى العدل ، وكتب إليه ملك الصين : من فففور^(٥) ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر ، الذي يجرى في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين ، والذي تخدمه بنات ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه كسرى

(١) في ب ه ودار في مملكته ه .

(٢) زيادة في ا وحدها .

(٣) في ب ه ولما يظهر ه .

(٤) في ب ه يعبور ه .

أنو شروان ، وأهدى إليه فرساً من در منضداً ، عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر ، وقائم سيفه من زمرد^(١) منضد بالجواهر ، وثوب حرير صيني عسجدي^(٢) فيه صورة الملك جالساً في أيوانه ، وعليه حليته وتاجه ، وعلى رأسه الخدم ، وبأيديهم المذاب ، والصورة منسوجة بالذهب ، وأرض الثوب لازورد ، في سقف من ذهب ، تحمله جارية تغيب في شعرها ، تتلألاً جمالا ، وغير ما ذكرنا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك إلى أكتافها ، وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند ، وعظيم أرا كنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر . إلى أخيه ملك فارس وصاحب التاج والراية كسرى أنوشروان ، وأهدى إليه ألف من عود هندي يذوب في النار كالشمع ، ويحتم عليه كما يحتم على الشمع فتبين فيه الكتابة ، وجاما من الياقوت الأحمر فتحه شبر مملوءاً دراً ، وعشرة أمانان كافور كالفسق وأكبر من ذلك ، وجارية طولها سبعة أذرع^(٣) تضرب أشفار عينيها خدها ، وكان بين أحفانها لمعان البرق من بياض مقاتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها وإتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفرشاً من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشي ، وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي ، مكتوب بالذهب الأحمر ، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين ، وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب ، لحاؤه أرق من الورق الصيني ، تتكاتب فيه ملوك الصين والهند . وورد عليه وهو في عسكره محارباً لبعض أعدائه كتاب ملك التبت : من خاقان ملك تبت^(٤) ومشارك الأرض المتاخمة للصين والهند . إلى أخيه المحمود في السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة للأقاليم السبعة^(٥) . وأهدى إليه أنواعاً من العجائب التي تحمل من أرض تبت منها

(١) في ب « من نابت منضد بالجواهر » .

(٢) في ب « عثريا » . (٣) في ب « سبعة أشبار »

(٤) في ب « ملك تبتان » . (٥) في ب « المملكة المتوسطة والأقاليم السبعة »

مائة جوشن تبتية ، ومائة قطعة نجافيف^(١) ، ومائة ترس^(٢) تبتية [مذهبة] ، وأربعة آلاف من المسك [الخزائني] في نوافج غزلانه .

وقد كان أنوشروان سار إلى ماوراء نهر بلخ ، وانتهى إلى ختلان^(٣) ، وقتل أخشنواز^(٤) ملك الهياطلة بجده فيروز ، وملك مملكته فأضافها إلى ملكه .

وقد كان نقل إليه من الهند كتاب كليله ودمنة والشرنج ، والخضاب الأسود المعروف بالهندي ، وهو الخضاب الذي يلصع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ، ولا ينصل منه شيء .

ويحكى أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب .

وكان لأنوشروان مائدة من الذهب عظيمة عايبها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها : ليهنه طعامه من أكله من حله ، وعاد على ذوى الحاجة من فضله ، ما أكلته وأنت تشبهه فقد أكلته ، وما أكلته وأنت لا تشبهه فقد أكلك ، وكان له خواتم أربعة : خاتم للخراج فضه^(٥) من العقيق ونقشه العدل ، وخاتم للضياع فضه فيروزج نقشه العارة ، وخاتم للمعونة فضه ياقوت كحلي نقشه التاني ، وخاتم للبريد فضه ياقوت أحمر [يتقد] كالنار نقشه الرجاء^(٦) ، ووضع أنوشروان على العراق وضائع الخراج فالزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما ، والأرز نصفاً وثالثاً ، ولكل أربع نخلات فارسية درهما ، وكل ست نخلات دقل درهما ، وكل ست أصول زيتون درهما ، والكرم ثمانية دراهم ، والرطب سبعة دراهم ، فهذه سبعة أنواع من الغلات ، وترك ما عداها ؛ إذ كانت لقمم الناس^(٧) والبهائم ، وكان أنوشروان يدعى كسرى الخير ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، ففي ذلك يقول عدى بن زيد العبادي من كلمة :

- (١) في ب « تحائف » . (٢) في ب « ومائة برس » .
 (٣) في ب ، جيلان . (٤) في ب « أحسوان » .
 (٥) في ا « فضه ياقوت أحمر يتقد كالنار » .
 (٦) في ا « نقشه الوفاء » . (٧) في ا « نعم الناس والبهائم » .

أين كسرى خير الملك أنوشرو وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
لم يهبه ريب المنون ، فولى الملك عنه ، فبابه مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف فآلوت به الصبا والدبور^(١)

وجلس أنوشروان يوماً للحكام ليأخذ من آدابهم^(٢) فقال لهم وقد أخذوا
مرايتهم في مجلسه : دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي ،
فتكلم كل واحد [منهم]^(٣) بما حضره من الرأي ، وأنوشروان مطرق
يتفكر في أقاويلهم ، فانتهى القول إلى بزر جهر بن البختكان ، فقال :
أيها الملك أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة ، فقال : هات ، فقال : أولهن
تقوى الله في الشهوة والرغبة والرغبة والغضب [والهوى] ، فاجعل ماعرض
من ذلك كله لله لا للناس ، والثانية الصدق في القول [والعمل] والوفاء
بالعِدَاتِ والشروط والعهود والمواثيق ، والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من
الأمور ، والرابعة إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقواد والكتّاب
والخول بقدر منازلهم ، والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال محاسبة
عادلة ، ومجازاة المحسن منهم بإحسانه والمسيء على إساءته ، والسادسة تعهد
أهل السجون بالعرض لهم في الأيام لتستوثق من المسيء وتطلق البريء ،
والسابعة تعهد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم ، والثامنة حسن تأديب
الرعية على الجرائم وإقامة الحدود ، والتاسعة إعداد السلاح وجميع آلات الحرب ،
والعاشرة إكرام الولد والأهل والأقارب وتفقد ما يصلحهم ، والحادية عشرة إذكاء
العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ [له أهبتة قبل هجومه ، والثانية عشرة تفقد

(١) في الأصول ، كأنهم ورق جف تدرى به الصبا والدبور ، والذي أثبتناه
هو المعروف - رواية البيت ، والتروك لا يستقيم معه الوزن .

(٢) في ١ من آرائهم .

(٣) في ١٥ مما حضره .

الوزراء والخلول والاستبدال بذي الفس والعجز^(١) عنهم ، فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب ، وقال : هذا كلام فيه جوامع^(٢) أنواع السياسات الملوكية .

وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته أنه سئل : ما أعظم الكنوز قدراً ، وأنفعها عند الاحتياج^(٣) إنيها ؟ فقال : معروف أو دعتة الأحرار ، وعلم توريته الأعقاب .

وقيل لأنوشروان : من أطول الناس عمراً ؟ فقال : من كثر علمه فتأدب به من بعده ، أو معروفه فيشرف به عقبه .

وأنوشروان الذي يقول : الإنعام تقاح ، والشكر ولادة ، والمنعم هو الجاعل . [للشاكر] إلى شكره سبيلاً .

وهو الذي يقول : لاتعدن الحرساء في الأمتاء ، ولا الكذابين في الأحرار . وقال أنوشروان يوماً لبزرجهر : من يصلح من ولدي للملك فأظهر ترشيحه والإيماء إليه ، فقال : لا أعرف ولدك^(٤) ، ولكنني أصف لك من يصلح للملك : أسماهم للمعالي ، وأطلبهم للأدب ، وأجزعهم من العامة ، وأرأفهم بالرعية ، وأوصلهم للرحم ، وأبعدهم من الظلم ؛ فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك .

قال المسعودي : وقد ذكرنا في كتاب « الزلف » الخصال التي يستحقها الملك من وجدت فيه ، وما ذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كأفلاطون ، وما ذكره في كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره .

وذكر عن بزرجهر أنه قال : رأيت من أنوشروان خصاتين متباينتين لم

(١) في ب « بذوى الفس والفجر »

(٢) في ا « جمع أنواع السياسات »

(٣) في ا « عند الحاجة إليها » .

(٤) في ب « لا أعرف ذلك »

أر مثلها منه ؛ جلس يوماً للناس فدخل رجل من خاصة أهله فنحاه وزيره ، فأمر به أن يقام ويحجب عنه سنة لتعديده المرتبة التي رسمت له ، وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ، ثم رأيت يوماً ونحن عنده في سر من تدبير شيء من المملكة ، وخدمته خلف فراشه وسرير ملكه يتحدثون ، فارتفعت صواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه ، فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحالتين ، فقال لي : لا تعجب ^(١) فنحن ملوك على رعيتنا ، وخدمنا ملوك على أرواحنا نالون ^(٢) منا في خلوتنا ملاحيلة لنا معه في التحرز منهم .

وكان أنوشروان يقول : الملك بالجند ، والجند بالمال ، والمال بالخراج ، والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل ، والعدل بإصلاح العمال ، وإصلاح العمال باستقامة الوزراء ، ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه .

وكان يقول : صلاح أمر الرعية أنصر من [كثرة الجنود ، وعدل الملك أنفع من] خصب الزمان ^(٣) .

وكان يقول : أيام السرور كلعج البصر ، وأيام الحزن تكاد تكون شهوراً .

قال السعدي : ولأنوشروان سير [وأخبار] حسان ، قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وما كان منه في مسيره في سائر أسفاره ، وما بني من المدن والحصون ، ورتب من المقاتلة في الثغور .

ملك هرمز ثم ملك بعده « هرمز » بن أنوشروان بن قباد ، وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك ، وقيل : بل ملك من ملوك الخزر مما يلي الباب والأبواب ، فكان ملكه اثنتي عشرة سنة ، وكان متحاملاً على خواص الناس ، مائلاً إلى عوامهم

(١) في ب « لا تعجل » .

(٢) في ا « يكون منا في خلوتنا » .

(٣) في ب « أخصب من عدل الزمان » .

مقرباً لهم^(١) . مؤثراً للروبية^(٢) وتوابع العوام ، مغرباً لهم بخواص الناس ، وقيل : إنه قتل في مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر ألف رجل مذكور . ولائتي عشرة^(٣) سنة من ملكه تخرم عايبه الملك ، وتداعت أركانه ، وزحفت إليه الأعداء ، وكثرت عليه الخوارج ، وقد كان أزال أحكام الموبدان . نخرت بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة ، وغير الأحكام ، وأزال الرسوم ، وكان ممن سار إليه شابة بن شب^(٤) عظيم من ملوك الترك في أربع مائة ألف ، فنزل نحو بلاد هرة وبدغيس^(٥) وبوشنج من أرض خراسان ، وسار إليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر في جيش عظيم ؛ فشنوا الغارات فيما بين ذلك الصقع بخيل أوقعت^(٦) ، وملوك تهادنت ، وتواهبت ما كان بينها من الدماء مما يلي جبل القبيخ ، وسار بطريق لقيصر في ثمانين ألفاً مما يلي الجزيرة ، وسار مما يلي اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد ، وعليهم العباس المعروف بالأحول وعمرو الأفوه ، فاضطرب على هرمز أمره ؛ وأحضر الموازنة وذوى الرأي منهم من بعد إخماله^(٧) لهم وشاورهم ، فكان من نتيجة رأيهم مصادعة الوجوه الثلاثة وإرضائهم والإقبال على شابة بن شاب^(٨) ، فانتدب لحربه بهرام جوبين^(٨) مرزبان الري ، وكان بهرام هذا من ولد جوبين بن ميلاد من نسل أنوش المعروف بالرام ؛ فسار في اثني عشر ألفاً ، وشابة^(٩) في أربع مائة ألف ، فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب وحيل في الحرب ، إلى أن قتله بهرام ، واستباح عسكره ، واستولى على خزائنه وأمواله ، وبعث إلى هرمز برأسه ، وقد كان برمودة بن شابة^(٩) ولده تحصن في بعض القلاع من بهرام ، فنزل عليه بهرام ، فنزل برمودة على حكم هرمز ، وسار إليه ، وحمل بهرام حملاً من الغنائم وما كان أخذه من شابة^(٩) مما كان معه من تركات الملوك ، مثل

- (١) في « مقرباً لهم » . (٢) في « مهينا للروبية وتوابع الأعوام » .
 (٣) في « وإحدى عشرة » (٤) في « شابة بن شب » .
 (٥) في « وبلاد عيسى » . (٦) في « بخيل أوقفت » .
 (٧) في « احتماله لهم » (٨) في « بهرام جور بن مرزبان »

ما كان في خزائن فراسياب من الأموال والجواهر التي كان أخذها من سياوخش ، وما كان بأيدي الترك من تركات بهراسف^(١) ملك الترك مما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة ، فلما انتهى ما وصفنا من الأموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزير هرمز أرتيخسيس^(٢) الخوزي ، وقد نظر إلى إعجاب هرمز بما حمل إليه بهرام وسروره به ، فقال : أعظم هذه زلته ، وعرض لهزمز بخيانة بهرام ، واستبداده بأكثر الجواهر والأموال والغنائم ، وأغراه به ، فعصاه بهرام ، ثم احتال بهرام بدرام ضرب عليها اسم كسرى أبرويز ، ودس أناساً من التجار فأنفقوها بباب هرمز ، فتعامل بها الناس ، وكثرت في أيديهم ، وعلم بها هرمز ، فلم يشك في أن ابنه أبرويز ضربها طلباً للملك ، فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ، ولم يعلم أن الحيلة في ذلك من بهرام ، فهرب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ، ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان ، وحبس هرمز خالي أبرويز بسطام وبندويه^(٣) ، فأعملا الحيلة في محبسهما وخرجا فانضاف إليهما خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسلاً عينيه وأعمياه ، فلما نى ذلك إلى أبرويز سار إلى أبيه فدخل عليه وأخبره أنه لا ذنب له في ذلك ، وإنما هرب خوفاً هلى نفسه منه ، فتوجه هرمز وسلم الملك إليه ، ونى ذلك إلى بهرام جوبين^(٤) فسار في عساكره يؤم الباب ودار الملك ، فخرج إليه أبرويز ، فالتقيا على شاطئ النهران ، والنهر بينهما ، فتواقعا ، وكان لها خطب طويل من تقاذف وتشتام ، ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز لتخلف أصحابه عنه وميلهم إلى بهرام ، فقام تحته فرسه المعروف بشيدار^(٥) — وهو المصور في الجبل ، وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور

(١) في ب « هو حاسف » .

(٢) في ب « أرتيخسيس » .

(٣) في ب « وبندويه » .

(٤) في ب « إلى بهرام جور » .

(٥) في ب « المعروف بشيدار » .

[من ماء الكوفة] هو وأبرويز وغير ذلك من الصور ، وهذا الموضع من إحدى عجائب العالم^(١) ، وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة في الصخر ، والفرس تذكر في أشعارها وغيرها من العرب هذا الفرس المعروف بشيدار ، وقد كان أبرويز على شيدار في بعض الأيام قانقطع عنانهُ ، فدعا بصاحب سرجه ووجهه ، فأراد ضرب عنقه لما يتعهد العنان ، فقال : أيها الملك ، ما بقى سير يحميد^(٢) به ملك الإنس وملك الخيل ، فأطلقه ، وأجازته ، ولما باح^(٣) هذا الفرس تحت أبرويز وقصر طلب إلى النعمان في المعركة أن يمن عليه بفرسه المعروف باليحموم ، فأبى عليه ، ونجا عليه بنفسه ، ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي إلى أبرويز وقد خائنه الرجال وأشرف على الهلاك ، فأعطاه فرسه المعروف بالصيب^(٤) ، وقال له : أيها الملك ، انج على فرسي فإن حياتك للناس خير من حياتي ، وأعطاه أبرويز فرسه شيدار فنجاه عليه في جملة الناس ، ومضى أبرويز إلى أبيه ؛ ففي ذلك يقول حسان ابن حنظلة الطائي :

وأعطيت كسرى ما أراد ، ولم أكن لأتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الصيب وقد بدت مسومة من خيل ترك ووائلا^(٥)
فكافاه أبريز بعد ذلك ، وعرف له ما صنع ، ولما سار أبرويز من الهزيمة إلى أبيه رمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده ؛ فإن الملوك إذا استنجدت في مثل هذه الحالة أنجحت ، في خطب طويل جرى بينه وبين أبيه ، فمضى أبرويز وتبعه غيره من الخواص ، وخاله بسطام وبنديويه ، وعبر دجلة ، وقطع الجسر خوفاً من خيل بهرام ، ونظر في مسيره ذلك اليوم إلى خائيه ، وقد تأخرا عنه ، فاستراب بهما وبمن انضاف إليهما ممن كان معهم ، فسألها عن السبب ،

(١) في ١ « أحد عجائب ما فيها من الصور » .

(٢) في ١ « ما بقى شيء يجتذبه » .

(٣) في ب « ولما تلج » .

(٤) في ١ « المروف بالصيب » .

(٥) في ١ « ترك وبابلا » .

(١٨ - مروج الذهب ١)

فقالا : لسنا بآمنين أن يدخل بهرام إلى أبيك هرمز فيضع تاج الملكة على رأسه، وإن كان أعمى، ويصير هو الهرمزان^(١)، وتفسير ذلك أمير الأمراء، والروم تسمى صاحب هذه المرتبة المستق، فيكتب بهرام عن أبيك هرمز إلى قيصر: إن ابني أبرويز وجماعة انضافوا إليه وثبوا بي وسموا عيني، فأحمله إلى، فيحملنا قيصر إليه، فيأتي علينا بهرام، ولا بد لنا من الرجوع إلى أبيك وقتله، فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك، وأظهر- فيما ذكر عنه- البراءة من فعلهما، فرجعا من فورهما، ومن تسرع معهما إلى المدائن وقد صاروا على أميال منها، فدخلوا على هرمز فحقتناه، ولحقا بأبرويز، ولحقهم خيل بهرام، وكانت بينهم حيلة^(٢) في بعض الديارات إلى أن تخلصوا من تلك الخيل، وسار أبرويز؛ ففي هرمز يقول ورقة بن نوفل:

لم يفن هرمز شيء من خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له والجن والإنس تجري بينها البرد
وأسرع بهرام جوبين^(٣) إلى المدائن من النهروان، حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك، ولحق أبرويز بالرهاق فلما، وكاتب ملك الروم، وهو موريقس مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه، يسأله النصر على عدوه، ويضمن له الوفاء بما ينفقه من أمواله، والإحسان إلى جنده، وأنه يؤدي إليه ديات من يقتل من رجاله، وغير ذلك من الشروط، وأهدى إليه هدايا كثيرة: منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك في نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور، في آذانهم أقراط الذهب فيها الدر والؤلؤ^(٤)، ومائدة من العنبر فتحتها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بأنواع الجواهر أحد الأرجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعِل بظلفه، والثالث كف عقاب بمخلبه، وفي وسطها جام جزع عاني فاخر فتحة

(١) في ١ « القردمان » . (٢) في ب « وكانت منهم حيلة » .

(٣) في ب « بهرام جور » .

(٤) في ١ « فيها الدر والياقوت معلقا » .

شبر مملوء حجارة ياقوت أحمر ، وسفط من ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أرفع ما يكون ، فحمل إليه موريقس ملك الروم ألف دينار ، ومائة ألف فارس ، بعث بهم مع هديته ، وألف ثوب من الديباج الخزائني المنسوج بالذهب الأحمر وغيره من الألوان ، وعشرين [ومائة^(١)] جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس^(٢) وغيرهم من الأجناس المجاورة لملك الروم على رءوسهن أكاليل الجواهر ، وزوّجه بابنته مارية وحملها إليه مع أخيه تندوس^(٣) ، واشترط ملك الروم على أبرويز شروطاً كثيرة : منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنوشروان ، وترك التعرض لذلك ، فأجابه إلى ذلك ، وقد كانت ملوك الفرس تزوج إلى سائر من جاورها من ملوك الأمم ولا تزوجها ؛ لأنهم أحرار وأنجاد ، وللفرس في هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السنن^(٤) وتمسها ؛ فكانوا يقفون بمزدلفة ، وهو يوم الحج الأكبر ، ويقولون : نحن الخمس ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار « أنا رجل أحْمَسِيٌّ » ولما اجتمع لأبرويز ما وصفنا سار إلى بلاد أذربيجان ، فاجتمع إليه هنالك من كان من العساكر بها ، وانضاف إليه كثير من الجنود والأمم ، وبلغ بهرام جوبين ما قد عزم عليه ؛ فسار إليه فيمن كان معه من عساكره ، فالتقى الجيشان جميعاً ، فتوجهت على بهرام ، فانكشف في نفر من أصحابه ، وانتفى إلى أطراف خراسان ، وكاتب [خاقان]^(١) ملك الترك فأمنه وسار إلى ملكه هو ومن خَفَّ معه من أصحابه وأخته كردية ، وكانت في الشجاعة والفروسية نحوه ، وعليها كان يعول في كثير من حروبه ، ومضى كسرى أبرويز إلى دار مملكته ، وأمر لجنود موريقس بالأموال والمراكب والكساوى ، وكافأهم على ما كان منهم في معوته ، وحمل إليه ألف دينار؛

(١) زيادة عن ١ .

(٢) في ب « والوشكنس » .

(٣) في ب « أخيه سندوس » .

(٤) في ب « وتركها سبق » .

وَقَرَنَ ذَلِكَ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ مِنْ آلَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَوَفَى لَهُ بِكُلِّ مَا وَعَدَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ كُلِّ مَا أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَاحْتَالَ أَبْرُويزَ فِي قَتْلِ بَهْرَامِ فِي أَرْضِ التُّرْكِ ، فَقَتَلَ هُنَاكَ غِيْلَةً^(۱) ، وَذَكَرَ أَنَّ رَأْسَهُ حُمِلَ [بَعْدَ أَنْ احْتِيلَ عَلَيْهِ وَأُخْرِجَهُ مِنَ النَّوُوسِ الَّذِي كَانَ خَاقَانَ مَلِكَ التُّرْكِ دَفَنَهُ فِيهِ ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ تَاجِرٌ فَارِسِيٌّ]^(۱) فَنَصَبَ عَلَى بَابِ أَبْرُويزَ فِي رَحْبَةِ قَصْرِهِ ، وَخَرَجَتْ كَرْدِيَّةٌ فِيمَنْ كَانَ مَعَهَا مِنْ أَصْحَابِ بَهْرَامِ مِنْ أَرْضِ التُّرْكِ ، وَقَدْ كَانَ لَهَا أَخْبَارٌ فِي الطَّرِيقِ مَعَ ابْنِ خَاقَانَ ، وَكَاتَبَهَا أَبْرُويزَ فِي قَتْلِ خَالِهِ بِسَطَامِ ، وَكَانَ مَرْزَبَانَ الدَّيْلَمِ وَخِرَاسَانَ^(۲) فَقَتَلْتَهُ ، وَقَتَلَ خَالَهُ الْآخَرَ بِأَبِيهِ هَرْمَزَ ، ثُمَّ صَارَتْ كَرْدِيَّةٌ إِلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا .

وَلِلْفَرَسِ كِتَابٌ مَفْرُودٌ فِي أَخْبَارِ بَهْرَامِ جَوْبِينَ ، وَمَا كَانَ مِنْ مَكَايِدِهِ بِيَلَادِ التُّرْكِ حِينَ سَارَ إِلَيْهَا^(۳) ، وَاسْتَنْقَازَهُ لَابْنَةَ مَلِكِ التُّرْكِ مِنْ حَيَوَانَ اسْمِهِ السَّمْعُ نَحْوِ الْعَنْزِ^(۴) الْكَبِيرِ كَانَ قَدْ احْتَمَلَهَا مِنْ بَيْنِ جَوَارِيهَا وَعَلَابِهَا وَقَدْ خَرَجَتْ لِبَعْضِ مَتْرَهَاتِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ بَدَأِ حَالِهِ إِلَى مَقْتَلِهِ وَنَسَبِهِ .

وَكَانَ وَزِيرَ أَبْرُويزَ ، وَالغَالِبَ عَلَيْهِ ، وَالْمُدَبِّرَ لِأَمْرِهِ ، حَكِيمٌ مِنْ حِكْمَاءِ الْفَرَسِ وَهُوَ بَزْرَجْمَهْرُ بْنُ الْبَخْتِكَانِ ، فَلَمَّا خَلَا مِنْ مَلِكِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً اتَّهَمَهُ بِالْمِيلِ إِلَى بَعْضِ الزَّنَادِقَةِ مِنَ الثَّنَوِيَّةِ ، فَأَمَرَ بِجَبْسِهِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ : كَانَ مِنْ ثَمَرَةِ عِلْمِكَ وَنَتِيجَةِ مَا أَدَاكَ إِلَيْهِ عَقْلُكَ ، أَنْ صَرْتَ أَهْلًا لِلْقَتْلِ ، وَمَوْضِعًا لِلْعُقُوبَةِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بَزْرَجْمَهْرُ : أَمَا إِذْ كَانَ مَعِيَ الْجِدْقُ فَقَدْ كُنْتُ أَتَنْفَعُ بِشَمْرَةِ عَقْلِي ؛ فَالآنَ إِذْ لَاجِدًا مَعِيَ فَقَدْ أَتَنْفَعُ بِشَمْرَةِ الصَّبْرِ ، وَإِذْ قَدْ فَقَدْتُ كَثِيرَ الْخَيْرِ فَقَدْ اسْتَرَحْتُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَعْرَى أَبْرُويزَ بِبَزْرَجْمَهْرَ ، فَدَعَا بِهِ ، وَأَمَرَ بِكَسْرِ أَنْفِهِ وَفَمِهِ ، فَقَالَ بَزْرَجْمَهْرُ : فِي^(۵) لِأَهْلِ لَمَّا هُوَ شَرٌّ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ أَبْرُويزُ : وَمَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ

بين أبروز
وبزرجمهر

(۱) زيادة في ب وحدها . (۲) في ب « مرزبان الديلم بخراسان » .

(۳) في ب « صارت إليه » . (۴) في ب « نحو العير الكبير » .

(۵) في أ « إني لأهل » وهي أصح .

المخالف؟ فقال: لأنى كنت أضفك نلواص الناس وعوامهم بما ليس فيك، وأقربك من قلوبهم، وأرفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه، اسمع منى ياشر الملوك نفساً، وأخبثهم فعلاً، وأسوأهم عشرة، أتقتلنى^(١) بالشك وترفع به اليقين الذى قد علمته منى من التمسك بالشرية^(٢)؟ من ذا الذى يرجو عدلك ويشق بقولك ويطمئن إليك؟ ففضب أبرويز، وأمر به فضرب عنقه، ولبزر جهمرفى أيدى الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير فى الزهد وغيره، وندم أبرويز على قتله، وتأسف، ودعا بخير اريس^(٣) الوزير الثانى، وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر، فلما رأى بزرجمهر قتيلاً أسف عليه، وعلم أنه لا ينجو، فأغلظ لأبرويز فى الكلام، فأمر به فقتل وأغرق فى دحلة، فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفاية^(٤) وتدير الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل إلى الجور والعسف بخواص رعيتيه وعوامها، وحملها على ما لم تكن تعهد، وأوردم إلى ما لم يكونوا يعرفونه من الظلم، فوثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فوقاس^(٥) فيمن اتبعه على موريقس ملك الروم حتى أبرويز ومنجده فقتلوه، وملكوا فوقاس^(٥)، ونمى ذلك إلى أبرويز ففضب لحميه، وسير إلى الروم الجيوش وكانت له فى ذلك أخبار يطول ذكرها، وسير شهر يار مرزبان المغرب إلى حرب الروم، فنزل أنطاكية، فكانت له مع الروم وأبرويز أخبار ومكاتبات وحيل إلى أن خرج ملك الروم إلى حرب شهر يار، وقدم خزائنه فى البحر فى ألف مركب، فألقها الريح إلى ساحل أنطاكية، ففتمها شهر يار، وحملها إلى أبرويز، فسميت خزائن الريح، ثم فسدت الحمال بين أبرويز وشهر يار، ومايل شهر يار ملك الروم، فسيره شهر يار نحو العراق إلى أن انتهى إلى النهروان، فاحتال

(١) فى ب « لا تقتلنى بالشك » .
 (٢) فى ب « بالتمسك بالشرية » .
 (٣) فى ب « بجبر أرثوس » .
 (٤) فى ب « من الكفاية » .
 (٥) فى ب « فانوس » .

أبرويز في كتب كتبها مع بعض أساقفة النصرانية ممن كان في ذمته حتى رده إلى القسطنطينية وأفسد الحال بينه وبين شهر يار ، وغير ذلك مما قد أتينا على ذكره في الكتاب الأوسط .

يوم ذى قار

وفي ملك أبرويز كانت حروب ذى قار^(١) ، وهو اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا أوّل يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، ونصرت عليهم بي » وكانت وقعة ذى قار لتمام أربعين سنة من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد أن بعث ، وقيل : بعد أن هاجر ، وفي رواية أخرى أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر^(٢) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهرمزاني^(٣) صاحب كسرى أبرويز ، وقد أتينا على هذه الأخبار على الشرح والإيضاح في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إيراده في هذا الموضع .

وفي أيام أبرويز كانت حوادث^(٤) تندر بالنبوة وتبشر بالرسالة ، وأنفذ أبرويز عبد المسيح بن ببيعة الغساني إلى سطيح الكاهن ، فأخبره برؤيا الموبدان وأرتجاج الإيوان ، وغير ذلك من أخبار [فيض وادي السماوة]^(٥) وما كان من بحيرة ساوة .

إرهاصات
النبوة ييلاد
فارس

وكان لأبرويز تسعة خواتم تدور في أمر الملك : منها خاتم [فضة] فضة ياقوت أحمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس تختم به الرسائل والسجلات ، والخاتم الثاني فضة عقيق نقشه « خراسان حرة » وحلقته ذهب تختم به التذكرات ، والخاتم الثالث فضة جزع نقشه فارس [يركض] وحلقته ذهب منقوش فيه « الوحاحا » يختم به أجوبة البريد ، والخاتم الرابع فضة ياقوت مورد نقشه « بالمال ينال الفرخ » وحلقته ذهب يختم به البراوات والكتب

(١) في ١ هـ كان حرب ذى قار .

(٢) في ١ « بأربعة أشهر » .

(٣) في ب « والهامرز » .

(٤) في ١ « حدثت حوادث » .

(٥) زيادة في ب وحدها .

في التجاوز عن المعصاة والمذنبين ، والخاتم الخامس فسه يا قوت بهرمان ، وهو أحسن ما يكون من الحرة وأصفاها وأشرفها ، نقشه « حره وخرم »^(١) أي بهجة وسعادة حافظه^(٢) لؤلؤ وماس ، يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلي ، والخاتم السادس نقشه « عقاب » يختم به كتب الملوك إلى الآفاق وفسه حديد حبشي^(٣) ، والخاتم السابع نقشه « ذباب » يختم به الأدوية والأطعمة والطيب فسه بادزهر ، والخاتم الثامن فسه جمان نقشه « رأس خنزير » يختم به أعناق من يؤمر بقتله وما يتخذ من الكتب في الدماء ، والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام و [فسه] الأبن .

وكان على مربطه خمسون ألف دابة وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد أبرويز عدد ما لركابه من الخيل ، وكان على مربطه ألف فيل ، منهم أشهب أشد بياضا من الثلج ، ومنها ما ارتفاعه اثناعشر ذراعا ، وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر ، وأكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة الأذرع إلى العشرة ، وملوك الهند تبلغ في أثمان ما عظم من الفيلة ، وارتفع من الأرض ، وقد يكون من الوحشية في أرض الزنج [من الفيلة] ما هو أعظم سمكا مما وصفنا بأذرع كثيرة على حسب ما تحمل من قرونها المسماة بالأنياب ما وزن الناب [منها] خمسون ومائة من إلى المائتين ، والمن رطلان بالبغدادى ، وعلى قدر عظم الناب عظام جسد الفيل^(٤) .

وقد كان أبرويز خرج في بعض الأعياد وقد صفت له الجيوش والعدد والسلاح وفيها صف له ألف فيل ، وقد أهدت به خمسون ألف فارس دون الرجالة ، فلما نظرت الفيلة سجدت له ، فما رفعت رؤوسها وبسطها لخراطيمها حتى جذبت بالمهاجن^(٥) ، وراطنها الفيلون بالهندية ، فلما بصر بذلك أبرويز تأسف على

(١) في ب « نقشه حره وخرم » .

(٢) في ا « مثناه لؤلؤ وماس » .

(٣) في ا « حديد صيني » .

(٤) في ا « جسم الفيل » .

(٥) في ا « بالمهاجن » .

ما خص به [أهل] الهند من فضيلة الفيلة ، وقال : ليت [أن] الفيل لم يكن
هنديا وكان فارسيا ، انظروا إليها وإلى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من
معرفة وأدبها ، وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظام أجسامها ، ومعرفة لها ، وحسن
طاعتها ، وقبولها الرياضات ، وفهمها المزادات ، وتمييزها بين الملك وغيره ، وأن
غيرها من الدواب لا يفهم شيئاً [من ذلك] ولا يفصل بين شيتين ، وسنورد
فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من الفصول في أخبار الفيلة ومآلاته الهند وغيرهم
في ذلك وتفضيلها على سائر الدواب .

فكانت مدة ملك أبرويز إلى أن خلع وسمت عيناه وقتل ثمانيا وثلاثين سنة
ثم ملك بعده ولده « قباد » المعروف بشيروه القابض على أبيه ، والجاني
عليه ، والقاتل له ، والفرس تسميه المشثوم^(١) ، وفي أيامه كان الطاعون بالعراق
وغيرها من الأقاليم ، فهلك فيه مائتا ألف من الناس^(٢) ، فالكثير يقول : هلك نصف
الناس ، والمقل يقول : الثلث ، وكان ملك شيروه إلى أن هلك سنة وستة أشهر ،
وقيل : أقل من ذلك .

(شيره)
ابن أبرويز

ولكسرى أبرويز ولابنه شيروه أخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على
ذكرها فيما سلف من كتبنا .

ثم ملك بعد شيروه ولده « أردشير » ولي عهد الملك ، وهو ابن سبع سنين ،
فسار إليه من أنطاكية من بلاد الشام شهر يار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع
أبرويز وملك الروم فقتله ، فكان ملكه خمسة أشهر .

أردشير

ثم ملك « شهر يار » نحو من عشرين يوماً ، وقيل : شهرين ، وقيل غير
ذلك ، واغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها أرزمي دخت^(٣) فقتلته .

شهر يار

ثم ملك كسرى بن قباد بن أبرويز ، وقيل : إنه ابن لأبرويز ، وكان بناحية

كسرى

(١) في « تسمية الغشوم » .

(٢) في « فهلك فيه مئو ألف من الناس » .

(٣) في ب « آزرمي دخت » .

الترك ، فسار يريد دار الملك ، فقتل في الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر .
 ثم ماكت بعده « بوران » بنت كسرى أبرويز ، فكان ملكها سنة ونصفنا .
 ثم ماك رجل من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الأثيم . يقال
 له « فيروز خشنشده ^(١) » فكان ملكه شهرين .
 ثم ماكت ابنة لكسرى أبرويز يقال لها « أرزمي دخت ^(٢) » فكان ملكها
 سنة وأربعة أشهر .
 ثم ماك فرجاد خسرو ^(٣) بن كسرى أبرويز ، وهو طفل ، فكانت مدة
 ملكه شهراً ، وقيل أشهراً .

ثم ماك يزدجرد بن شهر يار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباد
 ابن فيروز بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك
 ابن ساسان . وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه إلى أن قتل بمرور من بلاد
 خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف جلت من خلافة عثمان بن عفان
 رضى الله عنه . وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة ، وقيل غير ذلك في
 مقدار ما ملكه وخبر مقتله .

قال المسعودي : وذهب الأكثر من الناس ممن عني بأخبار الفرس وأيامهم
 إلى أن جميع من ملك من آل ساسان من أردشير ^(٤) بن بابك إلى يزدجرد بن شهر يار
 من الرجال والنساء ثلاثون ملكاً : امرأتان ، وثمانية وعشرون رجلاً . ووجدت في
 بعض التواريخ أن عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكاً ، وعدد الملوك الأول
 يوم الفرس الأول - من كيوسرث إلى دارا بن دارا تسعة عشر ملكاً ، منهم امرأة
 وهي حامية ^(٥) بنت بهمن ، وفراسياب التركي ، وسبعة عشر رجلاً ، وعدد ملوك
 العائفة الذين قدمنا ذكرهم من مقتل دارا إلى أن ظهر أردشير بن بابك

(١) في ب « فيروز خشنش » . (٢) في ب « أرزمي دخت » .

(٣) في ب « فرخ زاد خسرو » . (٤) في ب « من آل ساسان بن أردشير »

(٥) في ب « حامية » .

أحد عشر ملكا . وهم ملوك الشيز^(١) والران . ومن أجاهم سمي سائر ملوك الطوائف الأشغان . فجميع الملوك من كيومرث بن آدم — وهو أول ملوك بني آدم عندهم . على ما ذكرت الفرس — إلى يزدجرد بن شهريار بن كسرى ستون ملكا : منهم ثلاث نسوة . ومدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة . وقيل : إن عدة الملوك من كيومرث إلى يزدجرد ثمانون ملكا .

ورأيت جماعة من الأخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفين التواريخ وغيرها يذهبون إلى أن سني الفرس إلى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة : منها من كيومرث إلى انتقال الملك إلى منوشهر ألف وتسعمائة واثنان وعشرون سنة . ومن منوشهر إلى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة . ومن زرادشت إلى الإسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة ، وملك الإسكندر خمس سنين^(٢) . ومن الإسكندر إلى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة . ومن أردشير إلى الهجرة أربعمائة سنة [وأربع سنين]^(٣) .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والأنبياء والملوك في باب نفرد له لذلك في الموضع المستحق له من هذا الكتاب ، دون ذكر الهجرة وخلافة أبي بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بني أمية وبني العباس ؛ لأننا قد أفردنا لما ذكرنا بابا آخر يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الأمويين والعباسيين ترجمناه بذكر التاريخ الثاني .

وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة أجناس إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام فالصنف الأول يقال له الخداهان^(٤) وهم الأرباب ، كما يقال : رب المتاع ، ورب الدار وذلك من كيومرث إلى أفريدون ، ثم الكيان من أفريدون إلى دارا بن دارا . ثم

أجناس الفرس

(٢) في الاست سنين .

(١) في ب «الشن والران» .

(٤) في ب «الخداهان» .

(٣) زيادة في ا وحدها

الأشغان^(١) ، وهم ملوك الطوائف بعد الإسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ، ثم الساسانية وهم الفرس الثانية ، وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في « أخبار الفرس » الذي رواه عن عمر كسرى أن الفرس طبقات أربع من سلف وخلف : فالطبقة الأولى من كيومرث إلى كرساسب^(١) ، والطبقة الثانية من كيان بن كيقباد إلى الإسكندر وآخرهم دارا ، والطبقة الثالثة وهم الأشغانية^(٢) ملوك الطوائف ، والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع ، وهم الساسانية أولهم أردشير ابن بابك ، ثم سابور بن أردشير ، هرمز بن سابور ، بهرام بن سابور ، بهرام بن بهرام بن بهرام ، نرسی بن سابور ، هرمز بن نرسی ، سابور بن هرمز ، أردشير بن هرمز ، سابور بن أردشير ، سابور بن سابور ، بهرام بن سابور ، يزدجرد بن بهرام ، بهرام بن يزدجرد ، فيروز بن يزدجرد ، بلاس بن يزدجرد ، قباد بن فيروز ، أنوشروان ، هرمز . أبرويز . شيرويه . أردشير . شهریار . بوران . كسرى بن قباد . فيروز . خشنشده . أرزمی دخت . فرحاد خسرو . يزدجرد .

وإنما ذكرنا هؤلاء بعد أن قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الباب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في أعدادهم وأسمائهم ، فأوردنا ما قاله المتنازعون من الأخباريين . وقد أتينا على أخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتبتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤوسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في أعصارهم ، وما كوروه من الكور ، وأحدثوه من المدن ، وغير ذلك من أحوالهم ، فيما سلف من كتبنا . وإنما ذكرنا في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم وأعداد ملوكهم ولعنا من أخبارهم ، وكذلك ذكرنا في كتابنا في « أخبار الزمان » خطب الطبقات الأربع ، وما حفر كل ملك منهم من الأنهار وانفرد بينائه من المدن . وآراء الملوك وأحكامها ، وكثيراً من قضاياها في خواصها وعوامها ، وأنساب أصحاب خيل الملك ، ومن كان على خيل كل ملك منهم في الحروب ، وأنساب حكائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك في أعصارهم ، وأنساب المرازبة ، وذكر أولاد الطبقات

(١) في ب « كرساسب » . (٢) في ب « الأشغان » .

الأربع ممن تقدم ذكرهم ، وتشعب أنسابهم ، وتفرق أعقابهم ، ووصفنا الأبيات الثلاثة التي شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون في أهل السواد إلى وقتنا هذا ، وأشرف السواد بعد الأبيات الثلاثة من الشهاجة^(۱) الذين شرفهم أيرج وجعلهم أشرف السواد . ثم الطبقة الثانية بعد الشهاجة^(۱) وهم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فردال^(۲) بن سيامك بن نرسی بن كيومرث الملك . وكان لولد وهكرت عشر بنين ، فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين ، وكان وهكرت أول من تدهقن . والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملايسهم تختلف على قدر مراتبهم . وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرنا . وله خمس وثلاثون سنة . وخلف من الولد : بهرام ، وفيروز ، ومن النساء أدرك . وشاهين ، ومرداوند^(۳) . وأكثر عقبه بمرو ، والأكثر من أبناء الملوك وأعقاب الطبقات الأربع بسواد العراق إلى الآن يتدارسون أنسابهم ويحفظون أحسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ، ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوى الدراية بما وصفنا . قال المسعودی : فإذا قد ذكرنا جوامع من أخبار الفرس وطبقاتهم فإذ الآن ملوك اليونانيين ولعائن أخبارهم ، وتنازع الناس في بدء أنسابهم ، على الاختصار والإيجاز ، والله ولي التوفيق ، برحمته ورضوانه .

(۱) في ب ه الشهاجة . (۲) في ب ه بن فردان .

(۳) في ب ه أدرك وسها ومراد وزيد .

ذكر ملوك اليونانيين ، ولع من أخبارهم

وما قاله الناس في بدء أنسابهم

قال المسعودي : تنازع الناس في فرق اليونانيين ؛ فذهب طائفة من الناس إلى أنهم ينتمون إلى الروم ، ويضافون إلى ولد إسحاق ، وقالت طائفة أخرى : إن يونان هو ابن يافث بن نوح ، وذهب قوم إلى أنهم من ولد آراش بن ناوان^(١) ابن يافث بن نوح ، وذهب قوم إلى أنهم قبيل متقدم في الزمان الأول ، وإتاما وهم من وهم أن اليونانيين ينسبون إلى حيث تنسب الروم ، وينتمون إلى جدهم إبراهيم ؛ لأن الديار كانت مشتركة والمقاطن والمواطن كانت متساوية ، وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب ؛ فلذلك غلط من غلط في النسبة ، وجعل الأب واحداً ، وهذا طريق الصواب عند المفتشين ، وسبيل البحث عند الباحثين ، والروم قفت في لغاتها ووضع كتبها اليونانيين ؛ فلم يصلوا إلى كنه فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم والروم أنقص في اللسان من اليونانيين ، وأضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم.

قال المسعودي : وقد ذكر [ذوو العناية بأخبار المتقدمين] أن يونان أخو قحطان ، وأنه من ولد عابر بن شالخ ، وأن أمره في الأنفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب ، وأنه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن أنضاف إلى جملته حتى وافي أقاصي بلاد المغرب ، فأقام هنالك ، وأنسل في تلك الديار ، واستعجم لسانه ، ووَازَى من كان هنالك في اللغة الأجمية من الإفرنجية والروم ، فزالت نسبته^(٢) ، وانقطع سببه ، وصار منسياً في ديار اليمن غير معروف عند النسايبين منهم .

(١) في ب ه أوزراس بن ياوان بن يافث .

(٢) زيادة في ا وحدها

(٣) في ب ه وانقطع نسبه .

وكان يونان جباراً عظيماً ، وسيماً جسيماً ، وكان حسنَ العقل [والخلق] جزل الرأي ، كثير الهمة ، عظيم القدر .

وقد كان يعقوب بن إسحاق الكندي يذهب في نسب يونان إلى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ، ويحتاج لذلك بأخبار يذكريها في بدء الأنساب ، ويوردها من حديث الآحاد والأفراد ، لا من حديث الاستفاضة والكثرة .

وقد ردَّ عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي ، في قصيدة [له] طويلة ، وذكر خلطه^(١) نسب يونان بقحطان ، على حسب ما ذكرنا آنفاً في صدر هذا الباب ، فقال :

أبا يوسف ، إني نظرت فلم أجد
وعرت حكماً عند قوم إذا امرؤ
أتقرن الحاداً بدين محمد ؟
وتخلط يوناناً بقحطان ضلةً
على الفحص رأياً صح منك ولا عقداً
بلامٍ جميعاً لم يجد عندهم عندا
لقد جئت شيئاً يا أخاً كنفة إذا
لعمري لقد بأعدت بينهما جدا

مساكن يونان ولما نشأ ولد يونان وكثر^(٢) خرج يسير في الأرض يطلب موضعاً يسكنه ، فانتهى إلى موضع من الغرب ، فنزل بمدينة أثينا^(٣) ، وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان ، وأقام بها هو ومن معه من ولده ، فكثر نسله بها وبني [بها] البنيان العظيم ، إلى أن أدركته الوفاة ، فجعل وصيته إلى الأكبر من ولده ، واسمه حريوس^(٤) ، فقال له : يا بني ، إني قد وافيت الأجل ، وقربت من الحتم الواجب ، وإني راحل عنك ومفارقك ، ومفارق إخوتك وأهل بيتك ، وقد كانت أحوالكم حسنة النظام بي ، وكنت لكم كنهفاً في الشدائد ، وعوناً على المحن ، ومجئنا من الزمان ؛ فعليك بالجلود فإنه

(٢) في ب «و كبر» .

(٤) في ب «حريوس» .

(١) في ا «ووكد خلطه» .

(٣) في ا «أثينية» .

قطب الملك ، ومفتاح السياسة ، وباب السيادة ، وكن حريصاً على اقتناء الرجال بالإنعام عليهم تكن سيداً رشيداً ، وإياك وَالْحَيْدَ عن الطريق المثلث التي عليها بنى العقل^(١) ، فإن من ترك رأى اللب وثمره العقل تورط في المهالك ، ووقع في مقابض المتالف .

ثم مات يونان ، واستولى ولده حريوس هلى مكان أبيه ، وضم إليه أهله وولده [وعمل بما أمره]^(٢) ونما خبرهم ، وكثر نسلهم ، فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الإفرنجة والنوكيرد^(٣) ، وأجناس الأمم من الصقالبة وغيرهم .

وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه : فيلبس ، وتفسيره محب الفرس ، وقيل : إن اسمه يابس^(٤) ، وقيل : فيلقوس ، وكانت مدة ملكه سبع سنين .

وقد قيل : إن اليونانيين لما أن سار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج إلى فارس ، وكان خراجهم بيضاً من ذهب عدداً معلوماً ووزناً مفهوماً وضريبة محصورة ، فلما أن كان من أمر الإسكندر بن فيلبس — وهو الملك الماضى الذى هو أول ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس — ما كان من ظهوره وهمة بعث إليه داريوس^(٥) ملك فارس ، وهو دارا بن دارا ، يطالبه بما جرى من الرسم ، فبعث إليه الإسكندر : إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب ، وأكلتها ، فكان من حروبهم مادعا الإسكندر إلى الخروج إلى أرض الشام والعراق ، فاصطلم من كان بها من الملوك ، وقتل دارا ابن دارا ملك الفرس ، وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ، ومن لحق بهم من ملوك الشرق في الكتاب الأوسط .

(١) في ا التي عليها بينى العقل .

(٢) زيادة في ا وحدها

(٣) في ب و والنوكير

(٤) في ب و ملبس .

(٥) في ب و دارانوس .

ونسب قوم الإسكندر أنه الإسكندر بن فيلبس بن مصرم^(۱) بن هرمس ابن هردوس بن ميطنون بن رومي بن نويط بن نوفيل بن رومي بن ليطى بن يونان بن يافت بن نوح ، ونسبه قوم أنه من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، ومنهم من رأى أنه الإسكندر بن^(۲) يونه بن سرحون بن رومي بن قرمط بن نوفيل بن رومي بن الأصفر بن اليعز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم .

الإسكندر
وذو القرنين

وقد تنازع الناس فيه : فمنهم من رأى أنه ذو القرنين ، ومنهم من رأى أنه غيره ، وتنازعوا أيضاً في ذى القرنين : فمنهم من رأى أنه سمي بذى القرنين لبلوغه أطراف الأرض ، وأن الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ، ومنهم من رأى أنه من الملائكة . وهذا قول يُعزى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والقول الأول لابن عباس في تسمية الملك إياه . ومنهم من رأى أنه كان بذوابتين من الذهب . وهذا قول يُعزى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وقد قيل غير ذلك . وإيمان ذلك تنازع الشرعيين من أهل الكتب . وقد ذكره تبع في شعره وافتخر به ، وأنه من قحطان . وقيل : إن بعض التبابعة غزا مدينة رومية وأسكنها خلقاً من اليمن ، وإن ذا القرنين الذى هو الإسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها . والله اعلم .

وسار الإسكندر بعد أن ملك بلاد فارس ؛ فاحتوى على ملوكها ، وتزوج بابنة ملكها دارا بعد أن قتله ، ثم سار إلى أرض الهند والهند ، ووطىء ملوكها ، وحملت إليه الهدايا والخراج ، وحاربه ملكها فور ، وكان أعظم ملوك الهند ، وكان له معه حروب ، وقتله الإسكندر مبارزة .

ثم سار الإسكندر نحو بلاد الصين والتبت ؛ فدانت له الملوك ، وحملت إليه

(۱) في ۱۰ فيلبس بن مصر بن هرمس بن مردش بن منظور بن رومي بن

لبط بن يونان بن يافت بن نوح .

(۲) في ۱۰ الإسكندر بن برقة بن سرحون بن رومي بن بربط بن نوفل بن

رومي بن الأصفر بن البعر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم .

الهدايا والضرائب ، وسار في مفاوز الترك يُريد خراسان من بعد أن ذلَّ ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ، ورتب بيلاذ التبت خلقاً من رجاله وكذلك بيلاذ الصين ، وگور بخراسان كوراً ، وبنى مدناً في سائر أسفاره ، وكان معلمه أرسطاطاليس حكيم اليونانيين ، وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون ، وأفلاطون تلميذ سقراط ، وصرف هؤلاء همهمهم إلى تقييد علوم [الأشياء الطبيعية والنفسية، وغير ذلك من علوم] (١) الفلسفة واتصالها بالإلهيات ، وأبانوا عن الأشياء ، وأقاموا البرهان (٢) على صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تناولها .

وسار الإسكندر راجعاً من سفره يوم المغرب ، فلما صار إلى مدينة شهرزور اشتدت علته ، وقيل : بيلاذ نصيبين من ديار ربيعة ، وقيل : بالعراق ، فعهد إلى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس .

الحكام
على جدث
الإسكندر

فلما مات الإسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الأمم ، وكان يجمعهم ، ويستريح إلى كلامهم ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم ، وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجواهر (٣) بعد أن طلى جسمه بالأطلية الماسكة لأجزائه ، فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم : ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعمامة واعظاً ، وقام فوضع يده على التابوت ، فقال : أصبح أسر الأسراء أسيراً ، ثم قام حكيم ثان فقال : هذا الإسكندر الذي كان يخبو الذهب فصار لذهب يخبوه ، وقال الحكيم الثالث : ما أزهت الناس في هذا الجسد ، وأرغبهم في هذا التابوت ! وقال الحكيم الرابع : من أعجب العجب أن القوى قد غلب ، والضعفاء لاهون مغترؤن (٤) ، وقال الخامس : باذ الذي جعل أجله ضمناً ، وجعل أمله عياناً ، هلا باعدت

(١) زيادة عن اوحدها . (٢) في ا « وأقاموا البراهين » .

(٣) في ا « مرصع بالجواهر » . (٤) في ا « مغترؤن » محرفاً .

(١٩ - مروج الذهب ١١)

من أجلك ، لتبلغ بعض أملك ، هلا حقت من أملك بالامتناع عن فوت^(١) أجلك
 وقال السادس : أيها الساعي المنتصب^(٢) جمعت ما خذلك عن الاحتياج ، ففودرت
 عليك أوزاره وفارقت أيامه ، فغناه لغيرك ، ووباله عليك ، وقال السابع : قد
 كنت لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك ، فمن كان له عقل فليعقل ،
 ومن كان معتبراً فليعتبر^(٣) ، وقال الثامن : رُبّ هائب لك كان يفتابك من
 ورائك ، وهو اليوم بحضرتك لا يخافك ، وقال التاسع : رب حريص على سكوتك
 إذ لاتسكت ، وهو اليوم حريص على كلامك إذ لاتكلم ، وقال العاشر : كم
 أماتت هذه النفس^(٤) ثلاثموت ، وقد ماتت ، وقال الحادي عشر ، وكان
 صاحب خزانة كتب الحكمة : قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك ، فالיום لا أقدر
 على الدنومنك ، وقال الثاني عشر : هذا اليوم عظيم العبر ، أقبل من شره ما كان
 مدبراً ، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً ، فمن كان باكياً على مَنْ زال ملكه
 فليبك ، وقال الثالث عشر : يا عظيم الساطان اضمحل سلطانك كما اضمحل [ظل]
 السحاب ، وعفت آثار مملكته كما عفت آثار الرباب^(٥) ، وقال الرابع عشر :
 يا من ضاقت عليه الأرض طولاً وعرضاً ، ليت شعري كيف حالك فيما احتوى
 عليك منها؟ وقال الخامس عشر : أعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت
 نفسه بجمع الحطام البائد والهشيم الهامد ، وقال السادس عشر : أيها الجمع الحافل^(٦)
 والملتقى الفاضل ، لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته ؛ فقد بان لكم الصلاح
 والرشاد من الغي والفساد ، وقال السابع عشر : انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى؟!
 وظل الغمام كيف انجلى؟! وقال الثامن عشر ، وكان من حكماء الهند : يا من كان
 غضبه الموت هلا غضبت على الموت ، وقال التاسع عشر : قد رأيتم أيها الجمع

(١) في ا « وقت أجلك » .

(٢) في ا « المنصب » وأحسبه محرفاً عن « المنصب » .

(٣) في ب « ومن كان معتبراً فليعتبر » .

(٤) في ا « كم أقات هذه النفس » محرفاً .

(٥) في ا « كما عفت آثار الرباب » . (٦) في ا « الجمع الحافل » محرفاً .

هذا الملك الماضي فليتعمظ به الآن هذا الملك الباقي ، وقال العشرون : هذا الذي دار كثيراً أو الآن يقر طويلاً ، وقال الحادي والعشرون : إن الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت ، فإيتكلم الآن كل ساكت ، وقال الثاني والعشرون : سيلحق بك من سرّ موتك كما لحقت بمن سرّ موته ، وقال الثالث والعشرون : مالك لا تَقِلُّ عضواً من أعضائك ، وقد كنت تستقل ملك الأرض ؟ بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد ؟ وقال الرابع والعشرون ، وكان من نساك الهند وحكامها : إن دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها ، وقال الخامس والعشرون ، وكان صاحب مائدته : قد فرشت النمارق ، ونضدت الوسائد^(١) وهيئت الموائد ، ولا أرى عميد المجلس ، وقال السادس والعشرون ، وكان صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرني بالجمع والادخار فإلى من أدفع ذخايرك ؟ وقال السابع والعشرون وكان خازناً من خزانه : هذه مفاتيح خزائنك ، فمن يقبضها قبل أن أؤخذ بما لم آخذ منها ؟ وقال الثامن والعشرون : هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طُوِّيتَ منها في سبعة أشبار [ولو كنت بذلك موقناً لم تحمل على نفسك في الطلب]^(٢) ، القول التاسع والعشرون قول زوجته روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس : ما كنت أحسب أن غالب دارا الملك يغلب ، وإن كان هذا الكلام الذي سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شماتة^(٣) فقد خلف الكأس الذي تشرب به الجماعة ، القول الثلاثون ما يحكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيمه : لئن فقد من ابني أمره ، فما فقدت من قلبي ذكره .

وقبض الإسكندرو هو ابن ست وثلاثين سنة ، وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا ، وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وتملكه على سائر ملوك

(١) في « ونضدت النضاد » . (٢) زيادة في ا وحدها .

(٣) في ب « فيه شرابه » .

مات له خليل ؛ وليكون ذلك ماتم الإسكندر بالسرور ، خلاف ماتم الناس بالحزن ، فلما ورد نعيه إليها ، ووضع التابوت بين يديها ، نادى في أهل مملكتها على مابه أمرها ، فلم يجب أحد دعوتها ، ولا بادر إلى نذائها ، فقالت لحشمها : ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي ؟ فقالوا لها : أنت منعتهم^(١) من ذلك ، قالت وكيف ؟ قيل لها : أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوباً ، أو عدم خليلاً ، أو فارق حبيباً ، وليس فيهم^(٢) أحد إلا وقد أصابه بعض ذلك ، فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت مابه مثلت ، وقالت : لقد عزاني ولدي أحسن العزاء ، وقالت : يا إسكندر ما أشبه أو أخرجك بأوائلك ، وأمرت به فجعل في تابوت من المرمر ، وطلّى بالأطلية الماسكة لأجزائه ، وأخرجته عن الذهب ؛ لعلها أن من يطرأ بعدها من الملوك والأمم لا يتركونه في ذلك الذهب ، وجعل التابوت المرمر على أحجار نُضدّت ، وصخور نصبت ، من الرخام والمرمر قد رصفت ، وهذا الموضع من الرخام والمرمر باقى ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الإسكندر إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الإسكندرية ومعجائبها ، ومصر وأخبارها ونيلها ، في الموضع المستحق له من ذلك في كتابنا ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ب « بن أذينة » .

(٢) الوجه في العربية « منعتهم » بكسر التاء وبدون الياء ، ولكن المؤلف يستعمل مثل ذلك كثيراً ، وقد نهينا عليه مراراً فيما سبق .

(٣) في ا « وليس منهم أحد » .

ذكر جوامع من حروب الإسكندر^(١) بأرض الهند

قال المسعودي ؛ لما قتل الإسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند ، وانقاد إليه جميع ملوك الهند ، على حسب ما ذكرناه من حمل الأموال والخراج إليه ؛ فباغته أن في أقاصي أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة ، وسياسة وديانة ، وإنصاف للرعية ، وأنه قد أتى عليه من عمره مئتان من السنين وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكائهم مثله ، يقال له كند ، وكان قاهراً لنفسه ، مميّاً لصفاته من الشهوية والفضبية وغيرها ، حاملاً لها على خلق كريم ، وأدب زائن^(٢) : فكتب إليه كتاباً يقول فيه : أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائماً فلا تقعد ، وإن كنت ماشياً فلا تلتفت ، وإلا مزقتُ ملكك ، وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند ، فلما ورد عليه الكتاب أجاب الإسكندر أحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد اجتمع له قبله أشياء لا يجتمع عند غيره مثلها [إلا من صارت إليه عنه]^(٣) فمن ذلك ابنة^(٤) له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها ، وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله ؛ لحدة مزاجه ، وحسن قريحته ، واعتدال بنيته ، واتساعه في علمه ، وطبيب لا تخشى معه داء ، ولا شيئاً من العوارض ، إلا ما يطراً من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى ، وإن كانت بنية الإنسان وهيكله قد نصبت في هذا العالم غرضاً للآفات والخوف والبلايا ، وقدح عندى إذا أنا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شيء ، ولا يزيد به الراد عليه إلا دهاقاً ، وأنا مُنفذُ جميع ذلك إلى

(١) في ا « جوامع من أخبار جرت للإسكندر بأرض الهند » .

(٢) في ا « وأدب فائق » .

(٣) زيادة عن ب وحدها .

(٤) في ا « فمن ذلك جارية له » .

الملك ، وصائر إليه ، فلما قرأ الإسكندر [هذا] الكتاب ووقف على ما فيه قال :
تكون هذه الأشياء الأربعة عندي ، ونجاة هذا الحكيم من صنولتي أحب من أن
لا تكون عندي ويهلك ، فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من حكماء اليونانيين
والروم في عدة من الرجال ، وتقدم إليهم : إن كان صادقاً فيما كتب به فاحلوا
ذلك إلى ، ودعوا الرجل في موضعه ، وإن تبينتم أن الأمر بخلاف ذلك وأنه
أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلى ،
فمضى القوم حتى انتهوا إلى الملك^(١) فتلقاهم بأحسن لقاء ، وأنزلهم أحسن منزل ،
فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلساً خاصاً للحكماء منهم دون من كان معهم
من المقاتلة ، فقال بعض الحكماء لبعض : إن صدقنا في الأولى صدقنا فيما بعدها
مما ذكر ، فلما أخذت الحكماء مراتبها ، واستقرت بها مجالسها ، أقبل عليهم
مباحثاً لهم في أصول الفاسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الإلهيات ،
وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته ، فطال الخطب في المبدأ^(٢) الأول ،
وتشاح القوم ، ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء على غير مرأ^(٣)
وتناهى بهم الكلام إلى غاية كان إليها صدورهم من العلويات^(٤) ، ثم أخرج
الجارية فلما ظهرت لأبصارهم رمقوها^(٥) بأعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على
عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدى ببصره إلى غيره ، وشغله تأمل
ذلك وحسنه وحسن شكلها وإتقان صورتها ، فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم
عند النظر إليها ، ثم إن كل واحد منهم رجع إلى نفسه [وفهمه] وقهر سلطان هواه
ودواعي طبعه ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به ، وسيرهم^(٦) وسير الفيلسوف
والطبيب والجارية والقدح معهم ، وشيعهم مسافة من أرضه ، فلما وردوا على

(١) في ا « فلما انتهوا إلى مملكته تلقاهم » .

(٢) في ب « المبادئ الأولى وتشاحوا القوم » .

(٣) في ا « على غير منزلة » . (٤) في ا « من المعلومات » .

(٥) في ا « رهقوها بأعينهم » . (٦) في ا « وصرفهم وسير - إلخ » .

الإسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف، ونظر إلى الجارية، فأر عند مشاهدتها، وبهرت عقله، وأمر قيعة جواريه بالقيام عليها، ثم صرف همهته إلى الفيلسوف وإلى علم ما عنده، وإلى علم الطبيب ومحل من صنعة الطب وحفظ الصحة، وقص الحكماء عليه ماجرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي، ومن أحضره^(١) من فلاسفته وحكائه، فأعجبه ذلك، وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي إليها كان أصدرهم^(٢)، وأقبل ينظر إلى مطاردة الهند في عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون^(٣) من عللها وصحة قياسها على ما قدمنا من أوضاعها، ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما أحرعنه، فخلابنفسه، وأجال فكره، ففتح له سائح من الفكر بإيقاع معنى يختبره به، فدعا بقدر فلاء سمناً وأدهقه، ولم يجعل للزيادة عليه سبيلاً، ودفعه إلى رسول له، وقال له: امض به إلى الفيلسوف، ولا تخبره بشيء، فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه إلى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للأمر^(٤) المتقنة المحكمة في نفسه: لأمر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن إلى، وأجال فكره، وسبر المراد به، ثم دعا بنحو ألف إبرة ففرز أطرافها في السمن، وأنفذها إلى الإسكندر، فأمر الإسكندر بسبكها كرة مدورة مملئة متساوية الأجزاء، وأمر بردها إلى الفيلسوف، فلما نظر إليها الفيلسوف وتأمل فعل الإسكندر فيها أمر بيسطها، وبأن يتخذ منها امرأة بحضرتة، وصقلها، فصارت جسماً صقياً ترد صورة من قابها من الأشخاص؛ لشدة صفائها، وزوال الدرن عنها، وأمر بردها إلى الإسكندر، فلما نظر إليها، وتأمل حسن صورته فيها، دعا بطست فجعل المرأة فيه، وأمر بإراقة الماء فيه عليها حتى رسبت فيه، وأمر بحمل ذلك إلى الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك أمر بالمرأة فجعل منها مشربة كالطر جهارة، وجعلها في الطست فوق الماء، فطفت فوقه، وأمر بردها إلى

(١) في ١ « ومن حضره » . (٢) في ١ « إليها كان أصدرهم » .

(٣) في ١ « ومانعه اليونانيون من عللها وصحته من قياسها » .

(٤) في ١ « وتأتيه للأمور » .

الإسكندر، فلما نظر الإسكندر إلى ذلك أمر بتراب ناعم فملئت منه، ووردها إلى
 الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك تغير لونه وحال، وجزع وتغيرت صفاته،
 وأسبل دموعه على [صحن] خده، وكثر شهيقه، وطال أنينه، وظهر حنينه،
 وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه، ثم أفاق من ذلك الحال، وزجر نفسه، وأقبل
 عليها كالمعاتب لها؛ وقال: ويحك يانفس!! ما الذي قذف بك في هذه الشدقة
 وأصارك إلى هذه الغمة، ووصلك بهذه الظلمة؟ أنسيت^(١) وأنت في النور تسرحين
 وفي العلوم تمرحين، وتنظرين في الضياء الصادق، وتنفسجين في العالم المشرق؟ أنزلت
 إلى عالم الظلم والمعاندة، والغشم والمفاسدة، تخطفك الخواطف، وتتهرك^(٢)
 العواصف، قد حرمت علم الغيوب، والكون في العالم المحبوب، ورميت بشدائد
 الخطوب، ورفضت كل مطلوب، أين مصادرك الطيبة وراحتك القوية؟ حللت في
 الأجساد، فقوى عليك الكون والفساد، حللت يانفس بين السباع القاتلة
 والأفاعى المهلكة، [والمياه الحاملة]^(٣) والنيران المحرقة، والريح العاصفة، وصيرتك
 الأعمار^(٤) في قرارات الأجسام، لا تشاهدين إلا غافلا، ولا ترين إلا جاهلا، قد زهد
 في الخيرات ورغب عن الحسنات، ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهو، فقال
 بأعلى صوته: يالك من نجوم سائرة، وأجسام زاهرة، من عالم شريف طلعت، ولشيء
 ما وضعت، إنك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة، وفي أكنافه
 قاطنة^(٥)، فقد أصبحت عنه ظاعنة، ثم أقبل على الرسول وقال: خذه وورده إلى
 الملك، يعني التراب، ولم يحدث فيه حادثة، فلما ورد الرسول على الإسكندر
 أخبره بجميع ما شاهده، فتعجب الإسكندر من ذلك، وعلم مرامي الفيلسوف
 ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من النقلة مما علامن العوالم إلى هذا العالم

(١) في ا « ألت وأنت في النور - إلح » .

(٢) في ا « تنهرك العواصف » (٣) زيادة في ا وحدها .

(٤) في ا « تسير بك الأعمار » . (٥) في ا « وفي خزائنه قاطنة » .

ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الإسكندر جلوساً خاصاً ، ودعا به ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، فلما أقبل ونظر إلى صورته وتأمل قامته وخلقته ، نظر إلى رجل طويل الجسم ، رَحْب الجبين ، معتدل البنية ، فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، فإذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحدَ زمانه ، ولست أشك أن هذا الشخص [قد اجتمع له الأمران جميعاً ، فإن كان هذا الشخص] ^(١) قد علم كل ما راسلته به ، وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة ، فإيس في وقته أحد يدانيه في حكمته ، ولا يلحقه في علمه ، وتأمل الفيلسوف الإسكندر فأدار أصبعه السبابة على وجهه ، ووضعها على أرنبة أنفه ، وأسرع نحو الإسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه ، فحياه بتحية الملوك ، فأشار إليه الإسكندر بالجلوس ، فجلس حيث أمره ، فقال له الإسكندر : ، بالك حين نظرت إلى ورميت بطرفك نحوي أدت أصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة أنفك ؟ قال : تأملتك أيها الملك بنورية عقلي وصفاء مزاجي ، فتبينت فكرتك في ، وتأملتك لصورتي ، وأنها قلما تجتمع مع الحكمة ، فإذا كان ذلك كان صاحبها أوحد [أهل] زمانه ، فأدرت أصبعي مصداقاً لما سنع لك ، وأريتك مثالا شاهداً ، كما أنه ليس في الوجه إلا أنف واحد فكذلك ليس في دار مملكة الهند غيري ، ولا يلحق أحد من الناس بي في حكمتي ، فقال له الإسكندر : ما أحسن ما تأتي لك ما ذكرت ، وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت ، فدع عنك هذا ، [وأخبرني] ما بالك ^(٢) حين أنفدت إليك قدحاً مملوءاً سمناً غرزت فيه إبراً ورددته إليّ ؟ قال الفيلسوف : علمت أيها الملك أنك تقول : إن قلبي قد امتلأ وعلمي قد انتهى كامتلاء هذا الإناء من السمن ، فليس لأحد من الحكماء فيه مستزاد ، فأخبرت الملك أن علمي سيزيد ^(٣) في علمك ، ويدخل فيه دخول هذه الإبر في هذا

(١) زيادة في اوحدها . (٢) في « ما بدا لك » .

(٣) في ب « أن علمي يستزيد في علمه » .

الإناء ، قال : فأخبرني ما بالك^(١) حين عملت من الإبركة وأنفذتها إليك صيرتها^(٢) مرآة ورددتها إلى صقيلة ، قال : [قد] علمت أيها الملك أنك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة ، فلا يقبل العلم ، ولا يرغب في فهم الغايات في العلوم والحكمة ، فأخبرتكم مجيباً متمثلاً^(٣) بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعل منها مرآة صقيلة مؤدية إلى الأجسام عند المقابلة لحسن الصفاء ، قال له الإسكندر : صدقت ، قد أجبته عن مرادى ، فأخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء : لم جعلتها قدحاً فوق الماء طافية ثم رددتها إلى ، قال الفيلسوف : علمت أنك تريد بذلك أن الأيام قد انقضت وقصرت ، والأجل قد قرب ، ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل ، فأجبت الملك متمثلاً^(٤) أني سأعمل الحيلة في إيراد العلم الكثير في المهل القليل إلى قلبه وتقريبه من فهمه ، كاحتياالي للمرأة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه ، قال له الإسكندر : صدقت فأخبرني ما بالك حين ملأت الإناء تراباً رددته إلى ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف ، قال : علمت أنك تقول : ثم الموت وأنه لا بد منه ، ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس الثقيل^(٥) الذي هو الأرض ، ودثورها وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرثي ، قال له الإسكندر : صدقت ، ولأحسن إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ، وأقطعه قطائع واسعة ، فقال له الفيلسوف : لو أحييتُ المال لما أردت العلم ، ولست أدخل على علمي ما يضاذه وينافيه ، واعلم أيها الملك أن القنية توجب الخدمة^(٥) ، ولسنا نجد عاقلاً من خدم غير ذاته ، واستعمل غير ما يصلح نفسه ، والذي يصلح النفس الفلسفة ، وهي صقالها وغذاؤها ، وتناول

(١) « ما بدالك » .

(٢) في « ضربتها » .

(٣) في ب « ممثلاً » .

(٤) في ب ه « المعتقل » .

(٥) يريد أن من ملك ما يقتني وجبت عليه خدمته ليدوم ، وفي ب « أن القنية » محرفاً .

[اللاذات] ^(١) الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها، والحكمة سبيل إلى العلو، وسُلم إليه، ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه، واعلم أيها الملك أن بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته، ولا يقوم بالجور، والعدل ميزان الباري، جل وعز، فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل ^(٢) وزلل، وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الإحسان إلى الناس، وقد ملكت أيها الملك بسيفك، وصولة ملكك، وتأتيتك في أمورك، وانتظام سياستك أجسام رعيتك؛ فتحرراً أن تملك قلوبهم بإحسانك إليهم، وإنصافك لهم، وعدلك فيهم، فهي خزانة ساطانك، فإنك إن قدرت أن تقول قدرت أن تفعل، فاحترز من أن تقول تأمن من أن تفعل، فالملك السعيد من تمت له رياسة أيامه ^(٣)، والملك الشقي من انقطعت عنه، فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه بعدوبة الطهارة.

قال المسعودي رحمه الله: وخلى الإسكندر عن النياسوف لإبائه المقام معه فلحق بأرضه، وللإسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع من العلوم، ومكاتبات، ومراسلات، جرت بين الإسكندر وبين كند ملك الهند، قد أتينا على مبسوطها والفرر من معانيها والزهر ^(٤) من عيونها في كتابنا «أخبار الزمان».

وأما القَدْحُ فامتحنه حين أدهقه بالماء، وأورد عليه الناس، فلم ينقص شربهم منه شيئاً، وكان معمولاً بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم، وغير ذلك من العلم مما يدّعيه الهند، وقد قيل: إنه كان لآدم أبي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيه، فوُثِرَ عنه، وتداولته الملوك، إلى أن انتهى إلى كند هذا الملك العظيم سلطانه،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ب. (٢) في أ «من كل عيب وزلل».

(٣) في أ «من دامت رياسة أيامه». (٤) في أ «والرمز من عيونها».

وما كان عليه من الحكمة ، وقيل غير ذلك من الوجوه ، مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا .

وللطبيب معه أخبار ظريفة ، ومناظرات عجبية ، في أوائل المعرفة وصناعة الطب وترقيه [معه] إلى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها ، أعرضنا عن ذكرها خوفاً من الإطالة وميلاً إلى الاختصار في هذا الكتاب^(۱) ؛ لتعلق الكلام بالتوهم الذي تدعيه الهند في صناعة الطب وغيرها .

وقد كان للإسكندر في أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الأقاليم ومشاهدته الأمم ، وملاقاته الحكماء مع تنأى ديارهم ، وبعد أوطانهم ، واختلاف لغاتهم ، وعجائب صورهم ، وتباينهم في شيمهم وأخلاقهم — أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من السير ، وما أحدث من الأبنية ، وقد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا ، وغير ذلك مما عن وصفه^(۲) أمسكنا ، وإنما ذكرنا اليسير من أخباره ، لئلا يعرَى^(۳) كتابنا [هذا] من شيء منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته ، وبالله التوفيق .

(۱) في ب ه في هذا المكان .

(۲) في ب « عن وصفها أمسكنا » .

(۳) في ا « لئلا يخلو كتابا » .

ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر

ثم ملك بعد الإسكندر الملك خليفته « بطليموس » وكان حكماً عالماً بطليموس
سائماً مدبراً ، وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل : بل كان ملكه عشرين
سنة ، وقد كان لهذا الملك — وهو التالي للملك الإسكندر — حروب مع
بنى إسرائيل وغيرهم من ملوك الشام .

وذكر جماعة من أهل الدرايات^(١) بأخبار ملوك العالم أنه أول من اقتنى
البزاة ولعب بها وضراًها ، وأنه ركب في بعض الأيام في طربه^(٢) إلى بعض
متنزهاته فنظر إلى بازٍ يطير ، فرآه إذا علا صفق^(٣) ، وإذا سفل خفق ، وإذا
أراد أن يستوى ذرق ، فأتبعه [بصره] حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة
الشوك ، فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتها وكال خلقه ، فقال : هذا طائر
حسن ، وله سلاح وينبغي أن تزين به الملوك في مجالسها ، فأمر أن يجمع منها
عدة لتكون في مجلسه زينته ، فعرض لبازٍ منها أيمم^(٤) ، وهو الحية الذكر ،
فوثب عليه البازي فقتله ، فقال الملك : هذا ملك يفضب مما تفضب منه الملوك ،
ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجناً ، فوثب عليه البازي فما أفلت إلا
جريحاً^(٥) ، فقال الملك : هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ، ثم مر [به] طائر
فوثب عليه فأكله ، فقال الملك : هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله ،
فلعب بها [ثم لعب] بعده ملوك الأمم من اليونانيين والروم والعرب والعجم
وغيرهم ، وثنى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها ،
وقد قيل : إن اللذارقة^(٥) وهم ملوك الأندلس من الأشبان أول من لعب
بالشواهين وصاد بها ، وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان وعب بها ،
وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان .

(١) في « أهل الدراية » . (٢) في « في طرف » .

(٣) في ب « إذا علاص » . (٤) في ا « إلاجرىضا » .

(٥) اللذارقة : جمع لدريق ، ووقع في ب « الأزارقة » محرفاً .

قال المسعودي : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبيخ^(١) [والباب]^(٢) والأبواب جملا من أخبارها وأخبار من لعب بها، وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون : إن الجوارح أجناس، خلقها الله تعالى وأنشأها على منازلها ودرجاتها ، وهي : أربعة أجناس ، وثلاثة عشر شكلا ، فأما الأجناس الأربعة فهي : البازي ، والشاهين^(٣) ، والصقر ، والعقاب ؛ وقد ذكرنا هذه الأجناس والأشكال على طريق الخبر في الكتاب الأوسط على مراتبها من سائر أنواع الحيوان الجوارح ، ودلائلها ، وما قاله الناس في ذلك .

هيفلوس

ثم ملك بعد بطليموس «هيفلوس» وكان رجلا جباراً ، وفي أيامه [عملت الطلسمات^(٤)] ظهرت عبادة التماثيل والأصنام لشبه دخلت عليهم ، وأنها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم إليه وتذنيهم منه ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين^(٥) سنة ، وقيل : أربعين [سنة]^(٦) .

وقد قيل : إن الذي تملك بعد خايقة الإسكندر بطليموس الثاني ، محب الأخ ، وغزا بني إسرائيل ببلاد فلسطين وإباليا من أرض الشام ، فسيامهم ، وقتل منهم ، وطلب العلوم ، ثم رد بني إسرائيل إلى فلسطين ، وحمل معهم الجواهر والأموال ، وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس ، وكان ملك الشام يومئذ أبطنجنس^(٦) ، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية ، وكانت دار ملكه ، وجعل بناء سورها أحد عجائب العالم في البناء على السهل والجبل ، ومسافة السور اثنا عشر ميلا ، عدة الأبراج فيه مائة وستة وثلاثون برجاً ، وجعل عدد شُرُقاته أربعة وعشرين ألف شرفة ، وجعل كل برج من الأبراج ينزله^(٧)

- (١) في ب « جبل الفتح » .
 (٢) هذه الكلمة لا توجد في ب .
 (٣) في ب « والشواهين » .
 (٤) لا توجد هذه العبارة في ا .
 (٥) في ا « ثمانيا وثمانين سنة » .
 (٦) في ب « أنطيوخس » .
 (٧) في ب « وجعل على كل برج من الأبراج بتولة بطريق - الخ » .

ببطريق برجاله وخيله ، وجعل كل برج منها طبقات [إلى أعلاه ، فربط الخيل في أسفله ، وأرضه ، والرجال في طبقاته]^(١) والبطريق في أعلاه ، وجعل كل برج منها كالحصن عليه أبواب حديد ، وآثار الأبواب ومواضع الحديد بين إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — وأظهر فيها مياهاً من أعين وغيرها ، لاسبيل إلى قطعها من خارجها ، وجعل إليها مياهاً منصبة في قننٍ مخرقة إلى شوارعها ودورها ، ورأيت فيها من هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخزف لترادف التقن^(٢) فيها فيتراكم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده ، فلا يعمل الحديد في كسره ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المترجم بـ « القضايا والتجارب » ما شاهدناه حساً ، ونمى إلينا خبراً ، مما يولده ماء أنطاكية في أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم ، وما يحدث في معدم ، من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة ، وقد أراد الرشيد سكنها فقيل له بعض ما ذكرنا من أوصافها ، وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها ، وعدم بقاء ريح [أنواع] الطيب بها ، واستحالتها [على اختلاف أنواعه] فامتنع من سكنها .

ثم ملك على اليونانيين بعد هيفلوس « بطليموس » الصانع ، ستاً
جماعة من ملوك
اليونانيين
وعشرين سنة .

ثم ملك بعده عليهم « بطليموس » المعروف بمحب الأب ، تسع عشرة
سنة^(٣) .

وكانت له حروب مع ملوك الشام ، وصاحب أنطاكية الإسكندروس ، وهو الذي بنى مدينة فامية بين حمص وأنطاكية .

ثم ملك بعده على اليونانيين « بطليموس » صاحب [عال] علم الفلك والنجوم ، وكتاب المجسطى وغيره ، أربعاً وعشرين سنة .

(١) زيادة في اوحدها . (٢) في ا « ترادف البصر » .

(٣) في ا سبع عشرة سنين .

ثم ملك [بعده^(١)] « بطليموس » محب الأمر، خمساً وثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الصانع [الثاني] ^(١) سبعاً وعشرين سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » المحلص ، سبع عشرة سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الإسكندراني ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الجديد ^(٢) ، ثمان سنين .
 ثم ملك بعده « بطليموس » الجوّال ^(٣) ، ثمانياً وستين ^(٤) سنة ، وكانت له
 حروب كثيرة .

كليوباترا

ثم ملك بعده « بطليموس » الحديث ^(٥) ، ثلاثين سنة .
 ثم ملكت بعد ابنته « قابترة » وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة ،
 وكانت حكيمة متفاسفة ، مقربة للعلماء [معظمة للحكام] ^(٦) ولها كتب
 مصنفة في الطب والرُّقِيَّة ^(٧) وغير ذلك من الحكمة ، مترجمة باسمها ،
 منسوبة إليها ، معروفة عند صنعة أهل الطب ؛ وهذه الملكة آخر ملوك
 اليونانيين إلى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم ، وانحلت آثارهم ،
 وزالت علومهم ، إلا ما بقي في أيدي حكائهم ، وقد كان لهذه الملكة خبر
 ظريف في موتها وقتلها لنفسها ، وقد كان لها زوج يقال له أنطونيوس ^(٨)
 مشارك لها في ملك مقدونية ، وهي بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها ، فسار
 إليهم الثاني من ملوك الروم ، من بلاد رومية ، وهو أغسطس ، وهو أول
 من سمي قيصر ، وإليه تنسب القياصرة بعده ، وسنذكر خبره في باب ملوك
 الروم بعد هذا الموضع ، وكانت له حروب بالشام ومصر مع قابطرة الملكة ومع

- (١) هذه الكلمة لا توجد في ب . (٢) في ب « بطليموس الجديد » .
 (٣) في ا « بطليموس الحوال » . (٤) في ا « ثمان سنين » .
 (٥) في ب « الحديد » . (٦) زيادة في ب وحدها .
 (٧) في ب « الطب والزينة » . (٨) في ا « أفطيسوس » .

زوجها أنطونيوس ، إلى أن قتله ، ولم يكن لقلبارة في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة ، وأراد أغسطس إعمال الحيلة فيها^(١) لعله يحكمتها ، وليتعلم منها إذ كانت^(٢) بقية الحكماء اليونانيين ، ثم بعدها يقتلها^(٣) ، فراسلها ، وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها ، فطلبت الحيلة التي تكون بين الحجاز ومصر [والشام] وهي نوع من الحيات : تراعى الإنسان ، حتى إذا تمكنت من النظر إلى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً كثيرة كالرمح^(٤) فلم تخطى ذلك العضو بعينه ، حتى تنفل عليه سماً ، فتأثى عليه ، ولا يعلم بها ، لمخوده من فوره ، ويتوهم الناس أنه قد مات فجأة حتف أنفه ، ورأيت نوعاً من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الأهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة ، وهو الموضع المعروف بخان مردويه بين مدينة دورق وبلاد الباسيان والفندم في الماء ، وهي حيات شبرية ، وتدعى هنالك القبرية^(٥) ، ذات رأسين تكون في الرمل وفي جوف تراب الأرض ، فإذا أحست بالإنسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعاً كثيرة فضربت بإحدى رأسها إلى أى موضع من ذلك الحيوان ، فتلاحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها لحينه ، فبعثت قابطرة هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التي توجد بأطراف الحجاز ، فلما أن كان اليوم الذي علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريتها ومن أحببت فناءها قبلها ، وأن لا يلحقها

(١) في ا « في أخذها » .

(٢) في ا « لأنها كانت — إلخ » .

(٣) في ا « ثم يعذبها ويقتلها » .

(٤) في ا « كالرمح » .

(٥) في ب « القبرية » .

العذابُ بعدها ، فسمتها في إنائها نحمدت من فورها ، ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير ملكها ، ووضعت تاجها على رأسها ، وعليها ثيابها وزينة ملكها ، وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجتمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا ، مبسوطة في مجلسها وقُدَّام سريرها ، وعهدت بما احتاجت إليه من أمورها ، وفرقت حشمها من حولها ، فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكهم ، لما قد غشيم من عدوهم ودخوله عليهم في دار ملكهم ، وأدنت يدها من الإناء الزجاج الذي كانت فيه الحية ، فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية ، فحفت مكانها ، وانسابت الحية وخرجت من الإناء ، ولم تجد جُحراً ولا مذهباً تذهب فيه لإتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والأصباغ ، فدخلت في تلك الرياحين ، ودخل أغطس حتى انتهى إلى المجلس ، فنظر إليها جالسة والتاج على رأسها ، فلم يشك في أنها تنطق ، فدنا منها فتبين [له] أنها ميتة ، وأعجب بتلك الرياحين ، فد يده إلى كل نوع منها يلمسه ويتبينه^(١) ويعجب خواص من معه به ، ولم يدر سبب موتها [وهو يتأسف^(٢) على ما فاته منها] فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها إذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها ، فبیس شقه [الأيمن]^(٣) من ساعته ، وذهب بصره الأيمن وسمعته ، فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها وإيثارها للموت على الحياة مع الذل ، ثم ما كادته به من إلقاء الحية بين الرياحين ، فقال في ذلك شعراً بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها ، وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوماً وهلك ، ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطرة الملكة لكان أغطس قد هلك من ساعته ، ولم تمهله هذه المدة ، وهذا الشعر معروف عند الروم إلى هذه الغاية يذكرونه في نوحهم^(٤) ويرثون به ملوكهم [وموتاهم] ، وربما

(٢) زيادة في اوحدها .

(١) في ا « ويتشمه » .

(٣) في ب « يومهم » .

ذكروه في أغانيهم ، وهو متعالم معروف عندهم ، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوائفهم البلاد^(١) ، وأخبار حكمائهم ، وما أحدثوه من الآراء والنحل ، ومقائل فلاسفتهم ، وغير ذلك من أسرارهم وعجيب أخبارهم .

والذي يعول عليه من عدد ملوكهم ، واتفق على ذلك^(٢) أهل المعرفة بأخبارهم ، أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكاً آخرهم الملكة قليطرة ، وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد ساطانهم ثمانمائة سنة وسنة واحدة ، وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الإسكندر ابن فيلبس يسمى بطليموس ، وهذا الاسم الأعم الشامل لملكهم^(٣) ، كتسمية ملوك الفرس كسرى ، وتسمية ملوك الروم قيصر ، وتسمية ملوك اليمن تبع ، وتسمية ملوك الحبشة النجاشي ، وتسمية ملوك الزنج فليمي^(٤) ، وقد ذكرنا جملاً من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الأعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا هذا ، وسنورد بعد هذا الموضع — في الموضع المستحق له من هذا الكتاب — جملاً عند ذكرنا الملوك والممالك ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في ا « وطروقمهم بالبلاد » .

(٢) في ا « واتفق فيه أهل المعرفة » .

(٣) في ا « لملوكهم » .

(٤) في ب « وهليمن » .

ذكر [ملوك] (١) الروم ، وما قاله الناس في أنسابهم

وعدد ملوكهم ، وتاريخ سنينهم

الاختلاف في
نسب الروم

تتأرجع الناس في الروم ، ولأية علة سموا بهذا الاسم ، فمنهم من قال : سموا روما لإضافتهم إلى مدينة رومية ؛ واسمها روما بالرومية ، وعرب هذا الاسم فسمى من كان بها روما ، وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعواهم أهل الثغور إلا رومينس (٢) ، ومنهم من رأى أن هذا الاسم اسم الأب ، وهو روم بن سماحيل بن هريان بن عقلا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل (٣) عليه السلام ، ومنهم من رأى أنهم سموا باسم جددهم ، وهو (٤) رومي بن ليطن بن يونان ابن يافث بن بريه بن سرحون بن رومية بن مريبط بن نوفل بن روين بن الأصفر ابن النفر (٥) بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام [وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب اليونانيين نسب الإسكندر واتصاله بهذا النسب ، على ما ذكره الناس في ذلك ، والله أعلم .

وقد ولد للعيص ثلاثون رجلا ، فالروم الآخرة بنو الأصفر بن النفر (٥) بن العيص بن إسحاق (٦) ، وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الإسلام ذلك لاشتهار ما وصفنا فيهم : منهم عدى بن زيد العبّادي حيث يقول :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وقد كان العيص بن إسحاق ، وهو عيصو ، تزوج من بنات الكنعانيين ، فأكثر أولاده منهم ، وقد قيل : إن العماليق - وهم العرب البادية الذين كانوا بالشام - من ولد النفر (٥) بن عيصو ، [وكذا ذكر عوثيل بن عيصو] (٦) وهذا ما لا ينقاد

(١) هذه الكلمة لا توجد في ١ . (٢) في ب « رميس » .

(٣) في ١ « وهو روم بن سماحيل بن هريان بن عقلاء بن العيص - إلخ » .

(٤) في ١ « وهو روم بن لبط بن يونان بن يافث بن ثونة بن سرحون بن

رومية بن مريبط بن نوفل بن رومن بن الأصفر بن النفر بن العيص بن إسحاق -

إلخ » . (٥) في ب « الينز » (٦) هذه الجملة كلها ساقطة من ب

إليه علماء العرب إلا في الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم ، وهذه الأنساب كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من كتب العبرانيين .

أول
ملوك الروم

قال المسعودي : وغابت الروم على ملك اليونانيين لأخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب شرحها ، وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوخاس^(١) ، وهو جاليوس الأصغر بن روم بن سماحليق^(٢) ، فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، وقد قيل : إن أول من ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس بن كوليوس^(٣) ، ثمان عشرة سنة ، وفي نسخة أخرى أن أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين تولىس^(٤) ، سبع سنين ونصفاً ، وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة .

أغسطس

ثم ملك بعده « أغسطس » قيصر^(٥) ، ستاً وخمسين سنة ، وهذا الملك هو أول من سمي من ملوك الروم قيصر ، وهو الثاني من ملوكهم ، وتفسير قيصر [بقراً] أي شق عنه ، وذلك أن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها ؛ فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده ، وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أهمهم ، فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم ، والله أعلم .

وغزا هذا الملك الشام ومصر والإسكندرية ، وأزال من بقي من ملوك الإسكندرية ومقدونية وهي مصر ، وقد قدمنا أن كل ملك كان يلي مقدونية والإسكندرية يسمى بطليموس ، واحتوى هذا الملك - أعني أغسطس - على خزان ملوك الإسكندرية ومقدونية ، ونقلها إلى رومية ، وكانت له حروب كثيرة في الأرض ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وكان يعبد الأوثان ، وبنى بأرض الروم مدناً وكوراً كوراً نسبت لتلك المدن إليه : منها قيسارية ، وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية ، وكان مولد المسيح عيسى بن مريم

(١) في ب « ساطوخاس وهو جانيوس » . (٢) في ب « سماحليق » .

(٣) في ب « هالوس بن أفليوس » . (٤) في ب « بوليس » .

(٥) في ب « أغسطس بن قيصر » .

مولد المسيح

عليه السلام بها ، وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمناه ، لاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا ، فكان من ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع وستون^(١) سنة ، ورأيت في مدينة أنطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسبان^(٢) أنه كان من ملك الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين^(٣) ، وكان مولد يسوع الناصري [لإحدى وعشرين سنة خلت من ملك هيردوس ملك بني إسرائيل في ذلك العصر]^(٤) بإيليا من بلاد فلسطين ، وهي أورشليم بالعبرانية ، فمن هبوط آدم إلى مولد المسيح في تواريخ أصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة [سنة وخمسون سنة]^(٥) .

وأقام أغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفاً وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر أسفاره ستاً وخمسين سنة ، على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية إياه بمقدونية ، وجفاف نصفه ، وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قابطرة بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب . ثم ملك الروم بعده « طياريوس »^(٦) وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح عليه السلام ، ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت ؛ فأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانياً وتسعين سنة ، لانظام لهم ، ولا ملك يجمعهم .

طياريوس

ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم « طباريس غانس »^(٧) بمدينة رومية ، فكان ملكه أربع سنين ، والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور . ثم ملك بعد « قلوديس »^(٨) أربع عشرة سنة ، وذلك برومية ، وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح . وقيل : إن في أيامه

قلوديس

(١) في ا « وتسع وتسعون سنة » . (٢) في ا « البستان » .

(٣) في ا هنا « وتسع وستون سنة » . (٤) ما بين المعقوقين في ا وحدها .

(٥) عبارة « وخمسون سنة » لا توجد في ا (٦) في ا « طباريس » .

(٧) في ب « بطاريس » . (٨) في ب « فلوريس » .

مقتل أتباع
المسيح

قتل برومية بطرس ، واسمه باليونانية شمعون ، والعرب تسميه سمعان ، هو وبواصر ،
وصلبا منكين ، وما كان من خبرهما مع سيم^(١) الساحر برومية ، وهما ممن أتى
إلى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس ، ثم كان لهما بعد ذلك نبأ
عظيم ، وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية ، فجعلوا في أجرية^(٢) من البلور ،
فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس إلى هذه الغاية ، على حسب
ما قدمنا آنفاً فيما سلف من هذا الكتاب ، وأكثر من عنى بأخبار العالم وسير
ملوكهم وتاريخهم ، يذهب إلى أنهما قتلا برومية في ملك الخامس من ملوك
الروم ، وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الأرض ، فسار ماري^(٣) إلى [مادانا] من
العراق فمات بمدينة ديرقني^(٤) والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط ، وهذا
البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب
فقبره هناك في كنيسة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، يعظمه أهل
دين النصرانية ، ومضى توما ، وكان من الاثني عشر ، إلى بلاد الهند داعياً إلى
شريعة المسيح ، فمات هناك ، وسار آخر إلى آخر مدينة بخراسان ، فمات هناك
وموضع قبره مشهور بعظمه الناصري ، ومنهم من رأى أنه مات ببلاد قوقا و خانيجار
و كرخ حدان^(٥) في تخوم العراق ، وموضعه مشهور ، ومات ماركس بالإسكندرية
من أرض مصر ، وقبره هناك ، وهو أحد التلاميذ الأربعة الذين ألفوا الإنجيل ، وقد
كان لما رقس مع أهل مصر خبر ظريف في مقتله ، وقد أتينا على السبب في ذلك
في كتابنا الأوسط الذي كتبنا هذا تال له ، وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته
لهم حين أراد المسير إلى المغرب : إنه من جاءكم على صورتى فاقتلوه ، فإنه
سيرد عليكم بعدى أناس يتشبهون بي ، فبادروا إلى قتلهم ، ولا تقبلوا منهم

(١) في ب « سيم الساحر » .

(٢) في ا « أخزنة » .

(٣) في ب « فسار مارا » .

(٤) في ب « بمدينة برمي » .

(٥) في ب « ومنهم أردماث ببلاد قوقا وحا البغار وكرخ حران » .

ما يقولون، ومضى ، وغاب عنهم برهة من الزمان ، ولم يلحق بحيث أراد، فرجع إليهم ، فلما هموا بقتله قال لهم : ويحكم!! أنا مارقس، قالوا : لا ، وقد أخبرنا أبونا مارقس ، وعهد إلينا بقتل من يتشبه به، قال : فإني أنا مارقس ، قالوا : لاسبيل إلى تركك ، ولا بد من قتلك ، فقتلوه ، وكان قبل ذلك سئل في بدء الأمر عن البراهين المؤيدة لقوله، وطالبوا منه المعجزات ، وقال له بعضهم : إن كنت صادقاً فيما أتيتنا به فاعرج إلى هذه السماء ، ونحن نراك ، فزرع عنه زربانفته^(١) وأثرر بمنزر صوف على أن يصعد إلى السماء ، فتعلق به جماعة من تلامذته ، وقالوا له : إن مضيت فمن لنا بعدك إذ كنت الأب ؟ وكان أمره بعد ذلك على

تلاميذ المسيح ما وصفنا، وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذاً واثنا عشر من غير الاثني والسبعين،

فأما الذين نقلوا الإنجيل فهم : لوقا ، ومارقس ، ويوحنا^(٢) ، وممتي ، ومنهم من الاثني والسبعين لوقا وممتي ؛ وقد يعد ممتي أيضاً في الاثني عشر ، ولا أدري ما معناهم في ذلك، والاثنيان اللذان من الاثني عشر يوحنا بن زبدي^(٣)، ومارقس صاحب الإسكندرية ، والثالث الذي ورد أنطاكية، وقد تقدمه بطرس وتوما، وهو بولس، وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى (فعززنا بثالث) قال: وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر؛ لأن مارقس أباح لهم ذلك.

ملك تيزون ثم ملك الروم «تيزون»^(٤) واستقام ملكه ، وورغب [في عبادة التماثيل

والأصنام ، ويقال : إنه قتل في ملكه بطرس وبولس برومية] على حسب ما قدمنا ونمى دين النصرانية إلى الروم ، فكثرت فيهم الدعوة إليه ، فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة ، وكان ملكه أربع عشرة سنة [وأشهرأ] .

ملك طيطش وأمباسيانوس ثم ملك بعده «طيطش وأمباسيانوس»^(٥) مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة ، وذلك بمدينة رومية ، ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا إلى

(١) في ب « زر ثيابه » .

(٢) في ب « ويحي » .

(٣) في ب « يحي بن سيداي » .

(٤) في ب « تيزون » .

(٥) في ا « ططس وأسفيانوس » .

الثام ، وكانت لهما مع بني إسرائيل حروب عظيمة ، وقتل فيها من بني إسرائيل ثلثمائة ألف ، وخربا بيت المقدس [وأحرقا الهيكل بالنار] ، وحرثاه بالبقر ، وأزالا رسمه ، ونحووا أثره ، وكانت عبادتهما للأصنام .

ووجدت في بعض كتب التواريخ أن الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس أن يسبي كل يوم منهم سبي ، يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الأمم ، فلا [يأتي] يوم من أيام العالم إلا والسبي واقع بهم ، قل ذلك أو أكثر .

ثم ملك الروم بعدها «دوبطياس»^(١) خمس عشرة سنة ، عابداً للتماثيل
معظماً لها ، ولتسع سنين من ملكه نفي يوحنا التلميذ أحد الأربعة من
أصحاب الإنجيل إلى بعض جزائر البحر ، ثم رده بعد ذلك .
ثم ملك بعده «بيرونوس» سنة .

جماعة من
ملوك الروم

ثم ملك بعده «طريانوس» سبع عشرة سنة^(٢) يعبد الأصنام ، ولتسع
سنين خلت من ملكه مات يوحنا التلميذ .

ثم ملك بعده «أدزيانس» إحدى عشرة سنة ، يعبد التماثيل ، وخرب
سائر ما بنى بنو إسرائيل بالشام .

ثم ملك بعده «أبطوليس» برومية ثلاثاً وعشرين سنة ، وبني بيت
المقدس وسماه إيليا ، وهو أول من سماه بهذا الاسم إيليا .

ثم ملك بعده «مرلس» سبع عشرة سنة^(٣) يعبد الأصنام .

ثم ملك بعده «فرمودش» يعبد الأوثان ، ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده «سويرس» ثمان عشرة سنة .

[ثم ملك بعده ولد له يقال له «أبطونيس» يعبد التماثيل ، سبع
سنين]^(٣) .

(٢) في «تسع عشرة سنة» .

(١) في ب «ذونسطاس» .

(٣) لا توجد هذه الزيادة في أ .

ثم ملك بعده « أبطونيس^(١) » الثاني ، أربع سنين ، يعبد التماثيل ،
 وفي آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطيب .
 ثم ملك بعده « الإسكندر مامياس » وتفسير مامياس العاجز ، وكان
 يعبد التماثيل ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك بعده « متسمس » يعبد التماثيل ، وكان ملكه ثلاث سنين .
 ثم ملك بعده « غردانس » يعبد التماثيل^(٢) ، ست سنين .
 ثم ملك بعده « دقيوس^(٣) » يعبد الأوثان ، ستين سنة ، وأمعن في قتل
 النصرانية ، وطلبهم ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف^(٤) ، وقد اختلف
 الناس في أصحاب الكهف والرقيم : فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم
 أصحاب الرقيم ، وزعموا أن الرقيم هو ما رقم من أسماء أهل الكهف في لوح من
 حجر على باب تلك المغارة ، ومنهم من رأى أن أصحاب الرقيم غير أصحاب
 الكهف ، وقد ذكرنا كلا الموضعين بأرض الروم ، وقد حكى أحمد بن الطيب^(٥)
 ابن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي عن محمد بن موسى
 المنجم - حين أنفذه الواثق بالله من سُرَّ مَنْ رَأَى إلى بلاد الروم حتى أشرف
 على أصحاب الرقيم ، وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بخارمي^(٦) ، وقد ذكرنا
 في الكتاب الأوسط قصة أصحاب الكهف ، وموضعهم ، وكيفية أحوالهم ،

دقيوس
 وأصحاب
 الكهف

(١) في هذه الأسماء كلها اختلاف كثير ، وقد نبهنا على بعضه ، واعتمدنا في
 الآخر ما في أوحدنا .

(٣) في ب « يعريس » .

(٢) في ا « يعبد الأوثان » .

(٤) المعروف أن الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس ،

والتاريخ في مثل هذه المواضع ليس محلاً للثقة والجزم ؛ فلامعنى لوقوفنا لتحقيق مثل

هذه المباحث ، والقرآن نفسه لم يتعرض لاسمه ولا زمنه ولا مكانه .

(٥) في ب « أحمد بن الطيب عن مروان » .

(٦) في ب « بخارمي » .

إلى هذه الغاية ، وخبر أصحاب الرقيم ، وما حكاه محمد بن موسى النجم من خبرهم ، وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسهم ، وقتل من كان معه من المسلمين ، وأخبرنا عن [خبر] السد الذي بناه ذو القرنين مانعاً لياجوج وماجوج .

قال المسعودي : ووجدت في كتاب صور الأرض ، وما عليها من الأبنية المعظمة والهياكل المشيدة ، قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجباين دون الطول والذهب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك ؛ فمقدار ذلك من الجبل إلى الجبل خمسون ومائة فرسخ ، وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه ، وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني النجم ، وتكلم عليه ، وبرهن على فساد ، وأفرد أحمد بن الطيب^(١) الذي قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل ، وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الأوسط .

[ثم ملك « جالنوس » ثلاث سنين^(٢) .

ثم ملك بعده « يدنوس » نحواً من عشرين سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة .

[ثم ملك بعده « فورس » نحواً من عشرين سنة]^(٣) .

ثم ملك بعده ولد له يقال له « فارس » نحواً من سنتين .

ثم ملك بعده « قليطانس » عشر سنين .

ثم ملك بعده « قسطنطين » .

(١) في ب « وأفرد محمد بن الطيب » .

(٢) لا يوجد ما بين العنقوين في ب

(٣) هذه العبارة لا توجد في ا .

عدد ملوك الروم ، و مدة ملكهم
قال المسعودي : والذي وجدت في الأكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا
عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية ، وهم الذين قدمنا
ذكرهم في هذا الباب ، تسعة وأربعون ملكا ، وجميع عدد سني ملكهم
من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف في صدر هذا
الكتاب إلى قسطنطين هذا ، وهو ابن هلائي ، أربعائة وسبع وثلاثون سنة
وسبعة أشهر وسبعة أيام^(١) ، ونسخ كتب التواريخ في هذا المعنى مختلفة ،
غير متفقة في أسماء ملوكهم ، و مدة ملكهم ، وأكثرها بالرومية ؛ فحكينا
من ذلك ما تأتي [لنا] وصفه ، ولهؤلاء الملوك أخبار وسير ، هي موجودة
في كتب النصارى الملكية ، وقد أتينا على مبسوطها ، والغرض منها
في كتابنا « أخبار الزمان » وما شئدوا من البنيان ، وما كان لهم في هذا
العالم من الأسفار ، وبالله التوفيق .

(١) في « وستة أيام » .

ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وهم ملوك القسطنطينية

ولم من أخبارهم

ملك قسطنطين بعد أن هلك قليطانس برومية ، وهو يعبد الأوثان ، قسطنطين
 وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بوزنطيا ، وهي مدينة
 القسطنطينية فبناها ، وسماها باسمه إلى وقتنا هذا ، وكان له في بنائها خير
 ظريف مع بعض ملوك برجان ؛ لخوفٍ داخله من بعض ملوك ساسان ،
 وكان خروجه من رومية ، ودخوله في دين النصرانية ، لسنة خلت من
 ملكه ؛ ولتسع سنين خلت من ملكه^(١) خرجت أمة «هلائي» إلى أرض
 الشام ، فبنت الكنائس ، وسارت إلى بيت المقدس ، وطابت الخشبة التي
 صلب عايتها المسيح عندهم ، فلما صارت إليها حلتها بالذهب والفضة ، واتخذت
 لوجودها عيداً ، وهو عيد الصليب ، وهو لأربع عشرة تَخْلُو من أيلول ،
 وفيه تفتح الترع والخارجانات ببلاد مصر ، على حسب ما نورده عند ذكرنا
 لأخبار مصر من هذا الكتاب ، وهي التي بنت كنيسة حمص على أربعة
 أركان ، وذلك من عجائب بنيان العالم ، واستخرجت الكنوز والدقائن
 بمصر^(٢) والشام ، وصرفت ذلك إلى بناء الكنائس ، وتشيد دين النصرانية ،
 وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم ؛ فإنها بنتها هذه الملكة «هلائي»
 أم قسطنطين ، وجعل اسمها مع الصليب في كل كنيسة لها ، وليس للروم في
 أحرفهم هاء ، وأحرف «هلائي» خمسة أحرف ، فالأول إمالة ، وهو بحسب
 الجمل خمسة ، والثاني — وهو اللام — ثلاثون ، والثالث إمالة أيضاً ،
 وهي خمسة أيضاً ، والرابع النون وهي خمسون ، والخامس ياء ، وهو في
 حساب الجمل عشرة ؛ فذلك مائة اختصاراً على ما ذكرنا ، وهذه صورة

(١) في ب « فليطاليس » . (٢) في ا « ولسبع سنين خلت من ملكه » .

(٣) في ا « من مصر والشام » .

السنودسات
(الاجتماعات)
السته

الحرف الذي هو مائة بالرومية ، ولتسع عشرة سنة^(١) خلت من ملك قسطنطين ابن هلافي اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً بمدينة نيقية بأرض الروم ، فأقاموا دين النصرانية ، وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة [التي يذكرها الروم في صلواتهم ويسمون بها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات الستة]^(٢) بالرومية السنودسات^(٣) ، واحدا سنودس ؛ فالأول بنيقية على ما ذكرنا من العدد ، وكان الاجتماع فيه على أريوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية من الملكية والمشاركة ، وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية ، واتفاق من اليعاقبة على هذا السنودس أيضاً ؛ والسنودس الثاني بالقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلاً ، والسنودس الثالث بأفسوس وعددهم مائتا رجل ؛ والسنودس الرابع بمخلقدونية^(٤) ، وعددهم ستائة وستون رجلاً ، والسنودس الخامس بقسطنطينية ، وعددهم مائة وستة^(٥) وأربعون رجلاً ، والسنودس السادس كان في مملكة المدائن ، وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلاً ، وسنذكر بعد هذا الموضوع في ترتيب ملوك الروم هذه السنودسات ، وغاية دين النصرانية ، وزوال عبادة التماثيل والصور .

سبب تنصر
قسطنطين

وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلافي في دين النصرانية والرغبة فيه أن قسطنطين خرج في بعض حروب برجان ، أو غيرهم من الأمم ، وكانت الحرب بينهم سجلاً نحواً من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، فخاف الجوار ، فرأى في النوم كأن رماحا نزلت من السماء ، فيها عذاب ، وأعلاماً على رؤوسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس ، وأنواع الجواهر [والخشب] وقيل له : خذ هذه الرماح ، وقاتل بها عدوك تنصر ، فجعل يحارب بها في النوم ، فرأى عدوه منهزماً ،

(١) في ا ه ولسبع عشرة سنة . (٢) زيادة عن اوحدها .

(٣) في ب « السنودسات واحدها سنودس » .

(٥) في ا « مائة وستون رجلاً » .

(٤) في ا « بمخلقدونية » .

وقد نصر عليه ، وولاه الدبر ، فاستيقظ من رقدته ، ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ، ورفعها^(١) في عسكره ، وزحف إلى عدوه ، فولوا وأخذهم السيف ، فرجع إلى مدينة نيقية ، وسأل من أهل الخبرة عن تلك الصليان ، وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من [أرض] الشام تجتمع لهذا المذهب ، وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قتل النصرانية ، فبعث إلى الشام ، وإلى بيت المقدس ، فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً ، فأتوه وهو بنيقية ، فقص عليهم أمره ، فشرعوا له دين النصرانية ، فهذا هو السنودس^(٢) الأول ، وهو الاجتماع على ما ذكرنا ، وقد قيل : إن أم قسطنطين هلاقي كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا .

وكان ملك قسطنطين إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وفي وجه آخر من التاريخ أنه ملك خمساً وعشرين سنة ، وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاداً لموضع القسطنطينية ، ووروده إلى هذا الخليج الآخذ من بحر مايطس ونيطس في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، وإن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ، ويجرى فيه الماء جرياً ، ويصب إلى بحر الشام ، ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلاً ، وقيل : أقل من ذلك ، وعرضه في الموضع الذي يأخذ من بحر مايطس نحو من عشرة أميال ، وهناك عمار ، ومدينة للروم تدعى سباه^(٣) ، تمنع من يرد في هذا البحر من مراكب الروس ، وغيرها ، ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية ، فيصير عرضه — وهو موضع العبور من الجانب الشرقي إلى الموضع الغربي الذي فيه القسطنطينية — نحواً من أربعة أميال ، وعليه العمار ، وينتهي في ضيقه إلى الموضع المعروف بالأندلس ، وهناك جبال وعين ماء كثير ، ماؤها موصوف ، تعرف بعين مسامة بن عبد الملك وكان

(١) في ب « ودفعا في عسكره » .

(٢) في ب « السنودس » وكذلك في كل ما سبق .

(٣) في « تدعى مسامة » .

نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية ، وأنته مراكب المسلمين ، وفم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ، ومنتهى مصبه مضيق ، وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي كانت للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم ، وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الإسلام ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، وأخبرني أبو عمير عدى بن أحمد^(١) بن عبد الباقي الأزدي - وهو شيخ الثغور الشامية قديماً وحديثاً إلى وقتنا هذا ، وهو من أهل التحصيل - أنه لما عبر إلى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لإقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وتردده^(٢) مما يلي بحر مايطس ، وربما يتبين في الماء الذي يلي بحر الشام فيجده فاتراً ، وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين ، وأنه قد دخل في بحر الروم إلى هذا الخليج أيضاً ، وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة^(٣) - وقد كانوا قد دخلوا إلى خليج القسطنطينية ، وساروا فيه مسافة بعيدة - أنهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالمد والجزر ، وعليه العمار والندن ، فلما أحسوا بنقص الماء بادروا بالخروج منه إلى البحر الرومي ، وأن في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج ، والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال ، وفي الجانب الجنوبي البر^(٤) ، وفيه باب الذهب مطلى على صفايح النحاس ، [وهو عدة أسوار مما يلي الغرب ، وفيه قصر]^(٥) وأعلى أسوارها الغربية نحو من ثلاثين ذراعاً ، وقد ذكر أنه أقل من ذلك ، وأن أقصر موضع فيه عشرة أذرع ، [وأعلى موضع من سورها ما كان مما يلي الجنوب ، فأما ما كان مما يلي الخليج فسور واحد ، وفيه قصر وبواشير وأبراج كثيرة] ، ولها أبواب كثيرة مما يلي البر والبحر ، وحوها كنائس كثيرة ، وقد قيل : إن لها ثلاثين باباً ، ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صفاراً وكباراً وهو بلد عفن يختلف المهاب مرطب للأبدان لكونه بين ما وصفنا من هذه البحار .

(١) في ب « عدى بن حاتم بن عبد الباقي الأزدي » .

(٢) في ب « غلام أزارقة » .

(٣) في ب « و برده » .

(٤) في ا « ويلي منها الجانب الغربي البر » . (٥) لا توجد هذه العبارة في ب

قال المسعودي : ولم تزل الحكمة باقية عالية^(١) زمن اليونانيين ، وبرهة من مملكة الروم ، تعظم العلماء وتشرف الحكماء ، وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس ، والتعاليم الأربعة - أعني : الإرتماطيقى ، وهو علم الأعداد والجو مطريقي ، وهو علم المساحة والهندسة ، والاسترونوميا ، وهو علم النجوم ، والموسيقى وهو علم تأليف اللحن - ولم تزل العلوم قائمة السوق ، مشرقة الأقطار^(٢) قوية المعالم ، شديدة المقاوم ، سامية البناء ، إلى أن تظاهرت ديانة النصرانية في الروم ، فغفوا معالم الحكمة ، وأزالوا رسمها ، ومحووا^(٣) سبها ، وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته ، وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته .

وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى ؛ لأنه غذاء للنفس ، ومطرب لها ، وماهيا ، تبتهج عند سماعه ، وتحن إلى تأليف أوضاعه ، وقد نظقت الحكماء بشرفه ، ونهت على نفاسة محله ، فقال الإسكندر : من فهم الألحان استغنى عن سائر اللذات ، وقد قالت الفلاسفة : إن النغم [والأغاني] فضيلة شريفة كانت تعذرت^(٤) عن المنطق ليست في قدرته ، فلم يقدر على إخراجها ، فأخرجتها النفس ألياناً ، فلما أظهرتها سُرَّتْ بها وعشقتها وطربت إليها ، ورتبت الحكماء الأوتار الأربعة بإزاء الطبائع الأربع ، فجعلوا الزير بإزاء المرة الصفراء ، والمثنى بإزاء الدم ، والمثالث بإزاء البلغم والبم بإزاء [المرة] السوداء ، وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملامى والإيقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الأمم ، من أصناف الملامى ، من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الأمم ، وذكرنا مناسبة النغم للأوتار ، وممازجة النفس والألحان وكيفية تولد الطرب وأنواع السرور^(٥) وذهب الغم وزوال الحزن ، وعلل

(١) في ا ه نامية عالية .

(٢) في ا ه مشرقة الأقطار .

(٣) في ب ه وغفوا سبها .

(٤) في ا ه كانت تغيب عن المنطق .

(٥) في ا ه وإيقاع السرور .

ذلك الطبيعية والنفسية ، وما أحاط بذلك من جميع الوجوه، في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وأتينا على ظريف أخبارهم وأنواع لهوهم وملاهيهم في كتاب « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا ؛ إذ هذا الكتاب في غاية الإيجاز ، وإن سئح لنا سائح ذكرنا لمعاً من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، وإن تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا ، على الشرح والإيضاح .

قسطنطين ثم ملك الروم بعد قسطنطين بن هيلاني الملك المنتصر « قسطنطين بن قسطنطين » وهو ابن الملك الماضي ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة ، وبني كنائس كثيرة ، وشيد دين النصرانية .

لليانس ثم تملك ابن أخي قسطنطين الأول « لليانس »^(١) فرفض دين النصرانية ، ورجع إلى عبادة الأوثان ، وهو لليانس^(١) المعروف بالحنيفي . وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه « لليانس » البزطاط^(٢) وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير بن بابك ، فأتاه سهم مغرب فذبحه ، وقد كان سار إلى العراق في جنود لا تحصى ، ولم يكن لسابور حيلة في دفعه ولقائه لمفاجأته إياه ، فانصرف سابور عن اللقاء إلى الحيلة [في دفعه] وكان من أمره ما وصفنا [من سهم الغرب] . وكان ملكه إلى أن هلك سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية .

بونياس ولما هلك لليانس جزع من كان معه من الملوك ، والبطارقة ، والجيوش ، ففرعوا إلى بطريق كان معظماً فيهم ، يقال له بونياس^(٣) ، وقيل : إنه [كان] كاتب الماضي ، فأبى عليهم أن يملك إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه إلى ذلك

(٢) في ب « البرباط »

(١) في ب « بوليانس »

(٣) في ب « مريانس »

وضايق سابور القوم ، وأحاط بعساكرهم ؛ فكان ليونياس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشبة ، ثم افترقا ، وانصرف بجيوش النصرانية مؤادعا لسابور ، وأخلف عليه ما أنلف من أرضه بأموال حملها إليه ، وهداها من لطائف الروم ، وشيد [هياكل في] دين النصرانية ، وردّها إلى ما كانت عليه ، ومنع من الأصنام والتماثيل ، وقتل على عبادتها ، وكان ملكه سنة .

ثم ملك بعده « أوالس »^(١) وهو على دين النصرانية ، ثم رجع عنها ، وهلك في بعض حروبه ، وكان ملكه إلى أن هلك أربع عشرة سنة .

وقيل : إن في أيامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله
أهل الكهف يقظة
جل ثناؤه عنهم أنهم بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ، وهذا الموضع من أرض الروم في الشمال ، وللناس ممن عنى بعلم الفلك في ازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه [عن ذلك فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم - الآية) وكانوا من أهل مدينة أفسيس^(٢) من أرض الروم .

ثم ملك بعد أوالس « غراطياس »^(٣) خمس عشرة سنة ، ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية ، وهو أحد الاجتماعات فأتوا القول^(٤) في روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونس بطريق القسطنطينية ، وهو السنودس الثاني .

ثم ملك بعده « تدوسيس »^(٥) الأكبر ، وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية ، وعظّم منها ، وبني كنائس ، ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم ، وإنما كان أصله من الأشبان ، وهم بعض الأم السالفة ، وقد كانت ممن ملك الشام ومصر [والمغرب] والأندلس ، وقد تنازع الناس فيهم : فذكر الواقدي

(١) في ب « أوانيس » . (٢) في ب « أفسس » .

(٣) في ب « عرامطنامس » (٤) في ب « باسم القوم في روح القدس »

(٥) في ب « بدرسيس »

في كتابه فتوح الأمصار أن بدأهم من أهل أصبهان، وأنهم ناقلة من هنالك، وهذا
يوجب أنهم من قبل ملوك فارس الأولى، وذكر عبيد الله^(١) بن خرداذبه نحو ذلك
وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والأخبار، والأشهر من أمرهم أنهم من ولد
يافت بن نوح، وهم ملوك الأندلس من الأذارقة^(٢) واحدهم لذريق، وقد تنوزع في
دياناتهم: فمنهم من رأى أنهم كانوا على دين المجوس، ومنهم من رأى أنهم كانوا على
مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الأصنام، وقد قلنا: إن الأشهر من أنسابهم أنهم
من ولد يافت بن نوح، فكان مدة ملك تدوسيس إلى أن هلك عشر سنين^(٣).
ثم ملك بعده «أرقاديس»^(٤) أربع عشرة سنة، وكان على دين النصرانية.

جماعة

من ملوكهم

ثم ملك بعده ابنه «تدوسيس» الأصغر، وذلك بمدينة أفييس، وجمع مائتي
أسقف، وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفاً؛ ولعن فيه نسطورس
البطرك؛ وقد ذكرنا في كتابنا «أخبار الزمان» الحيلة التي وقعت على نسطورس
بَطْرِك القسطنطينية من صاحب الكرسي بالإسكندرية، وما كان من نسطورس،
ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب^(٥)، وما كان من يدوقيا^(٦) زوجة الملك إلى أن
نفي نسطورس من القسطنطينية إلى أنطاكية ثم منها إلى صعيد مصر، والمشاركة
من النصارى أضيفوا إلى نسطورس لأنهم اتبعوه وقالوا بقوله، وإنا وسمتهم
الملكية بهذا الاسم لتغيرهم وتعيينهم بذلك، وقد كانت المشاركة بالحيرة وغيرها
من الشرق تدعى بالعباد، وسأرتنصارى الشرق بأبون هذه الاضافة إلى نسطورس،
ويكرهون أن يقال لهم نسطورية، وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأى
المشاركة في الثالث، وهو الكلام في الأقاليم الثلاثة والجوهر الواحد

(١) في ب « عبد الله » .

(٢) في ب « وهم الأزارقة واحدهم أذريق » .

(٣) في ا « سبع عشرة سنة » .

(٤) في ب « أوباديس » .

(٥) في ا « المعروف بغم الذهب » .

(٦) في ب « بذريا » .

وكيفة اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المُحدَث ، وكان ملك تدوسيس الأصفر إلى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده « مرقيانوس » ، ثم ملك الروم « بلخاريا » زوجة مرقيانوس^(١) ، وكانت ملكة معه ، وفي أيامها كان خبر اليعاقبة من النصارى ، ووقوع الخلاف بينهم في الثالث ؛ فكان ملكها سبع سنين ، وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم ملكية ، والنوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد ، وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد فمات ، وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم ، وكرسی اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كرسی بمصر ، ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين ، وهما مصر وأنطاكية .

ثم ملك بعدها « اليون » الأصفر بن اليون^(٢) ، وكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أحرم مسعرة اليعقوبي^(٣) بطارك الإسكندرية ، واجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفاً^(٤) ، وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلاً ، وذلك بخلفونية^(٥) ، وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية ، واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس ، ولهم خبر ظريف في قصة سوارى البطرك ، وما كان من أمره ، وخبر تليذه يعقوب البراذعي^(٦) ، ودعوته إلى مذهب سوارى ، واليعاقبة أضيفت إلى مذهب يعقوب البراذعي^(٦) هذا ، وبه عرفت ، وكان من أهل أنطاكية يعمل البراذع .

ثم ملك بعده اليون الأصفر ابن اليون ، سنة على دين الملكية .

(١) « مرقيانوس وزوجته بلخاريا ، وكانت ملكة . وفي أيامها - إلخ »

(٢) في « اليون الأكبر بن اليون » . (٣) في « بسفرة اليعقوبي »

(٤) في ب « ستمائة وستون أسقفاً » واتفقت النسختان في العدد بعده .

(٥) في « بخلفونية » . (٦) في « البردعائي »

ثم ملك بعده « زينو »^(۱) ، وهو من بلاد الأرمنیان ، وكان يذهب إلى رأى اليعقوبية ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه في دار الملك ، فظفر بهم .
ثم ملك بعده « نسطاس » وكان يذهب إلى مذهب اليعقوبية ، وبني مدينة عمورية ، وأصاب كنوزاً ودفائن عظيمة ، وكان ملكه إلى أن هلك تسعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « يوسطاناس »^(۲) تسع سنين .
ثم ملك بعده « يوسطانياس »^(۳) تسعاً وثلاثين سنة ، وقيل : أربعين ، وبني كنائس كثيرة ، وشيد دين النصرانية ، وأظهر مذهب الملكية ، وبني كنيسة الرها ، وهي إحدى عجائب العالم ، والهياكل المذكورة ، وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعطاه النصارى ، وذلك أن يسوع الناصرى — حين أخرج من ماء المعمودية — تشف به ؛ فلم يزل هذا المنديل يتداول إلى أن قرر بكنيسة الرها ، فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في هذه السنة — وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — أعطى هذا المنديل للروم ، فجنحوا إلى الهندنة ، وكان للروم عند تسلمهم هذا المنديل فرح عظيم .

ثم ملك بعده ابن أخيه « نوسطيس »^(۴) ثلاث عشرة سنة ، على رأى الملكية .

ثم ملك بعده « طباريس » أربع سنين ، وأظهر في ملكه أنواعاً من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .
ثم ملك بعده « موريقس » عشرين سنة ، ونصر كسرى أبرويز على بهرام

(۲) في ب « يوسطيانوس » .

(۱) في ب « بير » .

(۴) في ب « فرسطيس »

(۳) في ب « سطابانس » .

جوبين^(١) ، قتل غيلة^(٢) ؛ وبمث أبرويز غضباً له بجيوش إلى الروم ،
وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا .
ثم ملك بعده « فوقاس »^(٣) ثمان سنين إلى أن قتل أيضاً .
ثم ملك بعده « هرقل » وكان بطريقاً في بعض الجزائر قبل ذلك ، فعمر
بيت المقدس ، وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام ، وبني الكنائس ،
ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى
المدينة شرفها الله تعالى .

(١) في ب « على بهرام جور »

(٢) في ا « قتل بحيلة »

(٣) في ب « فرماس » .

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودي : وَجَدْتُ فِي كِتَابِ التَّوَارِيخِ تَنَازَعًا فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي عَصْرِ مَنْ كَانَ مِنْ مَلُوكِ الرُّومِ : فَتَنَهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى مَا قَدِمْنَا مِنْ مَوْلِدِهِ وَهَجَرْتَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنَّ مَوْلِدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي مَلِكِ بَوْسَطِينُوسِ ^(١) الْأَوَّلِ ، وَكَانَ مَلَكَه تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .
ثُمَّ مَلِكٌ « بَوْسَطِينُوسِ » الثَّانِي ، وَكَانَ مَلَكَه عِشْرِينَ سَنَةً .
[ثُمَّ مَلِكٌ « هِرْقَلُ » بْنُ بَوْسَطِينُوسِ ، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَالدِّرَاهِمَ الْهَرَقَايَةَ ، وَكَانَ مَلَكَه خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً .
ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ « مَوْرِقُ » بْنُ هِرْقَلِ] ^(٢) .

والذي في كتب الزيجات في النجوم وعمايه يعمل أهل الحساب ، وفي تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف ، أن ملك الروم كان في وقت ظهور الإسلام وأيام أبي بكر وعمر « هرقل » وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الأخبار والسير ، إلا في السير منها ، وفي تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورك ^(٣) .

ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَهُ « قَيْصَرُ » بْنُ قَيْصَرٍ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
فِي عَهْدِ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ

ثُمَّ مَلِكٌ عَلَى الرُّومِ « هِرْقَلُ » بْنُ قَيْصَرٍ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي حَارَبَهُ أَمْرَاءُ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ ، وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَيَزِيدِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَمْرَاءِ الْإِسْلَامِ ، حِينَ أَخْرَجُوهُ مِنَ الشَّامِ .

وَكَانَ الْمَلِكُ عَلَى الرُّومِ « مَوْرِقُ » بْنُ هِرْقَلِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) ما بين المعقوفين عن ا وحدها

(١) في ب « بوسطورس »

(٣) في ا « قيصر بن فوق »

ثم ملك « مورك » بن مورك^(١) في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله في عهد علي عنه ، وأيام معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده [قلفط] بن مورك^(٢) بقية أيام معاوية ، وكان بينه وبين في عهد معاوية معاوية مراسلات ومهادنات ، وكان المختلف بينهما فناق الرومي^(٣) غلام كان لمعاوية ، وقد كان معاوية هادئاً أباه مورك بن مورك حين سار إلى حرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان بشره بالملك ، وأعلمه أن المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني عثمان ، ثم يؤول الملك إلى معاوية ، وقد كان معاوية يومئذ أميراً على الشام لعثمان في خبر طويل قد أتينا على ذكره في الكتاب الأوسط ، وأن ذلك من علم الملاحم يتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم ، وكان ملك قلفط بن مورك^(٢) في الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرًا من أيام عبد الملك بن مروان .

ثم ملك « لاون » بن قلفط^(٤) في أيام عبد الملك بن مروان ، وكان الملك في عهد الدولة المروانية بعده « جيرون » بن لاون في أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبدالعزيز ، ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسندة بن عبد الملك وغزو المسلمين إيّاهم في البر والبحر ، فلكوا عليهم رجلا من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش ، يقال له « جرجيس » ، وكان ملكه تسع عشرة سنة .

ولم يزل ملك الروم مضطربا إلى أن ملكهم « قسطنطين » بن اليون ، في عهد الدولة العباسية وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور أخيه ، ثم ملك بعده « اليون » بن قسطنطين ، وذلك في أيام المهدي والهادي ، ثم ملك بعده « قسطنطين » بن اليون ، وكانت أمه أريش^(٥) ماسكة معه ، مشاركة له في

(١) في ا « فوق بن مورك » .

(٢) في ا « فلنط بن فوق » .

(٣) في ب « بناق الرومي » .

(٤) في ا « لاوي بن فلنط » .

(٥) في ب « أريش » .

الملك ، لصفر سنة في أيام هارون الرشيد ، فمات قسطنطين بن اليون وسملت
عينا أمه بعد ذلك لأخبار بطول ذكرها ، ثم ملك على الروم « يعفور »^(١)
ابن اسدراق^(٢) ، وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات ، وغزاه الرشيد ،
فأعطاه القود من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته ، فانصرف
الرشيد عنه ، ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد ، وكتم عن الرشيد
أمره ، لعارض علة كان وجدها بالرقعة ، وفي انقياد يعفور^(١) إلى الرشيد
وَحَمَلِهِ الْأَمْوَالِ وَالْمَهْدَايَا وَالضَّرِيْبَةَ إِلَيْهِ يَقُولُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِمَامَ الْهَدَى أَصْبَحْتَ بِالْدِينِ مَعْنِيًّا	وَأَصْبَحْتَ تَسْقِي كُلَّ مَسْتَمَطِرٍ رِيًّا
لَكَ اسْمَانِ شَقَّامِنِ رِشَادٍ وَمِنْ هَدَى	فَأَنْتَ الَّذِي تَدْعِي رَشِيدًا وَمَهْدَبًا
إِذَا مَا سَخَطْتَ الشَّيْءَ كَانَ مُسَخَّطًا	وَإِنْ تَرْضَ شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرْضِيًّا
بَسَطْتَ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَ الْعَلَا	فَأَوْسَعْتَ شَرْقِيًّا وَأَوْسَعْتَ غَرْبِيًّا
وَنَشَيْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى	فَأَصْبَحَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَفْشِيًّا
وَأَنْتَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَى التَّقَى	نَشَرْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ مَطْوِيًّا
قَضَى اللَّهُ أَنْ صَنَى لِهَارُونَ مَلِكَهُ	وَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًّا
تَجَلَّبَتِ الدُّنْيَا لِهَارُونَ بِالرِّضَا	وَأَصْبَحَ يَعْفُورٌ لِهَارُونَ ذَمِيًّا ^(٣)

فَلَمَّا عَوَى الرَّشِيدُ مِنْ عِلْتِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَقَدْ هَابَهُ النَّاسُ أَنْ
يَخْبُرُوهُ بِغَدْرِ يَعْفُورٍ^(١) ، فَقَالَ :

نَقَضَ الَّذِي أَعْطَاكَ يَعْفُورٌ	فَعَايَهُ دَائِرَةُ الْبُورِ تَدُورُ ^(١)
أَبْشِرْ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ	فَتَحَّ أَتَاكَ بِهِ الْإِلَهُ كَبِيرُ

(١) كذا في ب ، وفي تاريخ ابن خلدون « نغفور » بالنون والتين المعجمة
وفي ا ، وبعض التواريخ « تغفور » بالنون والقاف .

(٢) في ا « بن استبرق » .

(٣) في ا « تجلبت الدنيا » وفيها « وأصبح نغفور » .

ففتح يزيد على الفتوح ، يومئذنا
فقد تباشرت الرعية أن أتى
ورجت بيمينك أن تعجل غزوة
يعفور ، إنك حين تغدر أن نأى
أظننت حين غدرت أنك مفلت
إن الإمام على اقتسارك قادر
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً
ملك تجرد للجهاد بنفسه
يا من يريد رضا الإله بسعيه
لا نصح بنفع من يفتش إمامه
نصح الإمام على الأنام فريضة

بالنصر فيه لوأوك المنصور
بالقدر عنه وافد وبشير
تشفى النفوس ، نكالها مذكور^(١)
عنك الإمام لجاهل مغرور
هبلت أمك ، ما ظننت غرور^(٢)
قربت ديارك أم نأت بك دور
عما يسوس بحزمه ويدير
فعدوه أبداً به مقهور
والله لا يخفى عليه ضمير
والنصح من نصحايه مشكور
ولأهله كفارة وظهور

وهي طويلة ، فلما أنشده إياها قال الرشيد : أو قد فعل ؟ وعلم أن
الوزراء قد احتالوا ، فتجهز وغزاه ، ونزل على هرقله ، وذلك في سنة
تسعين ومائة .

وأخبرني أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأزدي أن الرشيد لما أراد
النزول على [حصن] هرقله وكان معه أهل الثغور ، وفيهم شيخا الثغور الشامية
مخلد بن الحسين ، وأبو إسحاق الفزاري صاحب كتاب السير فخلا الرشيد
بمخاد بن الحسين ، فقال : أي شيء تقول في نزولنا على هذا الحصن ؟ فقال :
هذا أول حصن لقيت من حصون الروم ، وهو في نهاية المنعة [والقوة] ؛ فإن
نزلت عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده ؛ فأمره بالانصراف ،
ودعا بأبي إسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا

(١) في « ورجت بيمينك » .

(٢) في ب « لظننت حين غدرت » .

حصن بنته الروم في نحر الدروب^(١) ، وجعته [لها] ثغراً من الثغور، وليس بالآهل ؛ فإن أنت فتحت لم يكن فيه ما يعم المساميين من الغنائم، وإن تعذر فتحه كان ذلك نقصاً في التدبير ، والرأى عندي أن يسير أمير المؤمنين إلى مدينة عظيمة من مدن الروم ؛ فإن فتحت عمت غنائمها المساميين ، وإن تعذر ذلك قام العذر ، فمال الرشيد إلى قول مخلد ، فنزل على هرقله ، ونصب حولها الحرب تسعة عشر^(٢) يوماً ، فأصيب خلق كثير من المسلمين، وفنيت الأزواد والعلوفات، وضاق صدر الرشيد من ذلك ، فأحضر أبا إسحاق الفزاري ، فقال: يا إبراهيم قد ترى ما نزل بالمساميين ، فما الرأى الآن عندك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشفقت من هذا، وقد مت القول فيه ورأيت أن يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن، وأما الآن فلا سبيل إلى الرحيل عنه من بعد المباشرة ؛ فيكون ذلك نقصاً في الملك ، ووهناً في الدين ، وإطاعاً لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين، والمصابرة لهم، نكن الرأى يا أمير المؤمنين أن تأمر بالنداء في الجيش أن أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن إلى أن يفتحه الله عز وجل للمسلمين ، وتأمر بقطع الخشب وجمع الأحجار وبناء مدينة بإزاء هذا الحصن إلى أن يفتحه الله عز وجل ، ولا يكون هذا الخبر ينمو إلى أحد من الجيش إلا على المقام ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الحرب خدعة» وهذه حرب حيلة لا حرب سيف ؛ فأمر الرشيد من ساعته بالنداء ؛ فحملت الأحجار وقطع الأخشاب من الشجر ، وأخذ الناس في البناء ؛ فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون في الليل ، ويدلون أنفسهم بالحبال .

وفي خبر أبي عمير [بن عبد الباقي] زيادات ، منها خبر الجارية التي سبأها

(١) في ب « بحر الدروب » وليس بشيء .

(٢) في ا « تسعة عشر يوماً » .

الرشيد من هذا الحصن، وهي ابنة بطريقه، وكانت ذات حسن وجمال، فزأيد^(١) فيها صاحب الرشيد في المقم، وبالمنع فيها حتى اشتراها له، فبلغت من قلبه، وبني لها نحو الرافقة بأميال على طريق بالس حصناً سماه هرقله [على الفرات]^(٢)، يخاكي به حصن هرقله ببلاد الروم، في خبر طويل قد أتينا على جميعه في كتابنا الأوسط. وهذا الحصن باقٍ إلى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقله.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن^(٣) بن دريد، قال: أخبرني أبو العيناء، قال: أخبرني شبل الترجمان، قال: كنت مع الرشيد حين نزل على هرقله وفتحها، فرأيت بها حجراً^(٤) منصوباً مكتوباً عليه باليونانية، فجمعت أترجمه والرشيد ينظر إلى، وأنا لا أعلم، فكانت ترجمته. «بسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولا تحملنك إفراط السرور على المأثم، ولا تحمل على نفسك يوم لم يأت، فإنه إن يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك، ولا تكن من المفورين بجمع المال، فكم قد رأينا جامعاً لمعمل حليلته، ومقترراً على نفسه، وموفر الخزانة غيره» وقد كان تاريخ هذا الكتاب في ذلك اليوم زائداً على ألفي سنة.

وباب هرقله مِطْلُ عَلِيٍّ واد وخندق يطيف بها، وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقله لما اشتد بهم الحصار، وعصتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحو الباب فاستشرف المسامون لذلك، فإذا رجل من أهلها كأجل الرجال قد خرج في أكمل السلاح، فنادى: يا معشر العرب: قد طالت موافقتكم إيانا، فليخرج إلى منكم الرجل والعشرة إلى العشرين مبارزة، فلم يخرج إليهم من الناس أحد، ينتظرون إذن الرشيد، وكان الرشيد نائماً [فعاد الرومي إلى حصنه]^(٢)، فلهما استيقظ

(١) في ب « فزاد فيها » .

(٢) زيادة في ا وحدها .

(٣) في ا ، ب « محمد بن الحسين »

(٤) في ا « رأيت يابها حجرا » .

أخبر بذلك ، فتأسف ولامَ خدمه على تركهم إبقاؤه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إن امتناع الناس منه [اليوم] يُطمعوه ويغايبه وينجرته أن يخرج في غد فيطالب المبارزة ويعود لمثل قوله ، فطالت على الرشيد لياته ، وأصبح كالمنتظر له ، إذ فتح الباب ، فإذا الفارس قد خرج ، وعاد إلى كلامه ، فقال الرشيد : مَنْ له ؟ فابتدره جلة القواد ، فعزم على إخراج بعضهم ، فضجَّ أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب ، فأذن لبعضهم ، وفي مجلسه محمد بن الحسين وإبراهيم الفزاري ، فدخلوا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة ، وعلو الصيت ومباشرة الحرب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العليج لم يكبر ذلك ، وإن قتله العليج كانت وصية^(١) على العسكر عظيمة ، وثلمة لا تنسد ، ونحن عامة لا يرتفع لأحد منا صيت فإن رأى أمير المؤمنين أن يختار رجلاً منا يخرج إليه فعلى ، فصوّب الرشيد^(٢) رأيهم وقال محمد وإبراهيم : صدقوا يا أمير المؤمنين ، فأومؤا إلى رجل منهم يعرف بابن الجزري^(٣) مشهور في الثغور موصوف بالنجدة ، فقال له الرشيد : أخرج إليه ؟ قال : نعم ، وأستعين بالله عليه ، فقال : أعطوه فرساً وسيفاً ورمحاً وترساً ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ، ورمحي في يدي أشد ، ولكن قد قبلت السيف والترس . فلبس السلاح ، واستدناه الرشيد [فودعه] وأتبعه بالدعاء ، وخرج معه عشرون من المتطوعة ، فلما انقضى في الوادي قال لهم العليج وهو بعدهم واحداً واحداً : إنما كان الشرط عشرين ، وقد ازددتم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادوه : ليس يخرج لك منا إلا رجل واحد ، فلما انفصل^(٤) منهم ابن الجزري^(٣) تأمله العليج ، وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم ، فقال له الرومي : أتصدقني عما أسألك

(١) في ب « كانت وضيفة على العسكر »

(٢) في ا « فاستصوب الرشيد الرأي »

(٣) في ا « يعرف بابن الجزري »

(٤) في ا « فلما انفصل »

عنه؟ قال : نعم ، قال : أنت ابن الجزري بالله؟ قال : اللهم نعم ، فكف، لك^(١)؟
 قال : بلى كف،^(٢) ، ثم أخذ في شأنهما ، فقطاعاً حتى طال الأمر بينهما، وكاد
 القرسان أن يقوما تحتها ، وليس واحد منهما خدش صاحبه ، ثم رميا برمحيهما^(٣)
 هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه ، وانتضياً سيوفهما وقد اشتد الحر عليهما^(٤) ،
 وتبلد جوادها ، فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن أنه قد بالغ
 فيها فيتها الرومي ، وكانت درقته حديداً ، فيسمع لها صوت منكر ، ويضربه
 الرومي فيفوص سيفه^(٥) لأن ترس ابن الجزري كان درقة تبتية^(٦) ، وكان العليج
 يخاف أن يفوص^(٧) السيف فيعطب ، فلما يتس كل واحد منهما من صاحبه انهزم
 ابن الجزري ، فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كما لم يصبهم مثلها ، وعطط
 المشركون^(٨) من حصنهم ، وإنما كانت حيلة من ابن الجزري ، فاتبعه العليج وعلا
 عليه ، فلما تمكن منه ابن الجزري رماه برهق^(٩) فاخطفه من سرجه ، ثم عطف
 عليه ، فم وصل إلى الأرض جسده حتى فارقه رأسه ، وكبر المسلمون ، وانكسر
 المشركون ، وبادروا الباب ليغلقوه ، واتصل الخبر بالرشيد ، فصاح بالقواد أن
 يجعلوا في حجارة المجانيق النار ، فليس عند القوم دفع بعدها ، وعاجلهم المسلمون
 إلى الباب فدخلوها بالسيف ، وقيل : إنهم نادوا بالأمان ، فأمنوا ، وافتتحها
 عنوة أشهر من قول من قال : إنها فتحت صلحاً ، فقال في ذلك الشاعر الحكيم^(١٠)
 [وهو أبو نواس] :

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا جواتما ترتمى بالنفط والنار
 كأن نيراننا من جنب قلعتهم كشمعات على أرسان قصار

- (١) في ب « فكف، له » . (٢) في ا « قال : مثلى كف، لك »
 (٣) في ا « ثم زجا برمحيهما » (٤) ب « وقد اشتدت الحرب عليهما »
 (٥) في ا « فينفرز سيفه » . (٦) في ب « كانت يعانية » .
 (٧) في ا « يخاف أن يفوص السيف » . (٨) في ا « وعطط المشركون »
 (٩) في ا « رماه برهق » . (١٠) في ب « الشاعر الحكيم » محرفاً

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى ، وعظمت
لصاحبه الجائزة ، وضُبت الأموال على ابن الجزري ، وقوِّد ، وخلع عليه ،
فلم يقبل شيئاً من ذلك ، وسأل أن يُعفى ويترك على ما هو عليه ، ففي هذا
يقول الشاعر أبو العتاهية :

ألا نادت هرقلة بالخراب من الملك الموفق للصواب
غدا هرونُ يرعد بالنايا ويبرق بالمدكرة العصاب
ورايات يحل النصر فيها تمر كأنها مرُّ السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالغنيمة والإياب

والرشيد مع يعفور^(١) هذا بعد ذلك أخبار كثيرة ، وقد أتينا على مبسوطها في
كتابنا الأوسط ، وما كان من خبره في إرساله ليحيى بن الشيخير حين أمره أن
يتطارش على يعفور^(١) ، وما كان من يعفور^(١) وإخباره لبطارقتة أن الرشيد بعث
بهذا متصامماً ، وما طالبه ابن الشيخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت
عليه الخزان ، وما كان من انقياد يعفور^(١) بعد ذلك إلى طاعة الرشيد ، وشرطه
عليه أن يحمل إليه أينما كان من ماء عين العشيبة ، هي عين البر بدون^(٢) ،
وهي في نهاية الصفاء والرقعة ، وغير ذلك مما عنه أمسكنا طلباً للاختصار .
ثم ملك بعد يعفور^(١) « استراق بن يعفور بن استراق »^(٣) في أيام محمد
الأمين ، فلم يزل ملكاً حتى غلب على الملك قسطنطين بن قلفط^(٤) ، وكان
ملك قسطنطين هذا في خلافة المأمون .

ثم ملك بعده « توفيل »^(٥) ، وذلك في خلافة المعتصم ، وهو الذي فتح
زبطرة ، وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية ، وسنورد خبره فيما يرد من هذا
الكتاب في أخبار المعتصم ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ا هنا « نففور » .

(٢) في ب « البديدون » .

(٣) في ا « استراق بن نففور بن استراق » .

(٤) في ا « بن قلفط » .

(٥) في ب « نظر نوفيل » .

ثم ملك بعده « ميخائيل بن توفيل » وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمتصر والتمين .

ثم كاتف بين الروم تنازع في الملك ، فملكوا عليهم « توفيل بن ميخائيل ابن توفيل^(١) » ثم غلب على الملك بسيل الصقلي^(٢) ، ولم يكن من أهل بيت الملك ، وكان ملكه أيام المعز والمهتدي ، وبعض خلافة المعتمد .
[ثم ملك بعده ابنه « اليون بن بسيل » بقية أيام المعتمد وصدراً من أيام المعتضد^(٣)] .

ثم هلك فملكوا عليهم ابناً له يقال له « الإسكندروس » فلم يحمدا أمره ، فخلعوه وملكوا عليهم أخاه « لاوى بن اليون بن بسيل الصقلي^(٤) » وكان ملكه بقية أم المعتضد والمكتفي وصدراً من أيام المقتدر .

ثم هلك وخلف ولداً صغيراً يقال له « قسطنطين » فملك وغلب على مشاركته في الملك « أرمنوس » بطريق البحر وصاحب [غزوه و] حروبه ، فزوج قسطنطين الصبي بابنته ، وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضى والمتقى ، إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في خلافة أبي إسحاق المتقى لله بن المقتدر .

وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة ، والأكبر منهم والمدبر للأمور أرمنوس التغلب ، ثم الثانى وهو قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل^(٥) ، والملك الثالث ابن لأرمنوس ، يخاطب بالملك ، واسمه اسطفنوس^(٥)

(١) في ب « نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل » .

(٢) في ب ه نسيل الصقلي .

(٣) ما بين العقوفين ساقط من أ .

(٤) في ا ه لاوى بن بسيل الصقلي . وليس فيها ذكر اليون .

(٥) في ا ه واسمه اسطفانس .

وجعل أرمنوس ابناً له آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية ، وهو البطريرك الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم ، وقد كان خصاه قبل ذلك ، وقربه إلى الكنيسة ، وأمر الروم يدور في وقتنا هذا على من ذكرنا من ملوكهم .

قال المعدي : وإلى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم ، على حسب ما ذكرنا ، والله أعلم ما يكون من أمرهم في المستقبل من الزمان .

مدة ملك
الروم

فعدد سني ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاني ، وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا ، إلى هذا الوقت ، خمسمائة سنة وسبع سنين ، والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم - من قسطنطين إلى هذا الوقت المؤرخ - أحد وأربعون ملكاً ، ولم يعد بعد ابن أرمنوس^(١) ، وزرع العدد على قسطنطين وأرمنوس^(١) اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ ، وإن أدخلنا في هذا العدد ابن أرمنوس^(١) فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية - وهو الملك قسطنطين بن هلاني - اثنان وأربعون ملكاً ، في مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عني بأخبار العالم إلى أن من حين هبط آدم عليه السلام إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ستة آلاف سنة ومائتين وتسعاً وخمسين سنة ، وسندكر فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من تاريخ سني العالم والأنبياء والملوك في باب نفرد له لذلك ، إن شاء الله تعالى .

(١) في ب « أرمنوس » في كل الموضع .

ذكر مصر ، وأخبارها ، ونيلها ، وعجايبها ، وأخبار ملوكها

وغير ذلك مما انصل بهذا الباب

قال المسعودي : ذكر الله جل ثناؤه مصر في مواضع من كتابه ، فقال عز وجل (وقال الذي اشتراه من مِصْرَ) وقال (ادخلوا مِصْرَ ان شاء الله آمين) وقال تعالى : (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبورا لقومكما بمِصْرَ بَيْوْتًا) وقال : (اهبطوا مِصْرَ فإن لكم ما سألتم) وقال تعالى : (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها) .

ووصف بعض الحكماء مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة [ذهب] ^(١) حمراء فاما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في شهر أبيب — وهو تموز — ومِصرى — وهو آب — وتوت — وهو أيلول — يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياءها على رآوي وتلال مثل الكواكب ، قد أحاطت المياه بها من كل وجه ؛ فلا سبيل لبعض البلاد إلى بعض إلا في الزوارق ، وأما المسكة السوداء فإن في شهر باب — وهو تشرين الأول — وهاتور — وهو تشرين الثاني ، وكبهك — وهو كانون الأول — ينكشف الماء عنها ، وينضب عن أرضها ^(٢) ، فتصير أرضاً سوداء ، وفيها تقع الزراعات ، وللأرض روائح طيبة تشبه روائح المسك ، وأما الزمردة الخضراء ؛ فإن في شهر طوبة — وهو كانون الثاني — وأمشير — وهو شباط — ورميات — وهو آذار — تلمع ويكثر عشبها ^(٣) ونباتها ؛ فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فإن في شهر برمودة — وهو نيسان — وبشنس — وهو أيار — وبؤونه — وهو حزيران — يبيض الزرع ، وبتورد الشعب ، فهو كسبيكة الذهب منظرًا ومنفعة .

(١) لا توجد هذه الكلمة في ب .

(٢) في ا « وتنصب على أرضها » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في ب .

(٣) في ا « تلمع بكثرة عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة » .

وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية، ونسعى كل شهر منها بعد هذا الموضع من هذا الكتاب، وإن كنا قد أتينا على جميع ذلك في الكتاب الأوسط.

ووصف آخر مصر فقال: نيلها^(١) عجب، وأرضها ذهب، [وخيرها جالب] وملكها لمن سلب، وما لها رغب، وفي أهلها صخب، وطاعتهم رهب، وسلامهم شغب، وحرورهم حرب، وهي لمن غلب.

ونهرها النيل من سادات الأنهار، وأشرف البحار؛ لأنه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة إن النيل وسيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامي، ويصب إلى البحر الرومي، ويخرجه على ثلاثة أيام من ملطية، ويجري في بلاد الروم، وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة^(٢) بين طرسوس والمصيصة، وجيحان، ويخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام^(٣) من مدينة مرعش، ويطرح إلى البحر الرومي، فليس للمسلمين عليه من المدن إلا المصيصة وكفر بيا^(٤)، ومجرأ بينهما، والفرات وقد قدمنا الأخبار عنه وعن النيل ومبدهما ومقدار جريانهما على وجه الأرض ومصبيهما، فيما ساف من هذا الكتاب، وأنه يخرج من الجنة، وكذلك الدجلة وغيرها مما اشتهر من الأنهار الكبار.

وقد قالت العرب في النيل: إنه إذا زاد غاضت له الأنهار، والأعين والآبار، وإذا غاض زادت؛ فزياداتها من غيضة، وغيضة من زياداتها. [قال البسري:]

يفيض إن زادت له الأنهار في الأرض ذات العرض والمقدار^(٥) وقالت الهند: زيادته ونقصانه بالسيول، ونحن نعرف ذلك بتوالي الأنواء وكثرة الأمطار، وركود السحاب.

(١) تتقدم بعض هذه الفقر في ا عن بعض، والخطب في ذلك سهل.

(٢) ما بين العقوفين ساقط من ب. (٣) في ا «ثلاثة أميال».

(٤) في ب «وكفرياد». (٥) ما بين هذين العقوفين ساقط من ا

وقالت الروم : لم يزد قط ولم ينقص ، وإنما زيادته ونقصانه من عيون^(١) كثرت واتصلت .
 وقالت القبط : زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه ، يراها من سافر ، ولحق بأعاليه .
 [وقيل : لم يزد قط ، وإنما زيادته بريح الشمال إذا كثرت واتصلت به ، فتجبسه ، فيفيض على وجه الأرض]^(٢) .
 وقد ذكرنا التنازع في النيل وزيادته ممن سلف وخلف ، على الشرح والإيضاح ، وغيره من الأنهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار ، في كتاب « أخبار الزمان » في الفن الثاني ، فأغنى ذلك عن إعادتها في هذا الكتاب .

ومصر من سادات القرى ، ورؤساء المدن ، قال الله تعالى : [حاكياً عن فرعون : (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون) وقال عز وجل]^(٣) حاكياً عن يوسف عليه السلام : (اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم) [وهي مصر] ، وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا [ويمناً] غير نيل مصر لكبره واستبحاره ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذي بدء النيل منه ، وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام في البدر والحاق^(٤) .

وقد روى عن زيد بن أسلم في قوله تعالى : (فإن لم يصبها وابل فطل) ، قال : هي مصر ، إن لم يصبها وابل زكت^(٥) ، وإن أصابها مطر ضعفت ، وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها :

مصر ، ومصر شأنها عجيب ونيلها تجري به الجنوب

(١) في ١ « وإنما زيادته بالشمال إذا كثرت واتصلت » .

(٢) « بين هذين العقوفين ماقط من ا . (٣) في ب « البدء والحاق »

(٤) في ا « إن لم يصبها مطر أزكت » .

وهی مصر، واسمها کمنهاها، وعلى اسمها سمیت الأمصار، ومنه اشتق هذا الاسم عند علماء البصریین^(۱)، وقد قال عمرو بن معدیکرب :

ما النيل أصبح زاخراً بمدوده وجرت له ریح الصبأ فجرى لها^(۲)
عودت کئدة عادة محمودة فاصبر لجاهاها ورو سجالها^(۳)

زيادة النيل
وتقصانه

قال السعودی : وابتدىء نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤونة — وهو حزيران — وأيب — وهو تموز — ومسرى — وهو آب — فإذا كان الماء زائداً زاد شهر توت كله — وهو أيلول — إلى انقضائه، فإذا انتهت الزيادة إلى ست عشرة ذراعاً، ففيه تمام الخراج، وخصب الأرض، وربيع للبلد عام^(۴)، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلأ، وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلاد كله سبع عشرة ذراعاً، وفي ذلك كفايتها، ورأى جميع أراضيها، وإذا زاد على السبع عشرة وبلغ ثمان عشرة ذراعاً وغلقها استبحر من أرض مصر الربع، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع؛ لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك، وإن كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعاً كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء بمصر، وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعاً، وقد كان النيل بلغ في زيادته تسع عشرة ذراعاً، وذلك سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز، ومساحة الذراع إلى أن تبلغ اثني عشر ذراعاً ثمان وعشرون أصبغاً، ومن اثني عشر ذراعاً وما فوق يصير الذراع أربعاً وعشرين أصبغاً، وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، وفي مثل تلك السنة يكون الماء قليلاً، والأذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكراً ونكيراً، وهي الذراع الثالث عشر، والذراع الرابع عشر؛ فإذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين — أعني ثلاث عشرة وأربع عشرة — وزيادة نصف ذراع

(۱) في ب « المصريين » . (۲) في ا « فالنيل » وفي ب

(۳) هذا البيت لا يوجد في ا . « أصبح واحداً » .

(۴) في ا « ففيه تمام خراج السلطان، وخصب الناس، وفيه ظم ريع البلاد »

من الخمس عشرة ، استسقى الناس بمصر ، وكان الضرر شاملاً لكل البلدان ، إلا أن يأذن الله^(١) عز وجل في زيادة الماء ، وإذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعاً كان فيه صلاح لبعض الناس ، ولا يستسقى فيه ، وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان ، والترع التي بفيضة مصر أربع أمهات ؛ أسماؤها: ترعة ذنب التماسح ، وترعة بلقينة ، وخليج سردوس ، وخليج ذات الساحل ، وتفتح هذه الترع إذا كان الماء زائداً في عيد الصليب ، وهو لأربع عشرة تخلو من توت وهو أيلول ، وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب ، والنبيد الشيرازي^(٢) يتخذ بمصر من ماء طوبة ، وهو كانون الآخر ، بعد الغطاس ، وهو لعشرة تمضي من طوبة ، وأصفي ما يكون النيل في ذلك الوقت ، وأهل مصر يفتخرون بصفاء النيل في هذا الوقت ، وفيه تخزن المياه أهل تنيس ودمياط وبونة وسائر قرى البحيرة .

وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها ، لا ينام الناس فيها ، وهي ليلة ليلة الغطاس إحدى عشرة^(٣) تمضي [من طوبة وستة من] كانون الثاني .

ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر ، والإخشيدي محمد بن طنج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل بطيف بها ، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل^(٤) غير ما أسرج أهل مصر من الشاعل والشمع ، وقد حضر النيل في تلك الليلة نحو آلاف من الناس [من] المسلمين والنصارى ، منهم في الزوارق ، ومنهم في الدور الدائنة من النيل ، ومنهم على الشطوط ، لا يتناكرون الحضور ، ويحضرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشرب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف ، وهي أحسن ليلة تكون بمصر ، وأشملها سروراً ، ولا تغلق

(١) في ١ « إلى أن يأذن الله » .

(٢) في ب « الشيرازي » .

(٣) في ١ « ليلة عشر تمضي » وليست فيها الزيادة التي بين المعقوفين .

(٤) في ١ « ألفاً مشعل » .

فيها الدروب ، ويفطس أكثرهم في النيل ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرىء للداء^(١) .

مقاييس النيل

قال السعدي : وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فإنني سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم ، حين بنى الأهرام ، اتخذ مقياساً لمعرفة زيادة النيل ونقصانه ، وأن ذلك كان بمنف ، ولم يكن الفسطاط يومئذ ، وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياساً [بأقصى] الصعيد ، ووضعت أيضاً مقياساً آخر ببلاد إخميم ؛ فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الإسلام ، ثم ورد الإسلام ، وافتتحت مصر ، وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا ، إلى أن ولي عبد العزيز بن مروان ، فاتخذ [مقياساً^(٢)] محلوان ، وهو صغير الذراع ، وحلوان فوق الفسطاط ، ثم اتخذ أسامة بن زيد التنوخي [مقياساً بالجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة ، وهي الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ، والمعبر عليهما من الفسطاط على الجسر ، ثم منها على جسر آخر إلى الجزيرة ، وهو الجانب الغربي ؛ لأن الفسطاط من الجانب الشرقي ، وهذا المقياس الذي اتخذته أسامة بن زيد التنوخي هو أكثرها استعمالاً ، واتخذ ذلك في أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهو المقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - بالفسطاط ، وقد كان من سلف يقيسون بالمقياس الذي بمنف ، ثم ترك استعماله ، وعمل على مقياس الجزيرة المعمول في أيام سليمان بن عبد الملك ، وفي هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون ، والعمل عليه عند كثرة الماء ، وترادف الرياح ، واختلاف مهابها ، وكثرة الموج ، وقد كانت أرض مصر كلها تروى من سب عشرة ذراعاً عامرها وغامرها ، لما أحكموا من جسورها ، وبناء قناطرها ، وتنقية خلجانها ، وكان بمصر سبع خلجانات : فمنها خليج الإسكندرية ، وخليج

(١) في « ونشرة من الداء » .

(٢) ما بين العقوفين ساقط من ب ، ويؤيد صحة هذه الزيادة ما في الكلام بعدها

سغا ، وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج سردوس ،
وخليج المنهى .

وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنائناً ، وذلك أن جنائنها
كانت متصلة بحافتى النيل من أوله إلى آخره ، من حد أسوان إلى رشيد ، وكان
الماء إذا بلغ في زيادته تسعة أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس
وخليج سخا ، وكان الذى ولى حفر خليج سردوس لفرعون عدو الله هامان ، فلما
ابتدأ فى حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يُجرى الخليج إلى تحت قراهم ، ويعطوه
على ذلك ما أراد من المال ، وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة ،
فحمل تلك الأموال إلى فرعون ، فله وضعها بين يديه سأله عنها فأخبره بما فعل ،
فقال فرعون : إنه ينبغي للسيد أن يعطف على عبده ، ويفيض عليهم معروفه ،
ولا يرغب فيما فى أيديهم ، ونحن أحق من فعل هذا بعبده ، فاردد على أهل كل
قرية ما أخذته منهم ، [ففعل ذلك هامان ، ورد على أهل كل قرية ما أخذ
منهم]^(١) ، فليس فى الخليجان التى بأرض مصر أكثر عطوفاً وعزاقيل^(٢) من
خليج سردوس ، وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فإن الذى حفرها يوسف بن
بعقوب صلى الله عليهما وسلم ، وذلك أن الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى
رؤياه فى البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلى من
أرض مصر ، وقد أخبر الله بذلك عند إخباره عن نبيه يوسف بقوله (اجعلنى
على خزان الأرض ، إني حفيظ عليم) .

• معاونة المسلمين
الكفار

قال المسعودى : وقد تنازع أهل الملّة فى تصرف المؤمنين مع الفاسقين : فمنهم
من رأى أن الملك كان مؤمناً ، ولو لذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف

(١) ما بين العقوفين ساقط من ا .

(٢) فى ا « وعواقيل » .

في أوامرهم ونواهيهم ، ومنهم من رأى أن ذلك جائز على ما توجبه أحوال الوقت والأصلح للحال ، وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » .

الفيوم

وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وخلقائها من المرتفع والمطاطى ومطاطى المطاطى، وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض، وكيفية فعل يوسف فيها وعمارتها أرضها بعد كونها خربة^(١) ومصفاة لمياه الصعيد، وهي جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها^(٢)، فقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، وكذلك في تسمية الفيوم فيوماً ، وأن ذلك ألف يوم ، وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسداهم إياه .

وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن [هذا] العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد إلى أسفل الأرض، وموضع الفسطاط في وقتنا هذا ، وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والحبشة^(٣) وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب ، إلى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه ، وما ينقل من التربة^(٤) بتياره من موضع إلى موضع فيصب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق في عمران الأرض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب ، فسكن الناس بلاد مصر ، ولم يزل الماء ينصب عن أرضها قليلاً قليلاً حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر ، وطرقوا للماء ، وحفروا له الخجانات ، وعقدوا في وجهه السنارة ، إلا أن ذلك خفي على ساكنيها ؛ لأن طول الزمان أذهب معرفة أول سكنائهم كيف كان ذلك ، ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر

(١) في ١ هـ وعمارتها لأرضها بعد كونها جوبة .

(٢) في ١ هـ أطرافها . (٣) في ب هـ من أسوان الحبشة هـ

(٤) في ب هـ وما ينقل من التربة بتياره هـ

ولا لكثير من أخبار الإسكندرية وكيفية بنائها ، والأمم التي تداولتها والملوك التي سكنتها من العرب وغيرهم ؛ لأننا قد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط ، وسنذكر بعد هذا الموضوع جلامن أخبارها ، وجوامع من كيفية بنائها ، وما كان من أمر الإسكندر فيها .

قال المسعودي : وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه في سنة نيف وستين ومائتين بين ابن طولون ورجل من مصر أن رجلاً باعاً على بلاد مصر من أرض الصعيد ثلاثون ومائة سنة من الأقباط ، ممن يشار إليه بالعلم من لدن حدائته ، والنظر والإشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل ، وأنه علامة بمصر وأرضها من برها وبحرها وأخبارها وأخبار ملوكها ، وأنه ممن سافر في الأرض ، وتوسط الممالك ، وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان ، وأنه ذو معرفة بهيئات الأفلاك^(١) والنجوم وأحكامها ، فبعث أحمد بن طولون رجلاً من قواده في أصحابه ، فحمله في النيل إليه مكرماً ، وكان قد انفرد عن الناس في بنيان اتخذه ، وسكن في أعلاه ، وقد رأى [الولد] الرابع عشر من ولد ولد ، فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر إلى رجل دلائل الهرم فيه بينة ، وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة ، والحواس سليمة والقضية^(٢) قائمة ، والعقل صحيح ؛ يفهم عن مخاطبه^(٣) ، ويحسن البيان والجواب عن نفسه ، فأسكنه بعض مقاصيره ، ومهد له ، وحمل إليه لذيذ المآكل والمشرب ، فأبى أن يتواطأ^(٤) على شيء ، وأن يتغذى إلا بغذاء كان حمله معه من كعك وغيره ، وقال : هذه بنية قوامها بما ترون من هذا الغذاء ، وهذا الملابس ، فإن أتمتتموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما أوردتموه عليها من المآكل والمشرب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه البنية ، وتفريق هذه الصورة ، فترك على ما كان عليه ، وما جرت به عادته ، وأحضر له أحمد بن طولون من حضره من

(١) في ١ « بهيئة الأفلاك » .

(٢) في ١ « والغصة قائمة » .

(٣) في ١ « يفهم من مخاطبه » .

(٤) في ب « فأبى أن لا يتواطأ » .

بحيرة تنيس
ودمياط

أهل الدراية^(١)، وصرف همته عليه، وأخلى نفسه له في ليال وأيام كثيرة، يسمع كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل^(٢) عنه؛ فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط، فقال: كانت أرضاً لم يكن بمصر مثاها استواء وطيب تربة وثراوة، وكانت جنائناً ونخلاً وكرماً وشجراً ومزارع، وكانت فيها مجارٍ^(٣) على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها، ولم ير الناس بلداً كان أحسن من هذه الأرض، ولا أحسن اتصالاً من جناتها وكرمها، ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبهها إلا الفيوم [وكانت أكثر خيراً من الفيوم] وأخصب وأكثراً فاكهة ورباحين من الأصناف الغربية، وكان الماء منحدراً إليها لا ينقطع عنها صيفاً ولا شتاء، يسقون منه جناتهم إذا شاؤوا، وكذلك زرعهم، وسأره يصب إلى البحر من سائر خلجانها، ومن الموضع المعروف بالأشتوم، وقد كاز بين البحر وبين هذه الأرض نحو مسيرة يوم، وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة إلى قبرس تسلكه الدواب يئساً، ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس إلا مخاضة، وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل، وكذلك فيما بينها وبين أرض الروم، وقد كان بين الأندلس وبين الموضع الذي يسمى الخضراء — وهو قريب من فاس المغرب وطنجة — قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمرعابها الإبل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الأندلس إلى المغرب^(٤)، وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجاناً صغاراً تجرى تحت قناطرها وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم، وقد عقد من كل حجر إلى حجر طاق، وهو مبدأ بحر الروم الآخذ من أوقيانوس، وهو البحر المحيط الأكبر، فلم يزل البحر يزيد ماؤه وبعلو

(١) في ب « أهل الديار » .

(٢) في ب « فيما سئل عنه » .

(٣) في ا « قرى على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها » .

(٤) في ا من ساحل المغرب إلى بلاد الأندلس ومنه إلى المغرب » .

أرضاً فأرضاً في طول عمر السنين ، يرى زيادته أهل كل زمان ، ويتبينه أهل كل عصر ، ويقفون عليه ، حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الأندلس وبرطنجة^(١) ، وما وصفت فين ظاهر عند أهل الأندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة ، وربما بدا الموضع لأهل المراكب تحت الماء ، فيقولون : هذه القنطرة ، وكان طولها نحو اثني عشر ميلاً ، في عرض واسع ، وسمو بين ، فلما مضت لديقطيانوس^(٢) من ملكه مائتان وإحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه ، وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها ، فما كان من القرى التي في قرارها غرق ، وأما التي كانت على ارتفاع من الأرض فبقيت منها بونة وسمنود^(٣) وغير ذلك مما هي باقية إلى هذا الوقت ، والماء محيط بها ، وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فيقبرونهم واحداً فوق آخر^(٤) ، وهي الأكوام الثلاثة التي تسمى اليوم أبو الكوم ، وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها وقدمضى لديقطيانوس الملك مائتان وإحدى وخمسون سنة ، وذلك قبل أن تفتح مصر بمائة سنة ، وقال : وقد كان لملك من ملوك الأمم كانت داره الفرما مع أركون من أراكنة البلينا وما اتصل بها من الأرض حروب^(٥) وخنادق وخلجانات فتحت من النيل إلى البحر ، يمنع كل واحد من الآخر ، وكان ذلك داعياً لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الأرض .

وسئل عن ملوك^(٦) الأحابش على النيل وممالكهم فقال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك مختلفة ، كل ملك منهم ينزع من يليه من الملوك ، وبلادهم حارة يابسة مسودة ليسها وحرارتها ولا استحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهباً لطبخ الشمس

(١) في « بين الأندلس وبين خضراء فاس » .

(٢) في « دقلطيانس » . (٣) في ب « نونة وسمنود »

(٤) في ب « فيعبرونهم واحد فوق واحد » .

(٥) في ب « خروق وخنادق - إلخ » . (٦) في ب « عن طول الأحابش »

إياها لحرارتها ويسبها وناريتها فتحولت ذهباً، وديطبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصاً صفائح بالملح والزاج^(١) والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء، وليس يدفع هذا الأمر إلا من لا معرفة له بما وصفنا، ولا قارب شيئاً مما ذكرنا . قيل له : فما منتهى النيل في أعاليه؟ قال: البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها، وهي نحو الأرض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر، وهي تحت الموضع الذي يسميه المنجمون الفلك المستقيم، وما ذكرت فمعروف غير منكر .

الأهرام

وسئل عن بناء الأهرام، فقال: إنها قبور الملوك، وكان الملك منهم إذا مات وضع في حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن^(٢) وأطبق عليه، ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق في الأرض بعقد أزج، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراعاً وأكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه على ما وصفت، فقيل له: فكيف بنيت هذه الأهرام المملسة؟ وعلى أي شيء كانوا يصعدون ويبنون؟ وعلى أي شيء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلاً بجهد إن قدروا؟ فقال: كان القوم يبنون الهرم مدرجاً ذا مراق كالدراج، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت حياتهم، وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة للو كهم ديانة^(٣). قيل له: ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ؟ فقال: دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم، وتداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومي، وأشكال الأحرف للروم، والقبط تقرأه على حسب تعارفها إياه، وخطها الأحرف الروم بأحرفها، على حسب ما ولدوا من الكتابة بين الروم

(٢) في ب « الجرون »

(١) في ب « والزجاج »

(٣) في ا « ديانة »

والقبلى الأول ؛ فذهبت عنهم كتابة آبائهم .
 فقيل له : فمن أول من سكن مصر ؟ قال : أول من نزل هذه الأرض
 مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، ومر في أنساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم ،
 وتفرقهم في الأرض .

فقيل له : أتعرف بمصر مقاطع رخام ؟ قال : نعم في الجانب الشرقي من الصعيد
 جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمود وغيرها ، وكانوا يجلبون ما عملوا^(١)
 بالرمل بعد النقر ، فأما العمود والقواعد والرؤوس التي تسميها أهل مصر الأسوانية ،
 ومنها حجارة الطواحين ، فذلك نقرها الأولون بعد حدوث النصرانية بتئين من
 السنين ، ومنها العمود التي بالإسكندرية ، والعمود الذي بها الضخم الكبير لا يعلم
 بالعالم عمود مثله ، وقد رأيت في جبل أسوان أخا لهذا العمود قد هندس ونقر
 ولم يفصل من الجبل ، ولم يُحَكَّ مظهر^(٢) منه ، وإنما كانوا ينتظرون أن يفصل
 من الجبل ثم يحمل إلى حيث يريد القوم .

وسئل عن مدينة العقاب ، فقال : هي غربي أهرام بوصير الجيزة^(٣) وهي
 على خمسة أيام بلياليها للراكب المجد ، وقد وعرت^(٤) طريقها وعميت المسالك
 إليها ، والسمت الذي يؤدي نحوها ، وذكر ما فيها من عجائب البنيان والجواهر
 والأموال والعة التي لها سميت مدينة العقاب ، ووصف مدينة أخرى غربي أخميم
 من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب أخذتها الملوك السالفة^(٥) ، وذكر من شأن
 هذه المدينة الأخرى عجائب من الأخبار ، وزعم أن بينها وبين إخميم من أرض
 الصعيد مسيرة ستة أيام .

وسئل عن النوبة وأرضها ، فقال : هم أصحاب إبلٍ وبُخْت^(٦)
 وبقروغتم ، وملكهم يستعد الخيل العتاق ، والأغلب من ركوب عوامهم
 البراذين ، ورميهم بالنبل عن قسي عربية ، وعندهم أخذ الرمي أهل الحجاز

(١) في « ا » يجلون ما عملوا ، محرفا . (٢) في « ا » ولم يحمل مظهر منه «

(٣) في « ا » بوصير والجيزة . (٤) في « ا » وقد غور طريقها «

(٥) في « ا » أحدثتها الملوك السالفة . (٦) في « ا » نجب وإبل وبقروغتم «

واليمن وغيرهم من الغرب ، وهم الذين يسميهم العرب رماة الحدق ، ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة ، وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن ، وللنوبة أترج كأكبر ما يكون بأرض الإسلام ، وملوكهم تزعم أنهم ^(۱) من حمير ، وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة ، ووراء علوة ^(۲) أمة عظيمة من السودان تدعى بكنة ^(۳) وهم عُرارة كالزنج ، وأرضهم تنبت الذهب ، وفي مملكة هذه الأمة يفترق ^(۴) النيل فيتشعب منه خليج عظيم ، ثم يخضر الخليج بعد انفصاله من النيل ، وينحدر الأكثر إلى بلاد النوبة ، وهو [النيل] لا يتغير ، فإذا كان في بعض الأزمنة انفصل الأكثر من الماء في ذلك الخليج ، وابيض الأكثر ، واخضر الأقل ؛ فيشق ذلك الخليج في أودية وخلجان وأعماق مائوسية حتى يخرج إلى جلاسق والجنوب ^(۵) ، وذلك [على] ساحل الزنج ، ومصبه في بحرهم . ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون ، فذكر كلاماً طويلاً في أمر الفيوم ، وأن جارية من بنات الروم وابنها ^(۶) نزلوا الفيوم ، وكانوا البدء في عمارتها وعمارة أرضها ، وإنما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى أيام جرى النيل ، ولم يكن حجر اللاهون بني ، وإنما كان مصب الماء [من المنهى] من الموضع المعروف بدمونة ، ثم بنى اللاهون على ما هو اليوم عليه ، ويقال : إن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، بناه أيام العزيز ، ودبر من أمر الفيوم ما هو اليرم قائم بين من الخابج المرتفعة والمطاطية ، وهو خابج فوق خليج فوق خليج ، وبني القنطرة ^(۷) المعروفة بسفونة ^(۸) ، وأقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الأرض لا يدرك منتهاه منها ، وهو أحد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد أناس من الأمم ممن ورد بعد يوسف أن ينتهوا إلى آخره في الأرض حفراً فلم يثأت لهم ذلك ، [ولا قدروا عليه] وغلبهم الماء فعجزهم ، ورأس هذا العمود مساوٍ

(۱) في ب « أنها من حمير » .

(۲) في ا « وملكهم يستولى على معرد ونوبة ، ووراء علوة - إلخ » .

(۳) في ب « بكنة » (۴) في ب « بحترق النيل »

(۵) في ا « إلى خلايس الجنوب » . (۶) في ا « وأمها » .

(۷) في ب « وهي القنطرة » . (۸) في ا « بنوسفية » .

لأرض المنهى، قال: وأما حجر اللاهون فإن من سطح الحجر الذي فيما بين القبتين^(١) إلى ناحية اللاهون ، واللاهون هي القرية بعينها ، ففي ما بين^(٢) السطح إلى القرية ستون درجة^(٣) وربما قل الماء في المنهى ، وظهر بعضُ الدرج، وفي حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء ، وبعض لا يرى، وفيما بين سطح الحجر الذي بين القبتين وبين القرية شاذروان ، وهو من أسفل الدرج، وإنما يدخل الماء الفيوم بوزن^(٤) الحجر ، وجعات الإسقالة — وهي القناطر — ليخرج الماء منها، ولا يعلو الماء الحجر أيام سده، فبالتقدير^(٥) بنى حجر اللاهون^(٥) ، وبقدر ما يكفي الفيوم من الماء يدخل إليها، وبناء حجر اللاهون من أعجب الأمور، ومن أحكم البنيان ، ومن البناء الذي يبقى على وجه الأرض لا يتحرك ولا يزول، بالهندسة عمل ، وبالفلسفة أتقن ، وفي السعود نصب ، وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحي ، والله أعلم .

ولم تزل ملوك الأرض — إذا غلبت على بلادنا ، واحتوت على أرضنا ؛ صارت إلى هذا الموضع فتأملته؛ لما قد نعى إليها من أخباره ، وسار في الخليقة من عجائب بنيانه وإتقانه .

وكان هذا الرجل من أقباط مصر ، ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية، فأمر [السلطان أحمد بن طولون في بعض الأيام ، وقد أحضر مجامع بعض أهل النظر ، أن يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية ، فسأله عن ذلك ، فقال : دليلي على صحتها وجودى إياها [متناقضة] متنافية ، تدفعها العقول ، وتنفر منها النفوس، لتباينها وتضادها، لا نظر يقويها ، [ولا جدل يصححها] ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها، ورأيت مع ذلك أمماً كثيرة ، وملوكاً عظيمة ذوى معرفة وحسن^(٦) رأى، قد انقادوا إليها

(١) في ب « فيما بين الفرش » (٢) في ب « فيها من السطح إلى القرية »

(٣) في ب « ستون ذراعاً » . (٤) في ب « بدرج الحجر » .

(٥) في ب « فالتقدير بناء حجر اللاهون » .

(٦) في ب « ذوى معرفة وحسن » .

وتدينوا بها ، فعلت أنهم لم يقبلوها ، ولم يتدينوا بها - مع ما ذكرت من تناقضها في العقل - إلا لدلائل شاهدوها ، وآيات علموها ، ومعجزات عرفوها ، أوجبت انقيادهم إليها والتدين بها ، قال له السائل : وما التضاد الذي فيها؟ قال : وهل يدرك أو يعلم غايته؟ منها قولهم بأن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، ووصفهم الأقانيم والجوهر وهو الثالث ، وهل الأقانيم في أنفسها قادرة عالمة أم لا؟ وفي اتحاد ربهم القديم بالإنسان المحدث ، وما جرى في ولادته وقاتله وصلبه ، وهل في التشنيع أكبر وأخس من إله صلب ، وبُصق في وجهه ، ووضع على رأسه الإكليل من الشوك ، وضرب رأسه بالقضيب ، وسمرت يده ، ونخس بالأسنة والخشب جنبا ، وطلب الماء فسقى الخل في بطيخ الحنظل؟ فأمسكوا عن مناظرته ، وانقطعوا عن مجادلتها ؛ لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهيه (۱) .

فقال طيب لابن طولون يهودي وقد حضر المجلس : أيا ذن لي الأمير في مخاطبتك؟ قال : شأنك ، فأقبل على القبطي مسائلا له ، فقال له القبطي : وما أنت أيها الرجل؟ وما نحلكتك؟ فقال له (۲) : يهودي ، فقال له : مجوسي إذا؟ قال له : كيف ذلك وهو يهودي؟ قال : لأنهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات؛ إذ كان في دينهم أن الأخ يتزوج بنت أخيه ، وعليهم أن يتزوجوا نساء إخوتهم إذا ماتوا ، فإذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من أن يتزوجها ، وهذا من أسرارهم ، وما يكتُمونه (۳) ولا يُظهرونه ، فهل في المجوسية أشنع من هذا؟ فأنكر اليهودي ذلك ، وجحد أن يكون في دينه أو يعرفه أحد من اليهود ، فاستخبر ابن طولون [عن] صحة ذلك ، فوجد [ذلك] الطيب اليهودي قد تزوج امرأة أخيه ، وكانت بنته ، ثم أقبل القبطي على ابن طولون ، فقال : أيها الأمير ، هؤلاء يزعمون - وأشار إلى اليهودي - أن الله خلق آدم على صورته ، وعن نبي من أنبيائهم سماه

بين يهودي
ونصراني

(۲) في ۱ « قيل له يهودي »

(۱) في ۱ « ووهاته » .

(۳) في ۱ « مما يكتُمونه » .

قال في كتابه: إنه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية، وإن الله تعالى قال: إني أنا النار المحرقة، والحى الآخذة^(١)، وأنا الذى آخذ الأبناء بذنوب الآباء، ثم فى توراتهم أن بنات لوط سقينه الخمر حتى سكر وزنى بهن، وحمأن منه، وولدن، وأن موسى رد على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه. وأن هارون صنع العجل الذى عبده بنو إسرائيل. وأن موسى أظهره أجزاء لفرعون وفعلت السحرة مثلها. ثم قالوا^(٢) فى ذبائح الحيوان والتقرب إلى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان، وهو قولهم: إن شريعتهم لا تُنسخ، ولا يقبل قول أحد من الأنبياء بعد موسى إذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق فى قضية العقل بين موسى وغيره من الأنبياء إذا أتى ببرهان، وبأن بحجة، ثم الأكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور، وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تمخو من تشرين الأول: إن الرب الصغير— ويسمونه ميظارون^(٣)— يقوم فى هذا اليوم قائماً، وينتف شعور رأسه، ويقول: ويلي إذا خربت بيتى، وأيتمت بنتى، قامتى منكسة لأرفعها، حتى آتى بنتى^(٤)، وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة، ومناقضات واسعة.

ولهذا القبطى مجالس كثيرة عند أحمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديسانية والثوية والضابثة والمجوس، وعدة من متكلمى الإسلام، وقد أتينا على ما احتل منها إيرادها فى كتابنا فى «أخبار الزمان» وذكرنا جميع ذلك فى كتابنا «المقالات»، فى أصول الديانات» وكان هذا القبطى—على ما نرى إلينا من خبره، وصح عندنا من قوله— يذهب إلى فساد النظر، والقول بتكافؤ المذاهب، وأقام عند ابن طولون نحو سنة، فأجازه، وأعطاه، فأبى قبول شيء.

(١) فى ١ «والحى الآكلة» (٢) فى ١ «ثم ما قالوا فى ذبائح الحيوان»

(٣) فى ب «ويسمونه متظرون».

(٤) فى ١ «حتى أبى بيتى» وهى تناسب الكلام السابق.

من ذلك ؛ فرده إلى بلده مكرماً ، وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ، ثم هلك —
وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه ، والله أعلم بكيفية ذلك .
[واليهود تأتي ما ذكره القبطى فى نكاح بنت الأخ ، وأكثرهم يقر
بالتزويج بينت الأخ]^(۱) .

بعض عجائب
مصر ونيلها

قال المسعودى : وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان
مما فى البر والبحر ، من ذلك السمك المعروف بالرغاد ، وهو نحو الذراع ،
إذا وقعت فى شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه ، فيعلم بوقوعها ، فيبادر
إلى أخذها وإخراجها عن شبكته ، ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت
ذلك ، وقد ذكرها جالينوس ، وأنها إن جعلت على رأس من به صداع
شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته . وَالْفَرَسُ الذى يكون فى نيل
مصر إذا خرج من الماء وانتهى وطؤه إلى بعض المواضع من الأرض علم
أهل مصر أن النيل يزيد إلى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا متصر عنه ،
لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب ، وفى ظهوره من الماء ضرر
بأرباب الأرض والفلاحة^(۲) لرعيه الزرع ، وذلك أنه يظهر من الماء فى الليل
فينتهى إلى موضع من الزرع ، ثم يولى عائداً إلى الماء ، فيرعى فى حال رجوعه من
الموضع الذى انتهى إليه سيره^(۳) ، ولا يراعى من ذلك شيئاً فى ممره ، كأنه يحدد
مقدار ما يرعاه فمنها ما إذا رعت وردت إلى النيل فشربت ثم تقذف ما فى أجوافها
فى مواضع شتى ، فينبت ذلك مرة ثانية ؛ فإذا كثرت ذلك من فعله واتصل ضرره
بأرباب الضياع طرح له الترمس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكيك^(۴)
كثيرة مبدداً مبسوطاً ، فبأكله ، ثم يعود إلى الماء فيربو فى جوفه ، ويزداد فى
انتفاخه فيشق جوفه ، فيموت ويطفو على الماء ، ويقذف به إلى الساحل والموضع

(۱) هذه الزيادة لا توجد فى ا (۲) فى ا « بأرباب الأرضين والغلات »

(۳) فى ا « انتهى إليه فى سيره » (۴) فى ب « مكاكى كثيرة »

الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح ، وهو على صورة الفرس إلا أن حوافره وذنبه بخلاف ذلك ، والجهة أوسع .

قال السعدي : وقد ذكر جماعة من الشرعيين أن بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرَّب نحو مصر ، وكان له أولاد من أبناء نوح أربعة : مصر بن بيصر ، وفارق بن^(١) بيصر ، وماح وياح ، فنزل بموضع يقال له منف ، وبذلك يسمى إلى وقتنا هذا ، وكان عددهم ثلاثين فسميت [ثلاثين]^(٢) بهم ، كما سميت مدينة ثمانين من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان ، وإنما نسبت إلى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة ، وكان بيصر بن حام قد كبر سنه ، فأوصى إلى الأكبر من ولده ، وهو مصر ، واجتمع الناس إليه وانضافوا إلى جملتهم ، وأخصبت البلاد ، فتملك عليهم مصر بن بيصر ، وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام ، وقيل : من العريش ، وقيل : من الموضع المعروف بالشجرة ، وهو آخر أرض مصر ، والفرق بينها وبين الشام ، وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح — إلى بلاد أسوان من أرض الصعيد طولا ، ومن أباة — وهي تخوم الحجاز — إلى برقة عرضاً ، وكان اصراً أولاد أربعة ، وهم قبط ، وأشمون ، وإتريب ، وصا ، فقسم مصر الأرض بين أولاده الأربعة أرباعاً ، وعهد إلى الأكبر من ولده — وهو قبط — وأقباط مصر يضافون في النسب إلى أبيهم قبط بن مصر ، وأضيفت المواضع إلى ساكنيها ، وعرفت بأسمائهم ، فمنها أشمون وقبط ، وصا ، وإتريب ، وهذه أسماء هذه المواضع إلى هذه الغاية ، واختلطت الأنساب ، وكثر ولد قبط ، وهم الأقباط ، فغلبوا على سائر الأرض ، ودخل غيرهم في أنسابهم ؛ لما ذكرنا من الكثرة ، فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح إلى هذه الغاية .

(١) في ب ه وقف بن بيصر وساح وباح ه .

(٢) هذه الكلمة لا توجد في ب .

جملة

من ملوك مصر

ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر ، ثم ملك بعده صابن مصر ، وملك بعده «إتريب» بن مصر ، ثم ملك بعده «ماليق بن دارس» ثم ملك بعده «حرايا بن ماليق» ثم ملك بعده «كلكي»^(١) بن حرايا «وأقام في الملك نحواً من مائة سنة ، ثم ملك بعده أخ يقال له «ماليا بن حرايا»^(٢) ثم ملك بعده «لوطس ابن ماليا»^(٣) نحواً من سبعين سنة ، ثم ملكت بعده ابنته يقال لها «حور يابنت لوطس» نحواً من ثلاثين سنة ، ثم ملكت بعدها امرأة أخرى يقال لها «ماموم» وكثر ولد بيصر بن حام بأرض مصر ، فتشعبوا ، وملكوا النساء ، فطمعت فيهم ملوك الأرض ، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق ، يقال له الوليد بن دومع ، فكانت له حروب بها ، وغلب على الملك ، فانتقادوا إليه ، واستقام له الأمر إلى أن هلك ، ثم ملك بعده «الريان بن الوليد» العملاقي ، وهو فرعون يوسف ، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرها في كتابه العزيز ، وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الأوسط ، ثم ملك بعده «دارم بن الريان» العملاقي ، ثم ملك بعده «كاس بن معدان» العملاقي ، ثم ملك بعده «الوليد بن مصعب» وهو فرعون موسى ، وقد تنوزع فيه : فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى أنه [من لحم] من بلاد الشام ، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر ، وكان يعرف بظلماً ، وقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط ، وهلك فرعون غرقاً حين خرج في طلب بني إسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقاً في البحر يبساً ، ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بأرض مصر من الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم ؛ يقال لها «دلوكة» فبنت على بلاد مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد ؛ وجعلت عليه الحارس والأحراس^(٤) والرجال متصلة

(١) في ب « كلكي بن حرايا »

(٢) في ب « باليا بن حرايا »

(٣) في ب « لوطيس بن باليا »

(٤) في ب « والأحراس »

أصواتهم يقرب بعضهم من بعض ، وأثر هذا الحائط باقٍ إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، يعرف بحائط العجوز ، وقيل : إيمانته خوفاً على ولدها وكان كثير القنص ، فخافت عليه من سباع [البرو] البحر واغتيال مَنْ جاور أرضهم من الملوك والبوادي ، فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها ، وقد قيل في ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا ، فلكتهم ثلاثين سنة [وقيل : أقل من ذلك] واتخذت بمصر البرابي والصور ، وأحكمت آلات السحر ، وجعلت في البرابي صور مَنْ يرد من كل ناحية ، ودوابهم إبلا كانت أو خيلاً ، وصورت ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام ، وجمعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان ، من الجاذية والدافعة^(١) ، وجعلت ذلك في أوقات حركات فلكية واتصالها بالموثرات العلوية وكانوا إذا ورد إليهم جيش من نحو الحجاز أو اليمن عورت تلك الصورة التي في البرابي من الإبل وغيرها ، فيتعمور ما في ذلك الجيش ، وينقطع عنهم ناسه وحيوانه ، وإذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا [قبلاً] فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور [التي من تلك الجهة] وكذلك ما ورد من جيوش الغرب ، وما ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك ، فهابتهم الملوك والأمم ، ومنعوا ناحيتهم^(٢) من عدوهم ، واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز وإتقانها لزم أقطار المملكة وإحكامها السياسية^(٣) .

وقد تكلم الناس ممن سلف وخلف في هذه الخواص ، وأسرار الطبيعة التي كانت ببلاد مصر ، وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه ، والبرابي بمصر من صعيدها وغيره باقية إلى هذا الوقت ، وفيها أنواع الصور مما

(١) في أ « من الحادية والبادية » .

(٢) في أ « ومنعوا أجنتهم من عدوهم » .

(٣) في ب « لزوم أقطار هذه الملكة وأحكامها السياسية » .

إذا صورت في بعض الأشياء أحدثت أفعالا على حسب ما رسمت له ووضعت من أجله^(١) ، على حسب قولهم في الطباع التام ، والله أعلم بكيفية ذلك .

كتابة

على البرابي

قال السعدي : وأخبرني غير واحد من بلاد أخميم من صعيد مصر ، عن أبي الفيض ذي النون [بن إبراهيم]^(٢) المصري الإخميمي الزاهد ، وكان حكما ، وكانت له طريقة يأتيها ونحلة بعضها^(٣) ، وكان ممن يقرأ عن أخبار^(٤) هذه البرابي ودارها وامتنح كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور ، قال : رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته ؛ فإذا هو « احذروا العبيد المعتقين ، والأحداث المغترين^(٥) والجنود المتعبدين ، والنبط المستعربين » قال : ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فإذا فيه « يقدر المقدور والقضاء يضحك » وزعم أنه رأى في آخره كتابة وتبينها بذلك القلم الأول فوجدها :

تُدَبَّرُ بِالنُّجُومِ وَاسْتَدْرَى وَرَبُّ النُّجُومِ يَعْمَلُ مَا يَرِيدُ

وكانت هذه الأمة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم مواظبة على معرفة أسرار الطبيعة ، وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون في الأرض ، ولم تقطع بأن ذلك الطوفان ماهو : أنارتأى على الأرض فتحرق ما عليها ، أو ماء فيغرقها ، أو سيف يبيد أهلها ؛ فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها ، فاتخذت هذه البرابي ، واحدها بربا ، ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة ، وجعلت بنياها نوعين : طينا ، وحجرا وفرزت ما يبنى بالطين مما يبنى بالحجر ، وقالت : إن كان هذا الطوفان نارا استحجر ما يبنى من الطين وانحرق ، وبقيت هذه العلوم ، وإن كان الطوفان الواردماء أذهب ما يبنى بالطين ، ويبقى ما يبنى بالحجارة ، وإن كان الطوفان سيفا بقي كلاً

(١) في او صنعت من أجله . (٢) زيادة في ب

(٣) في ا لا يقصدها « (٤) في ا « وكان ممن يفسر أخبار - إلخ »

(٥) في ب « احذر العبيد المعتقين ، والأحداث المقربين »

النوعين ماهو بالطين وما هو بالحجر ، وهذا على ما قيل - والله أعلم - كان قبل الطوفان ، [وقيل : إن ذلك كان بعد الطوفان] وإن الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يتيقنوا^(١) أنار هو أم ماء أم سيف ، كان سيفاً أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها [ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم أهلها] ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير ، وذكر وأثنى ، كالجبال العظام ، وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر بأبي الكوم^(٢) وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين^(٣) بعضهم على بعض في كهوف وغيرها^(٤) ونواويس ، ومواقع كثيرة من الأرض لا يدري من أى الأمم هم ، فلا النصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم ، ولا اليهود تقول عنهم إنهم من أوائلهم ، ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبيء عن حالهم ، عليهم أثوابهم ، وكثيراً ما يوجد في تلك الروابي والجبال من حلبيهم ، والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب : كالبربا المتخذة بأنصناء من صعيد مصر ، وهو أحد الموصوفين منها ، والبربا التي ببلاد أخميم ، والبربا التي ببلاد سمبود ، وغير ذلك .

والأهرام وطولها عظيم ، وبنيانها عجيب ، عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة ، والممالك الدائرة ، لا يدري ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها ، وقد قال من غنى بتقدير ذرعها : إن مقدار ارتفاع ذهابها في الجوانح من أربعمائة ذراع ، أو أكثر ، وكلما علا به الصعداء دق ذلك ، والعرض نحو ما وصفنا ، عليها من الرسوم ما ذكرنا ، وإن ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة ، وإن من تلك الكتابة مكتوب : إنا بنيناها فمن يدعى موازتنا^(٥) في الملك وبلوغنا في القدرة واتهاءنا من السلطان فليهدمها ، وليزل

(١) في ب « لم يعينوه »

(٢) في ب « ذوات الكرم »

(٣) في ا « المكسين »

(٤) في ا « وغديران »

(٥) في ا « موازاتنا »

رسمها ؛ فإن الهدم أيسر من البناء ، والتفريق أيسر من التأليف ، وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها فإذا خراج مصر وغيرها [من الأرض] لا يبق بقلعها ، وهي من الحجر والرخام ، والغرض في كتابنا هذا الإخبار عن جمل الأشياء وجوامعها ، لا عن تفصيلها وبسطها ، وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حساً في مطافنا الأرض والممالك ، وما نهي إلينا خبراً من الخواص وأسرار [الطبيعة من] الحيوان والنبات والجماد في عجائب البلدان والآثار والبقاع ، في كتابنا المترجم بكتاب « القضايا والتجارب » .

ولا تمنع بين ذوى الفهم أن في مواضع من الأرض مدناً وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية ، مثل مدينة حمص ومعرّة وبُصْرَى^(١) وأنطاكية ، وقد كان يبلاد أنطاكية ، إذا أخرج إنسان يده خارج السور وقع عليها البق ، فإذا جذبها إلى داخل لم يبق على يده من ذلك شيء ، إلى أن كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها ، فأصيب في أعلاه حُقٌّ من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف ، فما مضت أيام - أو على الفور من ذلك - حتى صار البق في وقتنا هذا يعم الأكثر من دورهم ، وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ، ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شيء ، ويؤدنى منها حجر المغناطيس فتحدث فيها حركة تباعد منه ، وحجر المغناطيس إذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله [في الحديد] وإذا غسل بشيء من الخلل أو ناله شيء من عسل النحل عاد إلى فعله الأول من جذب الحديد ، وللمغناطيس في الحديد^(٢) خواص عجيبة غير ما ذكرنا كاللحجر الماص للدم^(٣) ، والله عز وجل قد استأثر بعلم الأشياء ، وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه [إليه] وأشياء استأثر بعلمها لم يظهرها خلقه ؛ فلا تقف العقول على كنهها ، وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها^(٤)

(١) في « و. مصر » مكان « وبصري »

(٢) في « و. المغناطيس والحديد »

(٣) في « و. كالحجر الناقص للدم » (٤) في « و. فيحدث لاجتماعها »

معنى هو غيرها ، كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد ، وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقليل عند الطبخ والسبك لذلك ، وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المراد اسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضاً ، وإذا مزج ماء القلي بماء الزجاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر ، وكجمعنا في التاج بين الفرس الأثني والحمار فتحدث بغلا ، ولو نتج دابة على أتان لخرج منها بغل أفطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن . وقد ذكرنا التاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة ، وما كان ينسج من الثيران على الأتن ، والحخير على البقر ، وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبعغل الذي ليس بدابة ولا حمار .

وقد ذكرنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الفروس والأشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب «القضايا والتجارب» في أنواع الفلاحات وغيرها ، وذكرنا باب خواص الأشياء ومعرفتها والطلسمات ومعجائبها ، وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض ، والجزء منه يوهك الكل ، واليسير منه بذلك على [معرفة] الكثير .

ويمكن — والله أعلم — أن تكون هذه الخواص والطلسمات والأشياء المحدثه في العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والممانعة والمنفردة^(١) والجاذبة والفاعلة في الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب — كانت دلالة لبعض الأنبياء في الأمم الخالية ، جعلها الله كذلك لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتبينه^(٢) من غيره ليؤدي عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلق في ذلك الوقت ، ثم رفع الله ذلك النبي^(٣) ، وبقيت علومه ، وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا ، في أيدي الناس ، وأصل ذلك إلهي كما وصفنا ؛ إذ كان ما ذكرنا ممكناً غير واجب ولا ممتنع [في القدرة] .

(١) في ١ هـ المنفردة هـ

(٢) في ١ هـ وتبينه من غيره هـ

(٣) في ب هـ ذلك الشيء هـ محرراً

قال المسعودی : فانرجع إلى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر .

بقية ملوك مصر

وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز « دركوش بن بلوطس ^(١) » ثم ملك بعده « بورس بن دركوش ^(٢) » ثم ملك بعده « فغامس ^(٣) بن بورس » نحواً من خمسين سنة ، ثم ملك بعده « دنيا بن بورس ^(٤) » نحواً من عشرين سنة ، ثم ملك بعده [« نماريس » ابن مريتا عشرين سنة ، ثم ملك بعده « بلوطس » ابن مينا كيل أربعين سنة ، ثم ملك بعده « مالوس » بن بلوطس عشرين سنة ، ثم ملك بعده « بلوطس » بن مينا كيل بن بلوطس ، ثم ملك بعده « بلونا » ابن مينا كيل] وكانت له حروب ومسير في الأرض . وهو فرعون الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وخرَّب بيت المقدس ، ثم ملك بعده « مريوس » وكانت له حروب [كثيرة] بالمغرب ، ثم ملك بعده « نقاس بن مريوس » ثمانين سنة ، ثم ملك بعده « قوميس بن نقاس » عشرين سنة ، ثم ملك بعده « كابل » وكانت له حروب مع ملوك المغرب ، وغزاه البخت ناصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس ، فحرب أرضه وقتل رجاله ، وسار البخت ناصر نحو المغرب ، وقد أتينا على أخباره في كتاب « راحة الأرواح » لأن هذا الكتاب رسمناه بأخبار مسير الملوك للأرض ، وأخبار مقاتلهم ، دون ما ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان » ولما زال أمر البخت ناصر ومن معه من جنود فارس ، ملكت الروم مصر ، وغابت عليها ؛ فتنصر أهلها ، فلم يزلوا على ذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان ، فغلبت جيوشه على الشام ، وسارت نحو مصر ، فلكوها ، وغابوا على أهلها ، نحواً من عشرين سنة ^(٥) [وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة] فكان أهل مصر يؤدون خراجين : خراجاً إلى فارس ، وخراجاً إلى الروم ، عن بلادهم .

(١) في ب « دركوش بن بلوطس »

(٢) في ا « نورش بن دركوش »

(٣) في ب « لس بن نورش »

(٤) في ب « دسا بن بورس »

(٥) في ا « نحواً من عشرين سنة »

ثم انجلى فارس عن مصر والشام لأمر حدث في دار مملكتهم ، فغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية ، فشمّل ذلك مَنْ بالشام ومصر ، إلى أن أتى الله بالإسلام ، وكان من أمر المقوقس صاحب القبط مع النبي صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان إلى أن افتتحها عمرو بن العاص ، ومن كان معه في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهي قبة مصر في هذا الوقت ، وكان ملك مصر — وهو المقوقس صاحب القبط — ينزل الإسكندرية في بعض فصول السنة ، وفي بعضها [ينزل] مدينة مَنْف ، وفي بعضها قصر الشمع ، وهو اليوم يعرف بهذا الاسم في وسط مدينة الفسطاط .

ولعمرو بن العاص في فتح مصر أخبار ، وما كان بينه وبين المقوقس وفتحها لقصر الشمع ، وغير ذلك من أخبار مصر والإسكندرية ، وما كان من حروب المسلمين في ذلك ، ودخول عمرو بن العاص إلى مصر والإسكندرية في الجاهلية ، وما كان من خبره مع الراهب والبيكرة الذهب التي كانوا يظهرونها [للناس] في أعيادهم ، ووقوعها في حجر عمرو بن العاص ، وذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط .

قال المسعودى : والذي اتفقت عليه التواريخ — مع تباين ما فيها — أن عدة ملوك مصر عدة ملوك مصر من الفراعنة [وغيرها] اثنان وثلاثون فرعوناً ، ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ، ومن ملوك بابل^(١) — وهم العماليق الذين طرأوا^(٢) إليها من بلاد الشام — أربعة ، ومن الروم سبعة ، ومن اليونانيين عشرة ، وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام ، وملكها أناس من الفرس من قبل الأكاسرة ، وكان

(١) في ا هـ ومن ملوك مأرب وهم العماليقون هـ

(٢) في ب هـ الذين ظهروا إليها هـ

مدة من ملك مصر من الفراعنة [والفرس] والروم والعماليق واليونانيين
ألف سنة^(١) وثلاثمائة سنة .

قال المسعودي : وسألت جماعة من أقباط مصر بانصعيد وغيره من بلاد
مصر من أهل الخبرة عن تفسير « فرعون » فلم يخبروني عن معنى ذلك ،
ولا تحصل لي في لغتهم ، فيمكن — والله أعلم — أن هذا الاسم كان سمة ملوك
تلك الأعصار^(٢) وأن تلك اللغة تغيرت كتغير النهلوية ، وهي الفارسية الأولى
إلى الفارسية الثانية ، وكاليونانية إلى الرومية ، وتغير الحميرية ، وغير ذلك
من اللغات .

دقائق
أرض مصر
ولمصر أخبار عجيبة من الدقائق [والبنيان] وما يوجد في الدقائق من ذخائر الملوك
التي استودعوها الأرض وغيرهم من الأمم من سكن تلك الأرض ، وتدعى
بالمطالب إلى هذه الغاية ، وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .
فمن عجيب أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير ، قال : كان عبد العزيز بن
مروان عاملاً على مصر لأخيه عبد الملك [بن مروان] فأتاه رجل متنصح ،
فسأله عن نصحه ، فقال : بالقبة الفلانية كنز عظيم ، قال عبد العزيز :
وما مصداق ذلك ؟ قال : هو أن يظهر لنا بلاط من الرمر والرخام عند سير
من الحفر ، ثم ينتهي بنا الحفر إلى قلع باب من الصُفْر ، تحته عمود من الذهب
على أعلاه ديك [من الذهب] عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا^(٣) ، وجناحاه
مُضَرَّجان بالياقوت والزمر ، برأئته على^(٤) صفائح من الذهب على أعلى ذلك
العمود ، فأمر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال
في ذلك ويعمل فيه ، وكان هنالك تل عظيم ، فاحتفروا حفرة عظيمة في
الأرض ، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمر تظهر ، فازداد عبد العزيز
حرصاً على ذلك ، وأوسع في النفقة ، وأكثر من الرجال ، ثم اتهموا في حفرهم

(١) في ١ ، ألف سنة وثلاثمائة سنة (٢) في ١ « الأمصار »

(٣) في ١ « خراج الدنيا » (٤) في ب « على رأسه صفائح الذهب »

إلى ظهور رأس الديك ، فبرق عند ظهوره إمان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الباقوت وشدة نوره ولعان ضيائه^(١) ، ثم بانت قوائمه ، وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الأحجار والرخام ، وقناطر مقنعة ، وطاقات على أبواب معقودة ، ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع السور والذهب وأجربة من الأحجار قد أطبقت عليها أعطيتها وشبكت^(٢) ، وقيد ذلك بأعمدة الذهب ؛ فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع ، فنظر إلى ما ظهر من ذلك ، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة^(٣) من نحاس تنتهي إلى ما هنالك ، فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها ، فالتفتا^(٤) على الرجل ، فلم يدرك حتى جزأه قطعاً وهوى جسمه سفلاً ، فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك تصفيراً عجيباً سمعه مَنْ كان بالبعد من هنالك ، وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة ، وقد عمات بالآواب^(٥) والحركات ، إذا ما وقع على بعض تلك الدرج شيء أو ما سها تهافت من هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيرة ، وكان ممن يحفر ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل^(٦) ، فهلكوا جميعاً ، فجزع عبد العزيز ، وقال : هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النبل ، نعوذ بالله منه ! وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من التراب على مَنْ هلك من الناس ، فكان الموضع قبراً لهم .

قال المسعودي : وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ، ومن قد أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز ودخائر الملوك والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض

(١) في ١ « وإشراق ضيائه ، ثم بان جناحاه . ثم بانت برائنه وظهر - إلخ »

(٢) في ١ « وسبكت » (٣) في ١ « مشبكة »

(٤) في ١ « فالتفتيا » (٥) في ب « بالكواكب »

(٦) في ١ « نحو ألفي رجل » .

ببلاد مصر، وقع إليهم كتابٌ ببعض الأقاليم السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الأهرام المقدم ذكرها ، بأن فيه مطلباً عجيباً، فأخبروا الإخشيد محمد بن طفج بذلك ، فأذن لهم في حفره ، وأباحهم استعمال الحيلة في إخراجها ، فحفروا حفرًا عظيمًا إلى أن انتهوا إلى أزج وأقبا، وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالأطليّة المانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء ، والصور مختلفة: منها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزربرد، ومنها ما وجوها ذهب وفضة، فكسروا بعض تلك التماثيل، فوجدوا في أجوافها رمماً بالية ، وأجساماً فانية ، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الآنية كالبراني^(١) وغيرها من الآلات من المرمر والرخام^(٢) ، وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب ، وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الإناء، والطلاء دواء مسحوق وأخلط معمولة لا رائحة لها، فجعل منه على النار، ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الأنواع التي للطيب^(٣) ، وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة من فيه من الناس على اختلاف أسنانهم^(٤) ، ومقادير أعمارهم ، وتباين صورهم ، وبيزاء كل تمثال من هذه التماثيل تمثال من الحجر المرمر ، أو من الرخام الأخضر، على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور ، وعليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل ، وزعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك القلم ، من حين تقدم من الأرض

(١) في ب « من الأبنية كالبراني » محرفاً

(٢) في ا « من الزمرد والرخام »

(٣) في ا « لا تعرف في نوع من أنواع الطيب »

(٤) في ا « على اختلاف أنسابهم »

- أعنى أرض مصر - أربعة آلاف سنة ، وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء
ليسوا بيهود ولا بنصارى ، ولم يؤدم الحفرُ إلا إلى ما ذكرنا من هذه التماثيل ،
وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .
وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر إلى أحمد بن طولون وغيره
إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أخبار عجيبة ، فيما استخرج
في أيامهم من الدفائن والأموال والجواهر ، وما أصيب في القبور [من المطالب]
والخزائن ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من تأليفنا ، وتقدم من تصنيفنا ،
وبالله التوفيق .

ذکر [أخبار] الإسكندرية، وبنائها، وملوكها، وعجائبها

وما ألحق بهذا الباب

اختيار الموضع

ذَكَرَ جماعة من أهل العلم أن الإسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء ، حتى انتهى إلى موضع الإسكندرية فأصاب في موضعها آثار بنيان عظيم وعمداً كثيرة من الرخام ، وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المُسَنَدِ — وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد — « أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد ، شددت بساعدي البلاد ، وقطعت عظيم العماد ، من الجبال والأطواد ، وأنا بنيت إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وأردت أن أبنى ههنا كإرم ، وأنقل إليها كل ذي إقدام وكرم ^(١) ، من جميع العشار والأُم ، وذلك إذ لا خوف ولا هَرَم ، ولا اهتمام ولا سقم ، فأصابني ما أعجبنى ^(٢) ، وعمأردت قطعني ^(٣) مع وقوع ما أطال همي ^(٤) وشجني ، وقل نومي وسكني ، فارتحلت بالأمس ^(٥) عن داري لالقهر ملك جبار ، ولا لخوف جيش جرّار ، ولا عن رهبة ولا عن صغار ، ولكن لتمام المقدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز الجبار ، فمن رأى أثرى ، وعرف خبري ، وطول عمري ، ونفاد بصري ، وشدة حذري ، فلا يفتخر بالدنيا بعدى ، [فإنها غرارة تأخذ منك ماتعطى ، وتسترجع ما تولى] ^(٦) . وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها .

ونزل الإسكندر [متفكراً] يتدبر هذا الكلام ويعتبره ، ثم بعث فحشر الصناع من البلاد ، وخط الأساس ، وجعل طولها وعرضها أميالاً ، وحشد إليها العمد والرخام ، وأتته المراكب فيها أنواع الرخام . وأنواع المرمر والأحجار ، من جزيرة صقلية ، وبلاد إفريقية ، وإقريطش ، وأقاصي

(١) في ا « كل ذي قدم وكرم »

(٢) في ا « من أعجبنى »

(٣) في ا « وعمأردت أحالي »

(٤) في ب « ومع وقوعه طال همي »

(٥) في ا « فارتحلت بالأمن »

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ا

بحر الروم مما يلي مصبه [من] بحر أوقيانوس ، وحمل إليه أيضاً من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للإسكندرية على ليلة منها في البحر ، وهي أول بلاد الإفرنجية ، وهذه الجزيرة في وقتنا هذا ، وهوسنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، دار صناعة الروم ، وبها تنشأ المراكب الحربية ، وفيها خالق كثير من الروم ، وسرا كبهم تطرق بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسروا وتسي . وأمر الإسكندر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة ، وجعل على كل قطعة من الأرض خشبة قائمة ، وجعل من الخشبة إلى الخشبة حبلاً منوطة بعضها ببعض ، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام ، وكان أمام مضربه ، وعلق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً ، وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً [حرصوا] على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها ، وأحب الإسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد^(١) ، فخفق الإسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتقابه الوقت الحمود المأخوذ فيه الطالع ، فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه ، وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال ، وخفقت ما عليها من الأجراس الصفار ، وكان ذلك معمولاً بحركات فلسفية ، وحيل حكيمية ، فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة ، وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس ، فاستيقظ الإسكندر من رقدته وسأل عن الخبر ، فأخبر بذلك ، فعجب وقال : أردت أمراً وأراد الله غيره ، ويأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها ، وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك إياها . وإن الإسكندرية لما أحكم بنيانها وأثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت

(١) في « و طالع سعد يأخذه » .

دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان ، فقال الإسكندر حين أصبح :
 هذا بدء الخراب في عمارتها ، وتحقق مراد الباري في زوالها ، وتطير من فعل
 الدواب ، فلم يزل البناء يُدبني في كل يوم ويحكم ، ويوكل به من يمنع الدواب
 إذا خرجت من البحر ، فيصبحون وقد أخرج البنيان ، فقلق الإسكندر
 لذلك ، وراعه ما رأى ، فأقبل يفكر ما الذي يصنع ، وأى حيلة تنفع^(١)
 في دفع الأذية عن المدينة ، فسححت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وإيراده
 الأمور وإصدارها ، فلما أصبح دعا بالصناع فآخذوا له تابوتاً من الخشب طوله
 عشرة أذرع في عرض خمس ، وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها
 خشب التابوت باستدارتها ، وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأطلية
 الدافعة للماء ، حذراً من دخول الماء إلى التابوت ، وقد جعل فيها مواضع
 للحبال ، ودخل الإسكندر في التابوت هو ورجلان معه من كتابه ممن له علم
 بإتقان التصوير [ومبالغة فيه] وأمر أن تسد عليهم الأبواب ، وأن تطلّى بما
 ذكرنا من الأطلية ، وأمر فأتى بمركين عظيمين ، فأخرجوا إلى لجة البحر ، وعلق
 على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوى بالتابوت
 سفلاً إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب في أسفله ،
 وجعل التابوت بين المركين^(٢) ، فألصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا ، وشد حبال
 التابوت إلى المركين^(٣) وطوّّل حباله ، ففاص التابوت حتى انتهى إلى قرار
 البحر ، فنظروا إلى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء
 البحر ؛ فإذا هم بشياطين^(٤) على مثال الناس رءوسهم على مثال رؤوس السباع ،
 وفي أيدي بعضهم الفؤوس ، وفي أيدي بعض المناشير والمقارع ، يحاكون بذلك
 صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء ، فأثبت الإسكندرو من معه

(١) في ب « وأى حيلة يوقع »

(٢) في ب « إلى المركين »

(٤) في ا « فإذا بصور شياطين »

(٣) ما بين المعقوقين ساقط من ب

تلك الصور وأحكوها^(١) بالتصوير في القراطيس، على اختلاف أنواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم وأشكالهم، ثم حرك الحبال، فلما أحس بذلك من في المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا التابوت، فلما خرج الإسكندر من التابوت وسار إلى مدينة الإسكندرية أمر صنّاع الحديد والنحاس والحجارة فصنعوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورته الإسكندرو صاحباه، فلما فرغوا منها وضعت [الصور] على العمدة بشاطئ البحر، ثم أمرهم فبنوا، فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر، فنظرت إلى صورها على العمدة مقابلة إلى البحر، فرجعت إلى البحر ولم تعد بعد ذلك.

ثم لما بنيت الإسكندرية وشيدت أمر الإسكندر أن يكتب على أبوابها «هذه الإسكندرية، أردت أن أبنيتها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور^(٢)، فلم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومفني الأمم أن يبنيتها كذلك، فبنيتها وأحكمت بنيانها، وشيدت سورها، وآتاني الله من كل شيء، علماً وحكماً، وسهلاً لي وجوه الأسباب، فلم يتعذر علي شيء في العالم مما أردته، ولا امتنع عني شيء، مما طلبته، لطفاً من الله عز وجل، وصنعاً بي، وصلاًحاً لي ولعباده من أهل عصرى، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا الله رب كل شيء». ورسم الإسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان : من الآفات^(٣)، والعمران، والخراب، وما يؤثر إليه إلى وقت ذثور العالم.

وكان بناء الإسكندرية طبقات، وتحتها قناطر مقنطرة، عليها دور المدينة^(٤)، يسير تحتها الفارس ويده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة، وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق، وتنفسات للضياء^(٥)، ومنافذ للهواء.

(١) في ١ « وحكوها بالتصوير من القراطيس » .

(٢) في ١ « على الدهور » (٣) في ١ « من الأحداث »

(٤) في ب « كما تدور المدينة » (٥) في ١ « ومتنفسات للضياء »

وقد كانت الإسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح ، لشدة بياض الرخام والمرمر ، وأسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لثلا يصيب أهلها شيء من المطر ، وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها ، بينها خنادق ، وبين كل خندق وسور فصلان^(٢) ، وربما علق على المدينة شقاق الحرير الأخضر ؛ لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه . فلما أحكم بناؤها ، وسكنها أهلها ، كانت آفات البحر وسكانه — على ما زعم الإخباريون من المصريين والإسكندريين — تختطف بالليل أهل [هذه] المدينة ، فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير .

المسال

ولما علم الإسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال ، وهي باقية إلى هذه الغاية ، وكل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السروة ، وطول كل واحد منها ثمانون ذراعاً ، على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً وأشكالاً وكتابة ، وذلك عند انخفاض درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم ، وعند أصحاب الطلسمات من المنجمين والفلكيين أنه إذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات [النافعة]^(٣) المانعة والدافعة ، وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب في هذا المعنى ، ولهم في ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له ، ولغيرهم ممن ذهب إلى أن ذلك للطف قوى الطبائع التامة^(٤) وغير ذلك مما قاله الناس ، وما ذكرنا من درج الفلك فهو موجود في كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين ، كأبي معشر الباقى ، والخوارزمي ، ومحمد بن كثير الفرغانى ، وما شاء الله ، وحش^(٥) ، واليزيدى ،

(١) في ١ « مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر »

(٢) في ب « بين كل خندق وسور فصول »

(٣) هذه الكلمة لا توجد في ١

(٤) في ١ « إلى أن ذلك أطف قوى الطبائع التامة »

(٥) في ب « وحسن »

ومحمد بن جابر البتاني في زيج الكبير ، وثابت بن قره ، وغير هؤلاء ممن تكلم في علوم هيات الفلك والنجوم .

منارة
الإسكندرية

قال المسعودي : فأما منارة الإسكندرية فذهب الأكثر من المصريين والإسكندرانيين - ممن عني بأخبار بلدهم - إلى أن الإسكندر بن فيلبس^(١) المقدوني هو الذي بناها على حسب ما قدمنا في بناء المدينة ، ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هي التي بنتها ، وجعلتها مرقباً لمن يرد من العدو إلى بلدهم ، ومنهم من رأى أن العاشر من فراغنة مصر هو الذي بناها ، وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ، ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومية هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها والأهرام بمصر ، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته بالاستيلاء ، على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به ، وذكروا في ذلك أخباراً كثيرة ، يدلون بها على ما قالوا ، والإسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ، ولا هاب ملكاً يرد إليه في بلده ويفزوه في داره ؛ فيكون هو الذي جعلها مرقباً ، وإن الذي بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر ، وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره ، وفيها تماثيل^(٢) قد أشار بسبابته من يده [اليمنى] نحو الشمس أينما كانت من الفلك^(٣) ، وإذا علت في الفلك فأصبغه مشيرة نحوها فإذا انخفضت انخفضت يده سفلاً ، يدور معها حيث دارت ، ومنها تماثيل يشير بيده إلى البحر إذا صار العدو منه على نحو من ليلة ، فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر تقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة ، فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ، فيرمقونه بأبصارهم ، ومنها تماثيل كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتاً بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها ، وصوته مُطْرِب .

(١) في ب « الإسكندر بن فيلبس »

(٢) في ا « فمنها تماثيل » (٣) في ا « أين كانت من الفلك »

حيلة
لهدم المنارة

وقد كان ملك الروم في مدة الوليد^(١) بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادماً من خواص خدمه ذا رأى ودهاء [سراً]^(٢) ، وجاء مستأمناً إلى بعض الثغور ، فورد بألة حسنة ، ومعه جماعة ، فجاء إلى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك ، وأنه أراد قتله لمؤجدةٍ وحالٍ بلغته عنه لم يكن لها أصل ، وأنه استوحش منه ، ورغب في الإسلام ، فأسلم على يد [ي] الوليد ، وتقرب من قلبه ، وتنصح إليه في دفن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفان ، فلما رأى الوليد تلك الأموال والجواهر شرهت نفسه ، واستحکم طمعه ، فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين ، إن ههنا أموالاً وجواهر ودفان الملوك ، فسأله الوليد عن الخبر ، فقال : تحت منارة لإسكندرية أموال الأرض ، وذلك أن الإسكندر احتوى على الأموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام ، فبنى لها الآزاج تحت الأرض ، وقنطر لها الأقباء والقناطر والسراديب ، وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة ، وكان طولها في الهواء ألف ذراع ، والمرآة على علوها والديابذة جلوس^(٣) حولها ، فإذا نظروا إلى العدو في البحر [في ضوء تلك المرآة]^(٤) صوتوا بمن قرب منهم ، ونصبوا ونشروا أعلاماً فيراها من بعد منهم فيحذّر الناس وينذر البلد ، فلا يكون للعدو عليهم سبيل ، فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها ، وأزيلت المرآة ؛ فضجّ الناس من أهل الإسكندرية وغيرها ، وعلموا أنها مكيدة وحيلة في أمرها ، ولما علم الخادم استفاضة ذلك ، وأنه سينمى إلى الوليد ، وأنه قد بلغ ما يحتاج إليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده ، وواطأ قوماً على ذلك من أمره ، فتمت حيلته ، وبقيت المنارة على ما ذكرنا

(١) في ١ « في ملك الوليد بن عبد الملك »

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من ب (٣) في ١ « والديابذ جلوس »

(٤) هذه العبارة لا توجد في ١

إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وكان حوالى [منارة] الإسكندرية فى البحر مفاصٌ يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم يشبه أنواعاً من الجواهر : منه السكر كهن والأدرك^(١) وأشباد جشم ، ويقال : إن ذلك من الآلات التى كان آخذها الإسكندر للشراب ، فلما مات كسرتها أمه ورمت بها فى تلك المواضع من البحر ، ومنهم من رأى أن الإسكندر آخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا يخلو من الناس حولها ؛ لأن من شأن الجواهر أن يكون مطلوباً أبداً فى كل عصر فى معدنه^(٢) براً كان أو بحراً ، فيكون الموضع على دوام الأوقات بالناس معموراً ، والأكثر مما يستخرج من الجواهر حول منارة الإسكندرية الأشباد جشم ، وقد رأيت كثيراً من أصحاب التلويحات ومن عني بأعمال الجواهر المنسوبة بالمغرب^(٣) يعمل هذه الجواهر المعروفة بالأشباد جشم ، ويتخذ منه الفصوص^(٤) وغيرها ، وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلون وهى ترى ألواناً مختلفة من حمرة [وخضرة] وصفرة تتلون فى المنظر ألواناً مختلفة على حسب ما قدمنا ، والتلون من ذلك على حسب الجواهر فى صفاته واختلاف نظر البصر فى إدراكه ، وتلون هذا النوع من الجواهر - أعنى الباقلون - نحو تلون ريش [صدر] الطواويس ؛ فإنها تتلون ألواناً مختلفة بأذنانها وأجنحتها - أعنى الذكور دون الإناث - وقد رأيت منها بأرض الهند ألواناً تظهر لحس البصر عند تأملها ، لا تدرك ولا تحصى ، ولا تشبه بلون من الألوان ؛ لما يترادف^(٥) من تموج الألوان فى ريشها ، ويتأتى ذلك منها اعظم خلقةها وكبر أجسامها وسعة ريشها ؛ لأن للطواويس بأرض الهند شأناً عجيباً ، والذى يحمل منها إلى أرض الإسلام ويخرج عن أرض الهند فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الأجسام ، كدرة الألوان ،

(١) فى « منه الكركن والأدرك والأشباد جشم »

(٢) فى « فى سائر الأعصار فى معدنه »

(٣) فى ب « المشبة بالمعدنية » (٤) فى ب « النصول وغيرها »

(٥) فى ب « لا يترادى من تموج الألوان » (٢٥ - مروج الذهب ١)

لا تخطف أنوار الأبصار بإدراكها^(١) ، وإنما تشبه بالهندية بالشبه اليسير ، هذا في الذكور منها دون الإناث .

وكذلك شجر النارج والأترج المدور ، حمل من أرض الهند إلى أرض غيرها بعد الثلاثمائة ، فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام ، حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر ، وما كان يعهد ولا يعرف ، ندمت منه الروائح الخمرية^(٢) الطيبة ، واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند ؛ لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد .

سر بناء المنارة ويقال : إن هذه المنارة إنما جعلت المرآة في أعلاها ؛ لأن ملوك الروم بعد الإسكندر كانت تحارب ملوك مصر والإسكندرية^(٣) ، فجعل من كان بالإسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد في البحر من عدوهم ، إلا أن من يدخلها يتيه فيها إلا أن يكون عارفاً بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها^(٤) ومما رقبها ، وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم إلى المنارة فتاهوا فيها ، وفيها طرق تؤول إلى مهاوي تهوى إلى سرطان الزجاج^(٥) ، وفيها مخارق^(٦) إلى البحر فتهوروا بدوابهم ، وفقد منهم عدد كثير ، وعلم بهم بعد ذلك ، وقيل : إن تهورهم كان في كرسى^(٧) بها قدامها ، وفيها مسجد في هذا الوقت يربط فيه [في الصيف]^(٨) متطوعة المصريين وغيرهم . ولبلادمصر والإسكندرية [والمغرب]^(٩) وبلاد الأندلس ورومية وما في الشرق واليمن والمغرب^(٩) أخبار كثيرة في عجائب البلدان والأبنية والآثار وخواص

(١) في ا « لاتعطى أنوارا للأبصار بإدراكها ،

(٢) في ا « الروائح الخمرية » (٣) في ب « على الإسكندرية »

(٤) في ب « وممراتها » (٥) في ب « السرطان الزجاج »

(٦) في ا « مخاريق إلى البحر » (٧) في ا « كرسى لها قدامها »

(٨) ما بين القوسين لا يوجد في ب

(٩) في ا ه وما في الشرق والغرب والجدى واليمن «

البقاع وما يؤثر في ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها؛ إذ كنا قد أتينا على الأخبار عنها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم وحيوانه وبره وبحره، فأغنى ذلك عن إعادة ذكره.

ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهبياكل المعظمة والبيوت الشرفة وغير ذلك مما يليق بمعناها^(١)، بل نذكرها في الموضع المستحق لها^(٢) من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

(١) في « ما يليق بمعناها » . (٢) في ب « المستحق بها » .

قد تم — بحمد الله تعالى ، وحسن توفيقه — مراجعة الجزء الأول من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للمسعودي ، وبليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحاً بذكر السودان وأنسابهم ، نسأل الله أن يمن بإتمامه ، وبعين على ذلك بفضله وكرمه ومِنِّته ما

فهرس الموضوعات
الواردة فى الجزء الأول من كتاب
« مروج الذهب ، ومعادن الجواهر » للسعودى

فهرس الموضوعات

انواردة فى الجزء الأول من كتاب « مروج الذهب ، ومعادن الجواهر »
لأبى الحسن على بن الحسين بن على السعودى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	مقدمة محقق الكتاب	١٩	ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب
٦	ترجمة السعودى		من الأبواب
٩	خطبة المؤلف	٢٨	ذكر مبدأ الخلق وذرء البرية
٩	باب ذكر جوامع أغراض الكتاب	٣٥	حواء تحمل بذكر وأنثى ، فى كل
٩	يذكر المؤلف أن له كتابين		مرة ، وقصة ابنى آدم
	اختصرهما فى هذا الكتاب	٣٧	حواء تحمل بشيث
١٠	الباعث للمؤلف على تأليف كتابه	٣٨	وصية آدم لشيث قبل وفاته
١٢	ذكر جماعة من العلماء الذين ألفوا	٣٨	حكم شيث بن آدم ، ومدته
	فى التاريخ قبله	٣٩	أنوش بن شيث
١٥	ثناء المؤلف على ابن قتيبة والطبرى	٣٩	أخوخ بن أنوش (وهو إدرىس
	ونقطويه		النبي عليه السلام)
١٥	ثناءه على محمد بن يحيى الصولى	٤٠	متوشلح بن أخوخ ، وملك
	صاحب كتاب « الأوراق »	٤٠	نوح بن ملك عليه السلام
١٥	ثناءه على قدامة بن جعفر الكاتب	٤١	مساكن حام بن نوح
	صاحب كتاب « الحراج »	٤١	مساكن سام بن نوح
١٦	تقد المؤلف لسان بن ثابت بن	٤١	إرم بن سام بن نوح
	قرة الحرانى	٤٢	ثمود بن سام بن نوح
١٨	المؤلف يذكر ما أودعه كتابه	٤٢	طسم وجدىس وعمليق
	من الفوائد	٤٢	ماش بن إرم ، وأولاده
١٨	المؤلف ينهى عن التصرف فى كتابه	٤٢	فالع بن شالخ ، وأولاده
	هذا ، ويحذر منه أشد التحذير	٤٣	إرخشذ بن سام بن نوح

ص	الموضوع	ص	الموضوع
۵۶	داود نبی الله ، عليه السلام	۴۳	شالغ بن إرخشند بن سام
۵۷	نشأة سليمان بن داود	—	عابر بن شالغ بن إرخشند
—	لقمان الحكيم	—	فالغ بن عابر بن شالغ
—	ملك سليمان	—	رعو بن فالغ بن عابر
۵۸	ملوك بني إسرائيل بعد سليمان ، ومن	۴۴	ساروغ بن رعو بن فالغ
—	كان بين سليمان والسيح بن مريم	—	ناحور بن ساروغ بن رعو
۶۳	مولد عيسى بن مريم عليه السلام	—	تارح بن ناحور بن ساروغ
۶۵	ذكر أهل الفترة ممن كان بين	۴۵	مولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل
—	المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم	—	عليهما السلام
۶۵	حنظلة بن صفوان	—	أصحاب المؤتفكة
—	ذو القرنين	۴۶	مولد إسحاق بن إبراهيم الخليل
—	أهل الكهف	—	عليهما السلام
۶۶	جرجيس ، وقد أرسله الله إلى	۴۷	يعقوب بن إسحاق عليهما السلام
—	بعض ملوك الموصل ، فقتله ، ثم	—	وأخوه العيص
—	أحياء الله تعالى	—	وفاة يعقوب بن إسحاق بمصر ،
۶۶	حبيب النجار	—	وابنه يوسف
۶۷	أصحاب الأخدود	۴۸	أيوب بن موص بن رزاح نبی الله
—	خالد بن سنان العبسي	—	موسى بن عمران بن قاهث نبی الله
۶۸	رئاب الشني أحد بني عبد القيس	۴۹	شعيب بن نويت بن رعويل
—	أسعد أبو كرب الحميري	—	هارون أخو موسى بن عمران
۶۹	قس بن ساعدة الإيادي	—	عليهما السلام
۷۰	زيد بن عمرو بن ثعلب	۵۰	يوشع بن نون الكاهن ؛ أحد
—	أمية بن أبي الصلت الثقفي	—	أسباط يوسف
۷۳	ورقة بن نوفل الأسدي ، ابن عم	۵۲	بلعم بن باعوراء ؛ وهو رجل
—	خديجة أم المؤمنين	—	مستجاب الدعوة
۷۴	عداس ؛ مولى عتبة بن ربيعة	۵۲	كالب بن يوقنا
—	أبو قيس ، صرمة بن أبي أنس	—	طالوت وجالوت ؛ وقصتهما
—	أبو عامر الأوسي		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٤	عبد الله بن جحش الأسي	٩١	رأى بطليموس في مساحة الأرض
٧٥	بحيرا الراهب	٩٢	القول بكروية البحار ؛ والاستدلال له
٧٦	ذكر جمل من أخبار الهند ؛ وآرائها ؛ وملوكها	٩٣	منزلة الأرض من الكواكب
—	حكمة الهنود ؛ ورأهم في بدء العالم وحالته	٩٥	هاكل الصابئة وترتيبها على ترتيب الأفلاك السبعة
٧٩	البرهمن	٩٥	المراتب الدينية لرجال النصرانية
—	الباهبود بن البرهمن	٩٧	ذكر الأخبار من انتقال البحار وجمل من أخبار الأنهار
٨٠	صنع النرد ؛ وما تخلوه من الحكمة فيه	٩٧	تحرك البحار وانتقالها ؛ وبيان السبب في تكوينها
٨٠	ذامان الملك بعد أيه الباهبود	٩٨	نهر النيل
—	الملك فور؛ الذي حارب الإسكندر	٩٩	رد بعض أوهام الجاحظ الذي زعم أن نهر السند يستمد من النيل
—	الملك دبشليم الذي وضع له كتاب «كليلة ودمنة»	١٠٠	عود للكلام عن نيل مصر
—	ملك بلهيت	١٠١	جيجون ؛ وهو نهر بلخ
—	صنع الشطرنج	١٠٢	نهر جنجس ؛ وهو أحد أنهار الهند
٨٢	ملك كورش	١٠٣	نهر الفرات
—	اختلاف أهل الهند ؛ وتعدد ملوكهم	١٠٥	نهر دجلة
٨٣	عادة أهل الهند في تعليق ملوكهم	١٠٦	ذكر بعض أنهار البصرة
—	عادتهم في الاحتفال بموت الملوك	١٠٧	ذكر بعض الأخبار عن البحر الحبشي ؛ وما قيل في مقداره ؛ وسعة خلجانه
٨٦	ذكر الأرض والبحار ؛ ومبادئ الأنهار والجبال والأقاليم السبعة وما والاها وترتيب الأفلاك	١١٠	مغاصات الدر واللؤلؤ وأنواع الياقوت
—	وصف الأرض وتقسيمها ومركزها من الفلك والشمس	١١٣	ذكر تنازع الناس في المد والجزر وعلة وجودهما في بعض البحار دون بعض
٨٧	الأقاليم السبعة		
٨٨	رأى بطليموس في صفة الأرض والأفلاك		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٤٢	بعض أخبار عن ملوك الصين	١١٨	ذكر بحر الروم ، وما قيل في طوله وابتدائه وانتهائه
١٤٧	ذكر حمل من الأخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ، ومراتب الملوك ، وأخبار الأندلس ، وبيان معادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه .	١٢٠	ذكر بحر نيطنش ، وبحر مايطش وخليج القسطنطينية
١٤٧	بحر الصين والهند وفارس واليمن	١٢١	ذكر بحر الباب والأبواب والحزر وجرجان ، وحمل من الأخبار على ترتيب البحار
١٤٨	مغاص اللؤلؤ ببحر فارس	١٢٢	التين ، وآراء الناس فيه
١٤٩	وحدیث عن العامة وأعمالهم	١٢٨	الماء المالح أثقل من الماء العذب
١٤٩	تفصيل أجزاء بحر الصين والهند وما حوالیه من البلاد ، مع ذكر أهلها وعاداتهم ، وما يوجد عندهم من الحاصلات	١٢٩	علامات لمعرفة وجود المياه في جوف الأرض
١٥٣	بحر كلاهبار ، وما عليه من الأمم	١٣١	ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور ، وأخبار الصين ، ونحو ذلك
١٥٣	بحر كردنج ، وما عليه من الأمم	١٣١	القول في أنساب الصين
١٥٣	بحر الصنف ، وما عليه من الممالك	١٣٢	أول من ملك عليهم نسطرطاس
١٥٤	بحر صنجي ، وهو بحر الصين ، وكلمة في وصفه	٣٣	ملك عوون بن نسطرطاس
١٥٥	بلاد السيلي وجزائرها ، وكلمة عن مناخها وأهلها ، وصلتهم بالصين	١٣٣	ملك عيشدون بن عوون
١٥٨	المسك ، وأنواعه	١٣٣	ملك عيثنان بن عيشدون
١٦١	ملوك صقلية وإفريقية قبل الإسلام	—	ملك حراتان بن عيثنان
١٦٢	ذكر من سار إلى الأندلس من بني أمية ، وكيف صار حالهم ؟	١٣٤	ملك توتال ، وما أحدثه في رعيته من الترتيبات
١٦٤	وصف أرض الحبشة والسودان	١٣٧	الصين شعوب وقبائل كالعرب
١٦٥	مراتب الملوك الذين يلون الممالك التي على البحر الحبشي	١٣٧	تدهور أحوال الصين
		١٣٨	عرف أهل الصين من قديم الزمان إحصاء السكان ، وعملاوابة
		١٤٠	عدل ملوك الصين وإكرامهم لمن يفد عليهم من رعايا الأمم .

الموضوع	ص	الموضوع	ص
وصف نوع من القردة	١٩٦	وصف الحيوان المعروف بالكركدن	١٧١
أمكنة القروذ	١٩٧	ذكر بعض عادات أهل الهند	١٧٣
أخبار المرابد والنساس	١٩٩	ذكر جبل القمخ، وأخبار بعض الأمم	١٧٦
٢٠٠ عود إلى ذكر الأمم المحيطة بالباب		وصف جبل الفتح ومدينة الباب	١٧٦
والأبواب والسور وجبل القمخ		والأبواب، وكيفية بنائها وسببه	
وبلاد الخزر واللان		١٧٨ مملكة طبرستان	
٢٠٤ مملكة الصنارية		١٧٨ مملكة جيدان، وهي من ممالك الخزر	
٢٠٤ مملكة شكين		١٧٩ عادة حرق للوتى	
٢٠٥ مملكة قيلة		١٨١ برطاس، وهي إحدى أمم الترك	
٢٠٥ مملكة الموقان		١٨١ مدينة البرغز	
٢٠٧ ذكر ملوك السريانيين، وجم		١٨٢ الروس، وتنوعهم	
من أخبارهم		١٨٥ ذكر بعض المدن التي على ساحل	
٢٠٨ نهر الهرمند		هذا البحر	
٢٠٨ وصف نوع عجيب من الشجر		١٨٦ ذكر بعض الجزائر	
٢١١ تعذيب أهل الهند أنفسهم		١٨٦ البازى الأبيض: وصفه، ومكان	
٢١١ سير ملك الهند إلى بلاد سجستان		وجوده، وصيده	
وحر به مع السريانيين		١٨٧ القول بأن الهواء مكنون، وبعض	
٢١١ ذكر بعض ملوك السريان		حوادث دالة على ذلك	
٢١٢ أول شرب الخمر		١٨٨ وصف البراة	
٢١٣ ذكر ملوك الموصل ونيوى، ولم		١٨٩ أول من لعب بالشواهين	
من أخبارهم		١٩٢ مملكة جيدان	
٢١٣ موقع نيوى		١٩٢ مملكة غميق	
٢١٤ أول ملوكهم		١٩٢ مملكة زريكران	
٢١٤ ملك سميرم		١٩٢ مملكة فيلان شاه	
٢١٤ ملك الأرسيس		١٩٣ مملكة اللان	
٢١٥ ذكر ملوك بابل، وهم ملوك الببط		١٩٤ أمة كشك	
		١٩٥ إرم ذات العهاد	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
۲۳۱	حماية بنت بهمن	۲۱۵	نمرود الجبار
۲۳۱	دارا بن بهمن	۲۱۵	بقية ملوك بابل ، وسنى ملكهم
۲۳۱	دارا بن دارا بن بهمن	۲۱۸	بحث فى الألوان وأنواعها
۲۳۴	ذكر ملوك الطوائف ، وهم بين الفرس الأولى والثانية	۲۲۰	ذكر ملوك الفرس الأولى ؛ وجمل من أخبارهم
۲۳۷	ذكر أنساب فارس ، واختلاف الناس فى نسب ملوك الطوائف	۲۲۰	نسب كيومرث
۲۴۲	كان المتقدمون من الفرس يعظمون الكعبة ، ويذورونها ويطوفون بها	۲۲۰	كيومرث أول ملوك الأرض
۲۴۳	ذكر الملوك الساسانية وهم الفرس الثانية ، وأخبارهم	۲۲۲	ملك أو شهج
۲۴۳	أردشير بن بابك	۲۲۲	ملك طهمورث
۲۴۹	سابور بن أردشير	۲۲۳	إحداث مذهب الصابئة ، وعبادة الكواكب
۲۵۰	هرمز بن سابور	۲۲۳	ملك جمشيد
۲۵۰	ظهور ازنادقة ، ومذهب مانى	۲۲۳	إحداث النوروز
۲۵۱	بهرام بن بهرام	۲۲۳	ملك يوراسب الضحاك
۲۵۴	سابور ذو الأكتاف ، وحربه مع الروم	۲۲۴	ملك أفريدون
۲۵۹	تفكير الرشيد فى هدم إيوان كسرى ومشاورة يحيى بن خالد البرمكى	۲۲۴	الهرجان
۲۶۰	ملك سابور بن سابور	۲۲۵	ملك منوجهر
۲۶۱	ملك يزدجرد	۲۲۵	ملك سهر
۲۶۱	ملك بهرام جور بن يزدجرد	۲۲۵	ملك فراسياب ، وحروبه مع الخارجيين عليه ، ومع من جاوره من الملوك
۲۶۲	ملك يزدجرد بن بهرام جور	۲۲۷	ملك كيخسرو ، وبنائه بلخ ، ومانال بنى إسرائيل فى عهده
۲۶۳	ملك هرمز بن يزدجرد وأخيه فيروز	۲۲۸	بختنصر وبنو إسرائيل
۲۶۳	ملك قباد بن فيروز وظهور مزدك الزنديقى	۲۳۰	زرادشت ، تنبى المحوس
		۲۳۰	خاناس خليفة زرادشت
		۲۳۰	ملك بهمن بن اسفنديار

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٦٣	ملك أنوشروان بن قباد، وحروب وتحصينه مملكته	٣٠٨	الاختلاف في نسب الروم
٢٧٠	ملك هرمز بن أنوشروان	٣٠٩	أول ملوك الروم ساطوخاس
٢٧٨	يوم ذي قار، بين العرب والفرس	٣٠٩	ملك أغطس فيسر
٢٨٠	ملك قباد بن أبرويز المعروف بشرويه	٣١٠	ملك طيار يوس
٢٨١	إحصاء بعدة ملوك الفرس وزمنهم	٣١٠	ملك فلوديس، وأنباغ المريح عيسى ابن صريم
٢٨٥	ذكر ملوك اليونان ولع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء أنسابهم	٣١٢	ملك تيزون
٢٨٥	الاختلاف في بدء نسب اليونان	٣١٢	ملك طيطش وأسبانيانوس
٢٨٧	أول ملوك اليونان	٣١٤	أصحاب الكهف والرقم
٢٨٨	نسب الإسكندر	٣١٥	إحصاء بعدة ملوك الروم
٢٨٨	اختلاف الناس في الإسكندروفي ذي القرنين، أمها واحداً؛ لا؛	٣١٧	ذكر ملوك الروم المنتصرة . وهم ملوك القسطنطينية، ولع من أخبارهم
٢٨٩	وفوف الحكماء على جدث الإسكندر عند موته	٣١٨	سبب تنصر قسطنطين
٢٩٣	ذكر جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند	٣٢١	الموسيقى، وشرفها
٣٠١	ذكر ملوك اليونان بعد الإسكندر	٣٢٣	يقظة أهل الكهف، في عهد أوائل
٣٠١	بطليموس	٣٢٣	ذكر جماعة من ملوك الروم
٣٠١	اللعب بالبراة والشواهين	٣٢٨	ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام
٣٠٢	ملك هيفلوس، ومن بعده	٣٣٩	ذكر، صر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار ملوكها، وما اتصل بذلك
٣٠٤	ملك قبطرة (كليوباترة)	٣٣٩	وصف مصر
٣٠٨	ذكر ملوك الروم، وما قاله في أنسابهم، وعدد ملوكهم، وتاريخ حكمهم، ومدته	٣٤٠	نيل مصر
		٢٤٣	لبله الغطاس، وعادة أهل مصر فيها
		٣٤٤	تقاريس النيل
		٣٤٦	الفيوم
		٣٤٨	حديث رجل مصري عن بحيرة تيس ودمياط

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٦٤	بدا النصرية بمصر	٣٥٠	حديث عن الأهرامات وبنائها
٣٦٥	إحصاء بملوك مصر ، وهدنتهم	٣٥٦	بعض عجائب مصر ونيلها
٣٦٦	تفسير كلمة فرعون	٣٥٧	من نزل مصر من أبناء نوح
٣٦٦	ذكر بعض عجائب وأخبار مصر	٣٥٧	حدود مصر في القديم
٣٧٠	ذكر الإسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها	٣٥٨	ذكر بعض من ملك مصر ، وقول الناس في نسب ملوكها
٣٧٠	بنا الإسكندرية ، وكيفيته	٣٦٠	السبب في اتخاذ البرابي
٣٧٥	نارة الإسكندرية	٣٦٢	بعض القرى والمدن لا يدخلها نوع من الحشرات
٣٧٧	حديث عن الطاووس		

تمت فهرست الجزء الأول

من كتاب «مروج الذهب، ومعادن الجواهر» للسعودي
والحمد لله أولا وآخرا ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

